# جغرافيـــة الأديـــان


الأستاذ الدكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم

أستاذ الجغرافيا الدينية - قسم الجغرافيا

كلية الآداب - جامعة دمنهور



جغرافيـــة الأديـــان

أ.د/ عبد العظيم أحمد عبد العظيم

# جغرافيـــة الأديـــان

الأستاذ الدكتور

**عبد العظيم أحمد عبد العظيم**

أستاذ الجغرافيا الدينية - قسم الجغرافيا

كلية الآداب - جامعة دمنهور

٢٠١٥

دار المعرفة الجامعية

طبع - نشر - توزيع

ت: ٤٨٧٠١٦٣

## حقوق النشر والتوزيع

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية - جمهورية مصر العربية - ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكومبيوتر أو برمجته إلا بموافقة الناشر خطياً.


# كتاب

# جغرافية الأديان


الدكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم



258 صفحة

1928-2015

978-977-273-905-9



الإدارة: ٣٦ ش سوتير - الأزاريطة - أمام كلية الحقوق
جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

تليفون: 00203 48 70 163 فاكس: 00203 48 30 454

محمول: 002 0122 1666 913

الفرع: ٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية

Email: darelmaarefa@gmail.com
d_maarefa@yahoo.com
Web site: www.darelmaarefa.com

## حقوق النشر والتوزيع

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية - جمهورية مصر العربية - ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكومبيوتر أو برمجته إلا بموافقة الناشر خطياً.


# كتاب

# جغرافية الأديان


الدكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم



258 صفحة

1928-2015

978-977-273-905-9

الإدارة: ٣٦ ش سوتير - الأزاريطة - أمام كلية الحقوق
جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

تليفون: 00203 48 70 163 فاكس: 00203 48 30 454

محمول: 002 0122 1666 913

الفرع: ٢٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية

Email: darelmaarefa@gmail.com
d_maarefa@yahoo.com
Web site: www.darelmaarefa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# بين يدى الكتاب

الحمد لله الذى أخذنا بنور العلم من ظلمات الجهالة، وهدانا بالاستبشار به عن الوقوع فى عماية الضلالة، ونصّب لنا من شريعة محمد ﷺ أعلى علم وأوضح دلالة.

وبعد.. معظم الأشخاص الذين يرغبون في دراسة الدين لديهم القليل من الاهتمام بدراسة الجغرافيا، والعكس بالعكس. ومع تطور الدين وتأثيره على حياة الناس يظهر أثر العوامل الجغرافية، وكيفية دراسة الدين من منظور جغرافي. حيث يؤثر الدين في المكان ويتأثر به.

ومن المهم، في البداية، من تعريف هذين المصطلحين: الجغرافيا والدين. فالجغرافيا: «دراسة المكان، والعلاقات بين الأماكن». أما الدين فهو أكثر صعوبة في تحديده، ومن تعاريفه ما ذكره الجغرافي الأمريكي سوفير Sopher: (قوة روحية تدفع إلى فعل الخير والكف عن الشر، ويختلف بشكل كبير من ثقافة إلى أخرى، ومن شخص لآخر).

وإذا كان من الصعب الاتفاق على تعريف بسيط للدين، فمن الأصعب إنكار تأثيره على الناس في الثقافات المختلفة عبر العصور، فالكثير من الديانات الرئيسية في العالم ترتبط ارتباطا لا ينفصم مع مجموعات معينة من الثقافات والنظم السياسية وأساليب الحياة، وأنه من الصعب تخيل وجود أحدهما دون الآخر. فمن الصعب تخيل دولة تايلاند Thailand بدون البوذية Buddhism، أو الهند بدون الهندوسية، أو السعودية بدون الإسلام، أو إسرائيل بدون اليهودية. كما أصبحت المسيحية في العصور الوسطى ملزمة بشكل معقد مع نمط الحياة، أما

الآن فتحل محلها العلمانية، ولكل منهما تأثيره على المكان والمكين.

فالدين يترك بصمة على المكان من خلال الثقافة ونمط الحياة، ويظهر في أقوى صوره جغرافيا في (الأماكن المقدسة)؛ حيث يهيمن الدين على جغرافية السكان والعمران والبيئة. فالتقاليد الدينية الهندوسية، ومنها طقوس الاستحمام في نهر الجانج - على سبيل المثال - تترك بصماتها على المظهر الخارجي للمنطقة، والاحتفال الديني الكنسي في المسيحية يؤثر على إدارة الوقت والحركات والسلوك المكاني للمؤمنين.

ويبدو أثر الدين جليا في الدور الذي لعبه في الجغرافيا السياسية في الحروب الصليبية، أو حركة الفتوحات الإسلامية، أو في تقسيم الهند عام ١٩٤٧، أو ظهور الدول الثيوقراطية، أو هيمنة رجل الدين على السلطة ؛ كما في نظرية [ولاية الفقيه] عند الشيعة.

على أية حال؛ تلك محاولة أولية في التسطير عن الجغرافيا الدينية للمكتبة الجغرافية العربية؛ فإن أصبتُ فتلك رمية من غير رام؛ وإن كان غير ذلك فالطبعات القادمة المنقحة تغفر لنا ما قد سلف ! ! ! .

وقد عمدت للتسطير في هذا الموضوع لتخرجي من الأزهر مرتين اثنتين، أولاهما عام (١٩٩٧) حيث حصلت على إجازة حفص من معهد القراءات بالأزهر الشريف بالإسكندرية، وأخراهما عام (١٩٩٨) حيث حصلت على ليسانس أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، فرع طنطا، تخصص [عقيدة وفلسفة]. وقد نشرت عدة كتب شرعية منها: الإسلام والبيئة[1]، المرأة فى صدر

(١) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩.

الإسلام[1]، مختصر صحيح البخارى[2]، حقوق غير المسلمين في الإسلام[3]، ضوابط العمل السياسي في الإسلام[4].

وعلى الله قصد السبيل

عبد العظيم

الإسكندرية في ٢٠١٤/٥/٢٥م

٢٦ رجب ١٤٣٥هـ

(١) مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، ٢٠٠١.

(٢) الصفا والمروة، الإسكندرية، ٢٠٠٦

(٣) مكتبة الإسراء، الإسكندرية، ٢٠١٠.

(٤) دار الكنوز، الإسكندرية، ٢٠١٢

# الفصل الأول

# تطور الأديان عبر التاريخ

# الفصل الأول

# تطور الأديان عبر التاريخ

لقد عُرف الدين في كل المجتمعات؛ حتى «البدائية» منها، والتي أظهرت مواقف بسيطة وغير متسقة نحو القوى غير المرئية التي تحكم حياتهم ومواقفهم من خلال إدراكهم لقوى مؤثرة لكيانات مثل أشباح الأسلاف. وكان يُعتقد أن هذه الأفكار واضحة من ملاحظات الجماعات المنعزلة، مثل سكان البلاد الأستراليين الأصليين، الذين لم يتطوروا على طريقة المجتمعات الأكثر تعقيداً. كما أن التطورات البشرية شهدت ظهورا لكيانات روحانية وآلهة عديدة، ومن ثم ارتبطت الأديان بعدة آلهة، ثم تطورت إلى الإيمان بوحدانية الله، أي الإيمان بإله واحد قوي Monotheism.

## أولا – مفهوم الدِّين:

الدين من الألفاظ التى لم تخل منها لغة من اللغات بمدلولها، لأن التدين فطرة، وقد تعددت دلالتها بتعدد الأمم، وإن وجد قاسم مشترك بينها في النهاية، وقد عرفها العرب بمدلولات شتى، ووردت فى القرآن الكريم بمعان متعددة منها: الطاعة، والجزاء والمكافأة، والحساب، والقضاء والحكم والملك، والحال والعادة والشأن،

ويطلق «الدين» ويراد به الإسلام، قال الراغب: ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[1]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ

(١) سورة آل عمران: ٨٣

يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1]، فسمى كل معتقد غاير الإسلام بأنه دين ويرفض البعض إطلاق كلمة دين علي كل معتقد غاير الإسلام، وهم بذلك مصادمون لنصوص القرآن والسنة، بينما يرى آخرون: أن الكلمة إذا وردت محلاة باللام يراد بها الإسلام دون سواه، واستشهد بقوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ﴾[3].

والدين في الاصطلاح: وضع إلهي سابق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. فالدين بمقتضى هذا الاصطلاح هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات. وهذه المعاني حصرت الدين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي مثل الإسلام واليهودية والنصرانية، لكن هناك ديانات أخرى كالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل فقط والديانة الخرافية التي تستند إلى الخيالات والأوهام، وهي وإن كانت تخرج في جوهرها عن معنى الدين كما حددته التعريفات السابقة ـ لا سيما تلك التي تتخذ الأوثان والحيوان والكواكب أو الجن آلهة ـ إلا أن القرآن الكريم سمَّاها دينًا.

والدين Religion: مصطلح عام تستخدمه معظم اللغات الأوربية الحديثة للإشارة إلى المفاهيم المتعلقة بالاعتقاد في الإله، والذوات الروحانية الأخرى، أو الشؤون الأساسية التي لا تدركها الخبرة البشرية. والافتراض الضمني لهذا الوصف هو أن هناك شيئاً مشتركاً في جميع التعاليم الثقافية في كل العصور، التي تبرر التحدث عنها على أساس الدين.

وبالنسبة للتعاليم غير الأوربية، فإن استخدام مصطلح دين يعد مثاراً للنقاش

(١) سورة آل عمران: ٨٥
(٢) سورة الشورى: ١٣
(٣) سورة الشورى: ٢١

والجدل. وقد اتضح أن المسميات الذاتية المختلفة للتعاليم الدينية العظيمة للبشرية ترتبط كثيراً بمفاهيم هذه الأديان التي ترمز لها، بحيث لا يمكن تبديل خصائص كل مصطلح من هذه المصطلحات بخصائص مصطلحات الدين الآخر. والوصف الشامل لكل السمات المضافة لما يقصد من دين في ثقافات مختلفة ينكر هذه الاختلافات الثقافية بأن يضعها ببساطة بجوار بعضها البعض من أجل مقارنتها دون القول بوجود قاعدة مشتركة بينها جميعاً. وبناء عليه، فالسؤال الواجب طرحه هو ما إذا كان استخدام المصطلح أو عدمه يمكن أن يُسمح به عادة على رغم الاختلافات الواضحة.

وفيما يلي بعض من التعريفات المفضلة للدين:

- «الدين هو نظام موحد من العقائد والممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة...» (أميل دوركايم)[١]
- «الدين هو الذي ينشأ عن تجربة لما هو مقدس في أشكاله العديدة» (ميرتون)[٢]
- «الدين هو ما يفعله المرء بكل نسكه» (ماكس)[٣]
- «الدين هو تنهيدة المخلوق المضطهد.. إنه أفيون الشعوب» (كارل

(١) دوركايم، إميل Durkheim, Emile (١٨٥٨-١٩١٧م). عالم اجتماع فرنسي أسهمت نظرياته وكتاباته في إرساء أسس علم الاجتماع الحديث.

(٢) ميرتون، روبرت كينج Merton, Robert King (١٩١٠م -). عالم اجتماع أمريكي أصبح مشهورًا لجمعه بين النظرية الاجتماعية والبحث الكمي الإحصائي. توصل إلى استنتاج يخلص إلى أن العديد من المصلحين البروتستانت ساعدوا بشكل غير مباشر في إيجاد العلم الحديث حيث شجعوا الناس على دراسة الطبيعة. يعد ميرتون مؤسسًا لما يُعرف بحقل علم الاجتماع. ويركز هذا العلم على الوسائل التي يمكن من خلالها أن تؤثر الجماعات والمنظمات الاجتماعية، وقيم المجتمع على تطور العلم.

(٣) فيبر، ماكس Weber, Max (١٨٦٤ - ١٩٢٠م). عالم اجتماع واقتصاد ألماني، أنشأ فيبر نظرية تفسر تنمية بعض المعتقدات النصرانية البروتستانتية للرأسمالية في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

ماركس)[1]

- «الدين هو حالة الذات المتعلقة بشأن مطلق» (ميردال)[2].

وكان للدين وما يزال أثر كبير في حياة الأمم والشعوب. فقد كان للإسلام واليهودية وبدرجة أكبر للنصرانية، الأثر الكبير في تكوين الثقافة الغربية، كما أدت هذه الأديان الثلاثة، وخاصة الإسلام دورًا أساسيًا في نمو الجغرافيا الثقافية في الشرق الأوسط. بينما نجد أن ثقافة آسيا أسهمت في تشكيلها البوذية والكونفوشية والهندوسية والشنتو والطاوية.

## ثانيا ـ ظهور الأديان الوثنية:

يرى أكثر الباحثين أن التوحيد هو عقيدة الإنسان منذ نشأته، وأن هذه العقيدة لم تنفك عنها أمة من الأمم، وأن الإنسان قد انجرف إلى ألوان من الوثنية والتعدد لم يكن عليها في القديم.

وإذا كان «الدين فطرة»؛ فإن فريقا من الفلاسفة «يذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعته. هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب (التطور) الذي ساد في أوربا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء. وفريق آخر يقرر بالطرق العلمية بطلان هذا المذهب، ويثبت بالعكس

---

(١) ماركس، كارل Marx, Karl (١٨١٨-١٨٨٣م). فيلسوفٌ ألماني واجتماعي وثوري محترف. كان المؤسس الرئيسي لحركتين جماهيريَّتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية. حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جينا عام ١٨٤١م. بعد فشل نظرياته قضى أواخر حياته لاجئًا في مدينة لندن.

(٢) ميردال، جونار Myrdal, Gunnar (١٨٩٨- ١٩٨٧م): عالم اجتماع واقتصاد سويدي اشتهر بدراساته المتقنة للمشاكل العالمية الكبرى. وبعد كتابه "المعضلة الأمريكية: المشكلة الزنجية والديمقراطية الحديثة" دراسة مهمة عن العلاقات العرقية في الولايات المتحدة. نال جائزة نوبل للاقتصاد عام ١٩٧٤م مُشاركةً مع فريدريك فون هايك من النمسا.

أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر، مستدلا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، فتكون الوثنيات إن هي إلا أعراض طارئة، أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة. وهذه هي نظرية (فطرية التوحيد وأصالته) التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلم النفس»[1].

وتولى هذه المناقشة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين). وكلمة الفصل في هذا الموضوع هي قوله: «هكذا عجزت وسائل العلوم أن تقدم لنا بيانا شافيا يطمئن إليه القلب عن ديانة الإنسان الأول. أما من أحب أن يسترشد بنصوص الكتب السماوية، فإنه سوف يجد فيها ما يشد أزر القائلين بأولية العقيدة الإلهية الصحيحة، لا في الغريزة فحسب ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2] بل في التطور الزماني كذلك، فهذه النصوص تنادي بأن الناس بدأوا حياتهم مستقيمين على الحق، مؤتلفين عليه، وأن الانحراف والاختلاف إنما جاء عرضا طارئا بعد ذلك ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[3]، وأن استمرار هذا الاختلاف واتساع شقته إنما كان بتأثير الوراثة، وتلقين كل جيل عقيدته للناشئين فيه « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[4] إلى ذلك كله فإن الكتب السماوية متفقة على أن الجماعة الإنسانية الأولى لم تترك وشأنها، تستلهم غرائزها وحدها بغير مرشد ومذكر، بل تعهدتها السماء بنور الوحي من أول يوم، فكان أبو البشر هو أول الأفذاذ الملهمين، وأول المؤمنين الموحدين، وأول المتضرعين الأوابين[5].

(١) أديب صعب: الأديان الحية، ص٢٢

(٢) سورة الروم الآية ٣٠

(٣) سورة يونس الآية ١٩

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز (١٢٩٢)، صحيح مسلم، كتاب القدر (٢٦٥٨).

(٥) محمد عبد الله دراز: الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، ص ١٠٢.

وفريق العلمانيين الماديين الذين لم يستطيعوا أن ينكروا أن هناك ديانات عريقة في القدم، ولكنهم زعموا أنها شاخت بمرور الزمن، ولم تعد صالحة في وقت بلغت البشرية فيه ما بلغت من تقدم في العلم ورقي في الحضارة. يقول أصحاب هذا المذهب وعلى رأسهم (أوجست كونت[1]): «إن العقلية الإنسانية قد مرت بأدوار ثلاثة: دور الفلسفة الدينية، ثم دور الفلسفة التجريدية، ثم دور الفلسفة الواقعية، وهذا الدور - في نظره - هو آخر الأطوار وأسماها، فبعد أن كان الناس يعللون الظواهر الكونية بقوة أو قوى إرادية خارجة عنها، انتقلوا إلى تفسيرها بمعان عامة، وخصائص طبيعية كامنة فيها، كقوة النمو، والمرونة، والحيوية... إلخ، ثم انتهوا إلى رفض كل تفسير خارجي أو داخلي، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هي، ومعرفة ما بينها من ترابط وجودي، بقطع النظر عن أسبابها وغاياتها، وعلى هذا يكون دور التفكير الديني يمثل الحال البدائية التي تلهت بها الإنسانية في مرحلة طفولتها، فلما شبت عن الطوق خلعتها لتستبدل بها ثوبا وسطا في دور مراهقتها، حتى إذا بلغت أشدها، واكتمل رشدها أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية» ويعلق على هذا المذهب الشيخ دراز فيقول: «نقطة الخطأ البارزة في هذا المذهب التطوري، هي أن أنصاره جعلوا منه قانونا يستوعب التاريخ كله في شوط واحد، قطعت الإنسانية ثلثيه بالفعل، ونفضت أو كادت تنفض يدها منهما إلى غير رجعة، فلن تعود إليهما إلا أن يعود الكهل إلى طفولته وشبابه». ثم يمضي في مناقشة هذا المذهب مبينا أن الأدوار الثلاثة المذكورة "لا تمثل أدوارا تاريخية متعاقبة، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة في كل الشعوب، وليست كلها دائما على درجة واحدة من الازدهار أو الخمول في شعب ما، ولكنها تتقلب بها الأقدار بين بؤسى ونعمى، ونحوس وسعود».[2]

(١) أوجست كونت ١٧٩٨م - ١٨٥٧م: فيلسوف فرنسي من أسرة مسيحية كاثوليكية، نبذ الإيمان بمبادئ الدين منذ كان في الرابعة عشرة من عمره، وهو مؤسس علم الاجتماع الحديث.

(٢) محمد عبد الله دراز: الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، ص٧٧.

وهذا (كونت) الذي كان يتنبأ بأن فناء الديانات سيكون هو النهاية الحتمية لتقدم العلوم، قد عاد في آخر أمره متصوفا عجيبا، وكلل حياته بوضع ديانة جديدة طبعها على غرار النظام الكنسي للديانة الكاثوليكية: في عقائدها، وطقوسها، وأعيادها، وطبقات قساوستها، رواية كاملة أعاد فصولها ولم يغير إلا أشخاصها»[1]

«وبالنظر إلى مسالك القوم في إثبات العقيدة الدينية، يتبين خطؤها، من حيث الغاية والوسيلة، ومما يوضح بطلان هذه الطريقة التي سلكها أصحاب المذهبين للوصول إلى معرفة هذا الأمر المهم بالنسبة للبشرية، أن القدر الذي عرف من تاريخ البشرية وبين عصر نشأتها لا تزال الثغرة فيه واسعة لم تُسَدَّ، ولن تُسَدَّ، إذا لم يقل أحد: "إن الوقائع المفقودة الوثائق يمكن إثباتها على وجه قاطع بمثل هذا الضرب من التخمين اعتماداً على مجرد حسن المقابلة، وجمال التناسق بينها، وبين الوقائع المعروفة»، دون تثبت من حصول التشابه بين تلك العصور، حتى يتم القياس على وجه صحيح ودقيق. وأما الاستدلال بالآثار من النقوش، أو الحفريات، ثم استنطاق الرمم فأمر يحتاج إلى كثير من التأمل، وكل من كان له قلب يدرك مدى اختلاف تفسيرات الناس للأشياء المعينة المشاهدة في وقت واحد، فكيف الحال بتفسيرات المتأخرين بقرون طويلة لأحوال أولئك المتقدمين وأعمالهم؟ كما أن تعبيرات الناس عن الصور الحية متباينة كل التباين، فكيف هي عنها بعد أن رَمّتْ؟ !"[2]

ويرى مؤرخو الديانات أن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلاً تاماً، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب. وأما من حيث المنهج وهو الاستدلال على ديانة الإنسانية

(١) نفس المصدر: ص ٨٧

(٢) نفس المصدر: ص ٦١

الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية فهذا مبني على أساس افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التي وصل إليها بحثنا، وأنها لم تمر بها أدوار متقلبة، وهو افتراض لم يقم عليه دليل، بل الذي أثبته التاريخ واتفق عليه المنقبون عن آثار الأمم الماضية، هو أن فترات الركود والتقهقر التي سبقت المدنية الحاضرة كانت مسبوقة بمدنيات مزدهرة، وأن هذه المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة قريبة أو بعيدة، وذلك في أدوار تتعاقب على البشرية. فقدماء المصريين كانوا في فترة زمنية قريبة، وليست بالسحيقة كالقرون الأولى من قبلهم، ومع ذلك تركوا آثاراً تُظهر تفوقاً في بعض فروع العلوم، ولا يستطيع العلم البشري إلى اليوم أن يصل إلى عُشر معشارها، فهناك بعض الألغاز الموجودة حتى الآن لم يستطع العلم الحديث أن يفسرها، وهذا ما حدا بالكثيرين إلى أن يقولوا: إن قدماء المصريين كانوا يستعينون بالجن والسحر؛ وذلك بسبب ضخامة ما خلفوه من علوم تدل على تقدم وازدهار حضاري[1].

ومن العسير أن نحكم بصفة قاطعة أن الخرافات القديمة بداية أديان؛ لأننا حتى في هذا العصر الذي نزعم فيه الترقي والتطور والتقدم والحضارة وغيْر ذلك لا زلنا نجد هذا موجوداً، بل ومن أرقى الأمم تحضراً كأمة اليابان مثلاً، فاليابانيون يعبدون الإمبراطور ويعبدون العائلة المالكة كما كان يفعل المصريون. وهنالك في أوروبا والغرب من يعبد آلهة قدماء المصريين، ويأتون إلى مصر موسميا، ويحجون إلى الأهرامات وإلى الآثار[2].

وفي بعض الدول في شرق آسيا من يعبد الفئران!، وهي أمور لا يتصورها أي إنسان عنده فطرة سليمة، أو ذوق مستقيم، فهم يقدسون الفئران، ويبنون قصوراً من الرخام الأبيض الجميل؛ كي يعبدوا فيها هذه الفئران[3].

(١) نفس المصدر: ص١١٣

(٢) نفس المصدر: ص١٣٣

(٣) أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، ص١٩

(ولقد ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة، وأعراض طارئة على البشرية، حتى قال (فولتير): «إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصة، قوامها الحرث، والنحت، والبناء، والحدادة، والنجارة قبل أن تفكر في مسائل الديانات والروحانيات، بل قال: إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون، من الكهنة، والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء». وهذه النظرة الساخرة إلى الأديان ليست مبتكرة، وإنما هي ترديد لصدى مجون قديم كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان، وكانوا يروجونه فيما روجوه من المغالطات والتشكيكات)[1].

إن حاجة البشر إلى الدين أعظم من حاجتهم إلى ما سواه من ضرورات الحياة، فمهما استعلنت المذاهب المادية الإلحادية وتزخرفت، ومهما تعددت الأفكار والنظريات فلن تغني الأفراد والمجتمعات عن الدين الصحيح، ولن تستطيع أن تلبي متطلبات الروح والجسد، بل كلما توغل الفرد فيها أيقن تمام اليقين أنها لا تمنحه أمنا، ولا تروي له ظمأ، وألا مهرب منها إلا إلى الدين الصحيح، يقول أرنست رينان[2]: «إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية[3]».

## ثالثا ـ الدين والجغرافيا الحضارية:

يعد الدين مظهرا من مظاهر الحضارة عند الشعوب جميعها عبر العصور،

(١) محمد عبد الله دراز: الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، ص٧٣

(٢) إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م): فيلسوف فرنسي، تخرج في المدارس اللاهوتية، عني خصيصا بتاريخ النصرانية وتاريخ بني إسرائيل.

(٣) محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن: ص٧٤٩

سواء كان دينا سماويا أو دينا تواطأ الناس عليه؛ ذلك لأن الدين «يضع للإنسانية المنهج السوي الذي يجب أن يسير عليه الفرد والجماعة، ويضفي عليه صبغة القدسية، بحيث يصبح سلوك هذا المنهج ضربا من ضروب الدين، وبابا من أبواب القربات والعبادات، فضلا عن كونه تحقيقا لمبدأ العدالة، وتلبية لداعي الفطرة السليمة، وليست قوانين الجماعات، ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة، تحترم فيها الحقوق، وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط، أو السجن، أو العقوبة المادية، لا يلبث أن يهمله عن اطمئنان إلى أنه سيفلت من طائلة القانون، ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء، وعوضا عن التربية والتهذيب الخلقي، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين: يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولابد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي، يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشر والفساد، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان. غير أن الإيمان على ضربين: إيمان بقيمة الفضيلة، وكرامة الإنسانية، وما إلى ذلك من المعاني المجردة، التي تستحيي النفوس العالية من مخالفة دواعيها ولو أعفيت من التبعات الخارجية والأجزية المادية. وإيمان بذات علوية رقيبة على السرائر، يستمد القانون سلطانه الأدبي من أمرها ونهيها، وتلتهب المشاعر بالحياء منها، أو بمحبتها، أو بخشيتها، ولا ريب أن هذا الضرب هو أقوى الضربين سلطانا على النفس الإنسانية، وهو أشدهما مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواصف وأسرعهما نفاذا في قلوب الخاصة والعامة. من أجل ذلك كان هذا الدين خير ضمان لقيام التعاون بين الناس على قواعد العدالة والنصفة، وكان ذلك ضرورة اجتماعية، كما هو فطرة إنسانية[1].

وترتبط الأديان بعادات وطقوس؛ تختلف من ملة لأخرى، ومن نحلة

(١) محمد عبد الله دراز: الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، ص٩٣

لنحلة، ومثال ذلك في الإسلام ظهور الموالد ومواكب الصوفية، ومظاهر الاحتفال بشهر رمضان وعودة الحجيج، وأماكن التبرك والنذور.

ومن أشهر المظاهر الاجتماعية التى كانت سائدة في مصر إلى عهد قريب: ظاهرة المحمل وموكبه ورحلته.

والمحمل هو الموكب الذي كان يخرج من مصر كل عام حاملا كسوة الكعبة (صورة١) وظل هذا المحمل يخرج منذ عهد شجر الدر (ت١٢٥٧م/٦٥٥ هـ) وعهد المماليك حتى بداية عهد جمال عبد الناصر (ت١٩٧٠).

وفى الدولة المملوكية وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس أصبحت الكسوة ترسل من مصر، حيث كان المماليك يرون أن هذا شرف لا يجب أن ينازعهم فيه أحد حتى ولو وصل الأمر إلى القتال، فقد أراد ملك اليمن «المجاهد» في عام٧٥١ هـ أن ينزع كسوة الكعبة المصرية ليكسوها كسوة من اليمن، فلما علم

(صورة١) موكب المحمل في رحلته من القاهرة إلى مكة المكرمة

بذلك أمير مكة أخبر المصريين فقبضوا عليه، وأرسل مصفدا في الأغلال إلى القاهرة.

كما كانت هناك أيضا محاولات لنيل شرف كسوة الكعبة من قبل الفرس والعراق ولكن سلاطين المماليك لم يسمحوا لأى أحد أن ينازعهم في هذا، وللمحافظة على هذا الشرف أوقف الملك الصالح إسماعيل بن عبد الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر في عام ٧٥١هـ وقفا خاصا لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة، وهذا الوقف كان عبارة عن قريتين من قرى القليوبية هما بيسوس وأبو الغيث، وكان يتحصل من هذا الوقف على ٨٩٠٠ درهم سنويا.

واستمرت مصر في نيل شرف كسوة الكعبة بعد سقوط دولة المماليك وخضوعها للدولة العثمانية، فقد اهتم السلطان سليم الأول بتصنيع كسوة الكعبة وزركشتها وكذلك كسوة الحجرة النبوية، وكسوة مقام إبراهيم الخليل.

وفي عهد السلطان سليمان القانونى أضاف إلى الوقف المخصص لكسوة الكعبة سبع قري أخرى اتصبح عدد القرى الموقوفة لكسوة الكعبة تسعة قرى وذلك للوفاء بالتزامات الكسوة، وظلت كسوة الكعبة ترسل بانتظام من مصر بصورة سنوية يحملها أمير الحج معه في قافلة الحج المصري.

وفى عهد محمد علي باشا توقفت مصر عن إرسال الكسوة بعد الصدام الذي حدث بين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأراضي الحجازية وقافلة الحج المصرية في عام١٢٢٢ هـ الموافق عام١٨٠٧ م، ولكن أعادت مصر إرسال الكسوة في العام١٢٢٨ هـ.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن دور مصر في كسوة الكعبة بدا فقط مع الخلافة الفاطمية التي اتخذت القاهرة عاصمة لها، بل بدا الدور المصري قبل ذلك بقرون وفي عهد ثاني خلفاء المسلمين الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان يوصي بكسوة الكعبة بالقماش المصري المعروف بالقباطي الذي اشتهرت

بتصنيعه بالفيوم. والقباطي نسبة إلي قبط مصر، وكان المصريون ماهرين في نسج أفضل وأفخر أنواع الثياب والأقمشة.

وكان المحمل يطوف الشوارع قبل الخروج إلى الحجاز وكان يصاحب طوفانه العديد من الاحتفاليات كتزيين المحلات التجارية والرقص بالخيول، وكان الوالي أو نائب عنه يحضر خروج المحمل بنفسه الذي يحمل كسوة الكعبة التي تعتبر أقدس الأماكن عند المسلمين.

وموكب المحمل عبارة عن جمل يحمل المحمل يمر في شوارع القاهرة ويخرج خلفه الجمال التي تحمل المياه وأمتعة الحجاج وخلفه الجند الذين سيحرسون الموكب حتى الحجاز وخلفهم رجال الطرق الصوفية الذين يدقون الطبل ويرفعون الرايات. والمحمل نفسه عبارة عن هودج فارغ يقال أنه كان هودج شجرة الدر أما الكسوة نفسها فكانت توضع في صناديق مغلقة وتحملها الجمال (صورة١).

وبعد الحج يعود المحمل حاملا الكسوة القديمة للكعبة بعد إبدالها بالكسوة الجديدة وتقطع إلى قطع وتوزع على النبلاء والأمراء، وما زالت هذه القطع موجودة في متحف كسوة الكعبة وبعضها في قبور العائلة الملكية في مصر حيث زينوا بها أضرحتهم كنوع من التبرك.

وقد تأسست دار لصناعة كسوة الكعبة بحي «الخرنفش» في القاهرة عام ١٢٣٣هـ، وهو حي عريق يقع عند التقاء شارع بين السورين وميدان باب الشعرية، وما زالت هذه الدار قائمة حتى الآن وتحتفظ بآخر كسوة صنعت للكعبة داخلها، واستمر العمل في دار الخرنفش حتى عام ١٩٦٢م، إذ توقفت مصر عن إرسال كسوة الكعبة لما تولت المملكة العربية السعودية شرف صناعتها.

## رابعا- الدين والجغرافيا السياسية:

قد يظهر أثر الدين على وضع حدود واضحة بين دولتين او إقليمين لكل منهما ديانة محددة، مثل حدود ايرلندا الشمالية والتى تمثل حداً واضحاً بين البروتستانت والكاثوليك، أما على مستوى الدول فإن خط الحدود بين إسرائيل والدول المجاورة يمثل خطاً فاصلاً بين الدول الإسلامية واليهود، وكذلك خط الحدود بين الهند وبنجلاديش شرقاً وباكستان غرباً يمثل حداً بين الإسلام والهندوسية.

ومع بداية الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري، تغيرت خريطة الإمبراطوريات والممالك والدول، ومع الحرب الدينية [الصليبية] تغيرت خريطة التحالفات الدولية خلال قرنين من الزمان. ومع ظهور ظهور جماعات [التكفير] و[الجهاد] في أي مكان تتمزق أوصال الدولة في لمح البصر أو هو أقرب، ومثال ذلك في التاريخ الحديث: أفغانستان وليبيا وسوريا واليمن.

والمثال الأشهر على تأثير الدين على [الجغرافيا السياسية] هو الفكر الشيعي الذي أنشأ نظاما سياسيا ليس له مثيل في العالم كله. وعلى الرغم من أن الشيعة تمثل مذهبا عقائديا فى الإسلام ، إلا أنها فى حقيقة أمرها لعبت كعامل مؤثر فى تاريخ وسياسة الدولة الإسلامية ؛ حيث أن نشأتها الأولى سنة ٣٧ هـ هى نشأة سياسية، طالبت باعطاء الحكم لمن رأته هو أحق به ، تلك الحركة السياسية اذا صح القول عليها هكذا ؛ سرعان ما التزمت بطابع دينى ميز بينها فى الآراء والأحكام الفقهية والشرعية وبين مذهب أهل السنة والجماعة.

وبالحديث عن الشيعة فى مجال الجغرافيا الدينية، فإنها تعد ظاهرة «اثنوغرافية» (تركيبية ) دينية بين سكان العالم الإسلامى نتج عن وجودها العديد من المشكلات السياسية التى اعتلتها قضيتي الإمامة والخلافة ؛ أى ما يعنى (السلطة).

وتعد إيران[1] الدولة الأمثل لعرض النظام السياسى الشيعي القائم على نظرية ولاية الفقيه ؛ وقد تأصل المذهب الشيعى فى بلاد فارس منذ القرن الأول الهجرى. وتأصل فقهاؤهم في التأثير على المجتمعات والسياسات، منذ ظهورهم حتى الآن، مثال ذلك تلك الفتوى التى أصدرها «آية الله محمد حسن شيرازى»- أحد فقهاء الشيعة البارزين - عام ١٨٩١م والتى قضت بتحريم التبغ، ثم تصاعدت قوتهم حتى استطاع الفقهاء المنتسبون للمؤسسة الدينية إقامة أول نظام جمهورى فى إيران عام ١٩٧٩م، حيث كان الدور الأعظم للفقيه والإمام الذى استطاع استقطاب جموع الناس على اختلاف عرقياتهم من خلال الاحتفالات والتقاليد الشيعية وأن يجعل منهم عناصر ثورية ، خاصة مع تعاظم رفض تلك الجموع لسياسات وأفعال الحكام القائمين على السلطة ولأن الناظر لطبيعة المذهب الشيعى يجده فى الأصل مذهبا ثوريا؛ فلم يكن أمام تلك الأغلبية من ملجأ إلا الإمام ومن هنا نجدهم وقد توجهوا إلى التكايا والزوايا والحسينيات، وإلى أى مكان يوجد به عالم دين، مستغلين الاحتفالات التى تقام لأهل البيت فى أوقات وأماكن مختلفة لتكون اجتماعات دينية يعطيها الإمام البعد الدينى السياسى؛ لذا نجد قوة تفاهم وارتباط بين الناس والإمام ... وذلك ما يفتقده السياسيون المحترفون والمفكرون في النظم غير الشيعية، فذكرى الميلاد والشهادة والأربعينيات وليالى الجمع وغيرها . . ؛ تلك المناسبات والاحتفالات لم تنطوى على الجانب الدينى وحده؛ لكنها كانت هى الأساس والقاعدة الشعبية التى انصاعت من خلالها جموع الشعب الإيراني وراء الإمام .

كذلك أصبحت المدن الثقافية والدينية جهة استقطاب لعلماء الشيعة بعد إنشاء مجمع علمى قوى في مدينة (قم)، وبذلك أصبحت «قم» أكثر المدن

(١) تعد إيران ثالث دولة إسلامية آسيوية فى المساحة بعد السعودية وإندونسيا، حيث تبلغ مساحتها ١،٦٤٨ مليون كم٢ ، تتكون أراضيها من ٤٥٪من الأراضى السهلية الصالحة للزراعة و ٢٥٪ أراضى صحراوية ومناقع ملحية ، و٣٠٪ سلاسل جبلية ؛ وتمتد بأطول حدود بحرية على الخليج العربى .

المذهبية فى العالم الشيعى، ومركزا علميا ودينيا هاما فى البلاد.

وتتصف تركيبة نظام الحكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالتعدد والتنوع، والتداخل، ويلاحظ أن مؤسسة القيادة (المرشد العام للثورة الإيرانية) تلعب دورا مفصليا. ويبلغ عدد مؤسسات الحكم سبعا وهي: القيادة والهيئة التنفيذية والهيئة التشريعية والقضاء ومجلس الخبراء والمجلس الأعلى للأمن القومي ومجمع تشخيص مصلحة النظام

وينص دستور جمهورية إيران الإسلامية على أن المرشد هو أعلى سلطة في إيران، وقد منحه الدستور السيادة السياسية والدينية. وبذلك فقد اجتمعت للمرشد صلاحيات لم تجتمع لباقي مؤسسات الدولة مجتمعة.

وفق ما ورد في المادتين (٥) و(١٠٩) من الدستور فإن مؤهلات من يختار لمنصب القيادة هي:

١- العلم ليقوم بدور المفتي في النوازل.

٢- العدالة والمروءة.

٣- الفقه الواسع بظروف العصر.

٤- الشجاعة، والفطنة والذكاء، والقدرة على إدارة الأمور.

واختار الشعب آية الله الخميني أول مرشد للثورة الإيرانية، وبعد وفاته في عام ١٩٨٩ انتخب مجلس الخبراء (المنتخب من قبل الشعب) آية الله علي خامنئي مرشدا ثانياً للثورة.

أما مهام المرشد وصلاحياته فتتمثل في:

١- قرار السياسات العامة للدولة، بعد استشارة مجلس تشخيص مصلحة النظام لتحديد الأهم والمهم، وللمرشد القرار النهائي.

٢-مراقبة تنفيذ السياسات العامة للدولة.

٣-إصدار مرسوم الانتخابات العامة.

٤-يحتفظ بحق إصدار القرارات المهمة للقوات المسلحة.

٥-إعلان الحرب والسلام، والتعبئة العامة للقوات المسلحة.

٦-تعيين وإقالة الشخصيات التالية: فقهاء مجلس الأوصياء. ورئيس الهيئة القضائية، ومدير الإذاعة والتلفزيون، ورئيس أركان الجيش، وقادة قوات جميع أسلحة الجيش المختلفة، وحرس الثورة الإسلامي.

٧-فض النزاعات بين أجنحة القوات المسلحة بالاستعانة بمجلس تشخيص مصلحة النظام.

٨-حل المشاكل التي لا تحل بالطرق العادية، بالاستعانة بمجلس تشخيص مصلحة النظام.

٩-المصادقة على مرسوم الانتخابات الرئاسية، وعلى استكمال مرشحي الرئاسة للصفات المذكورة في الدستور، والتي يجب المصادقة عليها من مجلس الأوصياء قبل بدء الانتخابات.

١٠- إقالة رئيس الدولة من منصبه تحقيقا للمصلحة العامة بعد أن يدينه القضاء في مخالفة قانونية أو بعد أن يحجب مجلس الشورى الثقة عن الرئيس.

١١-إسقاط أو تخفيف الأحكام القضائية على المدانين وفق ما تسمح به الشريعة الإسلامية وبتزكية من رئيس الهيئة القضائية. وللمرشد أن يعطي بعض صلاحياته لشخص آخر.

و﴿تنقسم الهيئة التنفيذية في إيران إلى: مؤسسة الرئاسة، ومجلس الوزراء، ومؤسسة الجيش، وقوات حرس الثورة الإسلامية﴾.

وتتحدد صلاحيات رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى حوالى عشر نقاط أساسين ؛ وهى:

١-اختيار وزراء حكومته وتقديمهم إلى مجلس الشورى لإجراء تصويت الثقة على تعيينهم. غير أن الرئيس ليس في حاجة إلى الحصول على ثقة مجلس الشورى ليشكل الحكومة، كما له حق إقالة الوزراء دون الرجوع إلى المجلس.

٢-المصادقة على القوانين وتطبيقاتها بعد المصادقة عليها من مجلس الشورى.

٣-المصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات والعقود الخارجية، بعد مصادقة مجلس الشورى.

٤-اعتماد أوراق السفراء الأجانب لدى إيران، والمصادقة على تعيين السفراء الإيرانيين.

٥-إدارة ميزانية الدولة، وتنفيذ خطط التنمية بعد مصادقة مجلس الشورى.

٦- رئاسة اجتماعات مجلس الأمن القومي.

٧-يتولى الرئيس أو نائبه رئاسة اجتماعات مجلس الوزراء.

٨- تعيين وكيل (قائم مقام) لمدة أقصاها ثلاثة أشهر لأي وزارة لا يوجد فيها وزير.

٩ -للرئيس -في ظروف خاصة- أن يعين ممثلا عنه بسلطات محددة من خارج مجلس الوزراء على أن تعتبر قرارت الممثل في قوة قرارات الرئيس وأعضاء مجلس الوزراء.

١٠-منح أوسمة الدولة.

## خامسا – الدين والجغرافيا الاقتصادية:

لما كان الدين مؤثرا فى حياة ونفوس البشر؛ فإن لها نفس التأثير على الإنتاج الزراعى والحيوانى فى الإقليم، فمثلاً كان لتحريم الإسلام واليهودية أكل لحم الخنزير أثره فى انعدام تربيته فى معظم الدول الإسلامية، وكذلك تحريم الإسلام للخمر كان له أثره فى انعدام تصنيع الخمور وتداولها. أما فى المسيحية فتفضيلهم للحم الخنزير وحب الخمور أدى إلى اتساع إنتاج مزارع الخنازير فى كل الدول المسيحية وانتشار مزارع العنب، وفى الهند كان لتحريم ذبح الأبقار أن تزايدت أعدادها. كما أن مواسم الحج تعد أشهر أنواع السياحة الدينية عالميا مما يجعل الحج موردا حيويا للدول والمدن والبلدات.

## سادسا – الدين وجغرافية السياحة الدينية:

جرت العادة فى مصر وأغلب دول العالم الإسلامى، وفي كل الديانات أن يزور الناس أضرحة أولياء الله الصالحين وبخاصة فى المواسم والأعياد الدينية. وتشير الدراسات الإنثربولوجية إلى أن سكان مصر متدينون بطبعهم، ومن ثم نجد الصوامع والبِيَعَ والمساجد تنتشر في كل ربوع مصر مشيرة إلى الديانات السماوية الثلاث. وقد شرُفت مصر بقدوم عشرات الصحابة إليها؛ أحصاهم السيوطي (ت ٩١١هـ) في: «در السحابة في من دخل مصر من الصحابة»؛ ثم شرُفت بقدوم آل البيت ـ عليهم السلام ـ عام ٦١هـ؛ فعظّم المصريون قدرهم أحياءً وأمواتا. ومن مظاهر ذلك التعظيم زيارة قبورهم وأضرحتهم والتى يتركز أغلبها في مدينة القاهرة.

وأصبحت السياحة الدينية، أحد أنماط السياحة العالمية، ذلك لاتساع نطاقها الجغرافي الذي يشكل ركيزة السياحة التي لا تقوم على توفر مبررات جغرافية (طبيعية) مثل البحيرات السياحية والمصايف والأنهار وأماكن الطبيعة الخلابة،

بل ترتبط بالبعد الحضاري والتراث الديني لشعوب العالم حيث ينتقل السكان من أماكن إقامتهم الى أماكن مختلفة من العالم للقيام بزيارات ورحلات دينية داخل حدود الدولة أو خارجها لتأدية طقوس عبادية معينة فضلا عن البعد الترفيهي الذي توفره في ذلك[1].

ولقد خلقت الديانات ـ ومنها الإسلام ـ بكل ثقافاتها وروحانيتها سلوكا عمرانيا فريدا تمثل في قيام العديد من «المدن الدينية»، والتي يعد أساس نشأتها المعالم الدينية والآثارية كدُور العبادة والمساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وغيرها، أو مقامات الأنبياء في سوريا وفلسطين، أو أضرحة الصحابة والأولياء في كل بلدان العالم الإسلامي؛ إذ تجذب هذه المراقد آلاف الزائرين، وربما الملايين، حيث أن لكل مرقد أهميته وعليه يتوقف عدد الزائرين للمحلة العمرانية، بل ربما تنشأ المحلة العمرانية مع انعدام عوامل الجذب العمراني كلها إلا عامل واحد هو «الضريح»، ومثاله ضريح أبي الحسن الشاذلي[2] (٥٩١ـ٦٥٦ هـ/١١٩٥ـ١٢٥٨ م) في صحراء عيذاب في قلب الصحراء الشرقية بمصر.

وتشكل أقاليم هذه المقامات موئلا للسكن والعبادة معا ، وتعمل على تنشيط حركة السياحة الدينية للوافدين من مختلف أنحاء العالم بفعل ما توفره من أجواء روحية تستقطب بها السكان والسياح بشكل مباشر[3]، ولعل مراقد آل البيت تحظى بمكانة مرموقة في نفوس الكثير من المسلمين داخل الوطن وخارجه، ومن هذا المنطلق تم اختيارها كنموذج سياحي بارز يمثل نشاط السياحة الدينية بشكلها الواضح.

---

(١) عبد العزيز كامل، الجغرافيا والدين، ص١٨

(٢) انظر ترجمة أبي الحسن الشاذلي في : طبقات الأولياء للمناوي، ٥٦/٤)، و(طبقات الأولياء لابن الملقن، ٧٧/١)، و(شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، ٢٧٧/٥)

(3) Fickeler, P., (1962): Fundamental questions in the geography of religions, p.5

# الفصل الثاني

## الأديان في العصر الحديث

# الفصل الثاني

## الأديان في العصر الحديث

يعد تاريخ الأديان History of Religionsفرعاً من علم الأديان في العالم، وقد أُسست الجمعية الدولية لتاريخ الأديان International Association for History of Religions (IAHR) للعناية بذلك التراث الإنساني.

وعلم تاريخ الأديان لا يقتصر على التطور التاريخي للأديان فقط، وإنما يهتم أيضاً بعرض عقائدها الخاصة وقواعد السلوك فيها، بالإضافة إلى اهتمامه بتفسير الكتب المقدسة، وتطور الأشكال الطقوسية. كما يهتم بأطوار النمو الاجتماعية عند أتباع الأديان المختلفة، ويهتم بالآراء السياسية في المجتمع، وتأثير الأديان على التطور النفسي لأتباعها.

ويوضح هذا العلم المدى الواسع لاهتمامات الدراسة، حيث أن تاريخ الأديان لا يقتصر توجهه من الناحية التاريخية نحو التدوين الخالص لحقائق تاريخية ولا يقتصر في اهتمامه على سمات الماضي. إنه يشمل كلا من التقاليد الدينية الخاصة ككل (مثل البوذية والهندوسية والمسيحية والإسلام) والحركات الفردية داخل الأديان مثل الشيعة الإثنى عشرية داخل الشيعة.

وثمة فرق بين تاريخ الأديان والتفسير العقائدي داخل الأديان، مثال ذلك أن دراسة اللاهوت المسيحي في تاريخ الأديان يقتصر على دراسة القواعد الأكاديمية، في حين يعد الإقناع الديني في «التفسير العقائدي» مصدراً رئيسياً في الإطار التفسيري، ولا يوجد مثل هذا التوجه في تاريخ الدين. وتجمع كل البيانات المعروفة على أساس النتائج التي يمكن التحقق منها بصورة بين موضوعية يتم

التوصل إليها بواسطة طرق تاريخية ولغوية وتجريبية اجتماعية دون إضفاء أي تفصيل للاختيارات الدينية التي تحدث داخل أي حركة من الحركات المدروسة. ولا يعطي «علم تاريخ الأديان» أي تفضيل لأية جماعة. وبالنسبة للتفسيرات العقائدية النابعة من هذه التقاليد الدينية نفسها فإن إسهام تاريخ الدين لا يحابي أوضاعاً معينة ولا يخفي حقائق دينية من أجل الإبقاء على خط عقائدي معين.

## أولاً ـ دراسة الأديان وجغرافيتها:

استمرت دراسة الأديان لقرون عديدة بين القائمين على دراسة الأديان، شرقيين وغربيين وخصوصاً من لعبوا دور الزعامة في الأديان على مدى قرون طويلة. وفي أغلب الأحوال، قاموا بدراسة الأديان التي يمارسونها بأنفسهم، مع أنه في حالات استثنائية قامت بعض الشخصيات بدراسة دين الآخرين. كانت تسمى هذه الدراسات أحيانا باللاهوت، وأحيانا بالفلسفة، ونتيجة لذلك، بمعاني عديدة، تعد دراسة الأديان من الدراسات القديمة، بيد أن دراسة الأديان كموقف أكاديمي فكري متميز تجاه دراسة أديان العالم، يعد ممارسة حديثة جداً، لم توجد حتى بعد حركة التنوير Enlightenment الفلسفية الأوربية.

والدين خلال فترة التنوير عندما كان لا يدان كحقل للرهبان ومجال للمعتقد الخرافي، أصبح ينظر إليه كجزء من تطور التاريخ البشري والثقافي، وموضوع للدراسة فضلا عن كونه الأسلوب الذي ينبغي أن تنتهجه الحياة. وحتى قبل عصر التنوير، كان العالم يجنح لمعرفة الثقافات المتنوعة. وقد ازداد هذا الإدراك بدرجة كبيرة خلال القرن التاسع عشر، الذي بدأت منه الدراسة الأكاديمية للأديان بصورة فعلية. بيد أن هذه الدراسة لم تتوصل إلى شيء له نتائج مثمرة حتى منتصف القرن العشرين.

والقصد من دراسة الأديان أن تكون دراسة محايدة ووضعية وموضوعية وخالية القيمة من تكوين الرأي. وهناك جدل كبير وصراع فكري على ما ينبغي

أن يكون عليه من يمارس دراسة الأديان، من ناحية، أو يمكن أن يكون عليه من ناحية أخرى أن يكونوا محايدين تماماً مثل معالجتهم لموضوع أكاديمي. وهناك الذين حاجوا بأن الدين لا يمكن أن يدرس بطريقة محايدة غير تقييمية، لأن الدين على الرغم من أنه ظاهرة يعد جزءا من التجربة البشرية الكلية، فإنه ظاهرة متعذر اختزالها ومتعذر تفسيرها بغير مصطلحات دينية فريدة. ويجادل آخرون بأنه طالما أن الدين شكل من أشكال النشاط البشري، فإن الأسلوب الذي يدرس به يكون من خلال طرق وضعية واجتماعية وعلمية.

### ١ـ دراسات الجغرافيا الدينية:

وقد تعددت الدراسات التى تعنى بفرعي الجغرافية الدينية بعامة أو جغرافية السياحة الدينية بخاصة، ذلك لأن ثانيهما تابع لأولهما؛ ما ازدهر إلا به، وما نما إلا من خلاله؛ ومن تلك الدراسات ما يلي:

تتبع كونجKong في دراسته (sacred space: a case study of religious buildings in Singapore) عام ١٩٩٣ الأماكن المقدسة في سنغافورة، والتى تمثل ستة أديان هى: الإسلام، والطاوية، والمسيحية، والهندوسية، والسيخ، واليهودية، وتتبع حركة السائحين عند أشهر الأماكن في سنغافورة، وهى: معبد جوديس مرسي Goddess Of Mercy، ومعبد لونج سان بدشت Leong San Buddisht، ومعبد شري ماريمان Shri Mariamman، ومعبد تسي تو أوم بدشت Tse – Tho – Aum Buddisht ، ومعبد تيان هوك كنج Thian Hock Keng، ومعبد يوهاي شنج Yueh – Hai Ching، وكاتدرائية سان أندروس St. Andrews، وكنيسة جود شبرد Good sheperd[1].

أما محمد بسيوني Pacione فقد أوضح في دراسته (The relevance of

(1) Kong, L., (1993): sacred space: a case study of religious buildings in Singapore, Transactions of the Institute of British Geographers 18: 342–358.

religion for a relevant human geography) عام ١٩٩٩ أهمية الدين وصلته بالجغرافيا البشرية، وتحدث فيه عن العقيدة وأثرها في «الجغرافيا السلوكية»، ومنها «زيارة الأماكن المقدسة»، وبخاصة عند المسلمين، إذ كانت طرق الحج أشهر المسالك في العصور الوسطى، ونُزُلُ الحجيج والأسبلة أبرز معالم العمران على تلك الطرق، إضافة إلى طبيعة العمران والخدمات والأسواق في المدينتين المقدستين «مكة والمدينة»[١].

ونحى فالينس Valins ذات المنحى في دراسته (Institutionalized religion) عام ٢٠٠٠ إلا أنه خصص بحثه عن الزيارات المقدسة عند اليهود، والتى تشكل جزءً رئيسا من السياحة في عدة دول على رأسها إسرائيل ثم المملكة المغربية وألمانيا والعراق وأسبانيا[٢].

وتتبع ستمب Stump في دراسته (The geography of religion) عام ٢٠٠١ المدن المقدسة في الديانة المسيحية، والعقيدة اليهودية وخصائص تلك المدن من حيث النسيج الداخلي وأثرها في حركة الهجرة والسياحة، وفيها توقف كثيرا عند المدينة المقدسة «القدس»، وأثرها في حركة السكان عبر التاريخ، سواء إن كانت تلك الحركة للهجرة الدائمة أو للتبرك أو للحج.[٣]

كما تتبّع أولف كوبر Cooper في كتابه الاتجاهات الحديثة في الجغرافيا الدينية (New directions in the geography of religion) عام ٢٠٠٢ أن من أهم تلك الاتجاهات الحديثة في الجغرافيا (دراسة السياحة الدينية) وأثرها في

(1) Pacione, M., (1999): The relevance of religion for a relevant human geography, Scottish Geographical Journal 115:117–131.

(2) Valins, O., (2000): Institutionalized religion: sacred texts and Jewish spatial practice, Annals of the Association of American Geographers 66: 266–276.

(3) Stump, R.W., (2001): The geography of religion - Introduction. Journal of Cultural Geography 7, 1-3.

حركة السكان، وضرب لها مثلا بزوار الكنيسة الأرثوذكسية الفنلندية The Finnish Orthodox Church، والذين يتجاوز عددهم ٦٨٧ ألف زائر سنويا[١].

وأوضح الأستاذان فالينس وهولواي Julian Holloway & Oliver Valins في دراستيهما (Placing religion and spirituality in geography) عام ٢٠٠٩ دور المعتقد الديني religious belief في حركة السكان وبخاصة في المسيحية، وأثر مذهب الكنيسة البريسبيتارية الأسكتلندي Scottish Presbyterianism في أحداث الجغرافيا التاريخية وطبيعة العمران في مدن المملكة المتحدة بعامة واسكتلندا بخاصة[٢].

## ٢ـ الدراسات الدينية في المدارس:

هناك زيادة ملحوظة خلال عقد سبعينيات القرن العشرين في تدريس الأديان بمدارس الدول الغربية، والأكثر لفتاً للانتباه في تلك المدارس، أنها قد سنت أحكاماً قانونية للتعليم الديني. ففي المملكة المتحدة، نجد أن الدراسة الموضوعية المقارنة للأديان قد ضُمّت بشكل مسبق في العديد من المناهج الدينية التعليمية، لكنها كانت قاصرة على الفئات العمرية من ١٦ إلى ١٨ سنة، ونُظر إليها على أنها خارجة على المهمة الأساسية لمشاركة الدين المسيحي في تكوين التلاميذ. وأسهمت ثلاثة عوامل في إدراج الأديان بحكم الحقوق الشخصية لأتباعها:

(١) إدراك الأعداد المتنامية لأتباع الأديان من غير المسيحيين المقيمين في بريطانيا

(٢) اعتراض فلاسفة التعليم لتبرير منهج دراسي يكون مناسباً لكل التلاميذ

(1) Cooper, A., (2002): New directions in the geography of religion, Cambridge University Press. Cambridge.

(2) Julian Holloway & Oliver Valins., (2009): Placing religion and spirituality in geography, Social & Cultural Geography, Vol. 3, No. 1, UK

(٣) تطوير أقسام الدراسات الدينية في الجامعات وكليات التربية.

والهدف من التعليم الديني مساعدة التلاميذ على فهم طبيعة الدين. وقد تضمن هذا اتجاها موضوعياً في السنوات المبكرة من التعليم. وكانت تعقد المؤتمرات أيضاً من خلال المؤتمر الدائم للحوار بين الأديان في التعليم، وهي حركة مرتبطة بالمؤتمر العالمي للأديان World Congress of Faith.

ودراسة الأديان تعد اختيارية في الامتحانات العامة للطلاب. وقد اشترط قانون إصلاح التعليم في سنة ١٩٨٨ لأول مرة أن التعليم الديني لابد أن يأخذ في الاعتبار معتقدات وممارسات الأديان الكبرى الممثلة في بريطانيا.

وفي بعض الدول الإسكندنافية (التي بها أيضاً أحكام قانونية للتعليم الديني) فإن التلاميذ لديهم إمكانية دراسة الأديان. وكان للسويد منذ أمد بعيد نظرة في موضوع الدراسات الدينية، حيث يمكن تدريس الأديان العالمية في أي قسم من النظام المدرسي. وفي أوائل تسعينيات القرن العشرين، سمحت الدانمرك بتدريس الأديان غير المسيحية. وفي العديد من الدول التي لا يوجد بها وضع رسمي للتعليم الديني في المناهج الدراسية، فقد يتم جانب من دراسة الأديان في إطار موضوعات، مثل الدراسات الاجتماعية أو الدراسات الحرة. وفي نيوزيلندا، على سبيل المثال، يحظى تعليم ثقافة شعوب جزر الباسيفيكي بتشجيع من سلطات التعليم. وفي أستراليا، طورت ولاية فيكتوريا وحدات تضم بعض دراسات الأديان للتلاميذ. وفي الولايات المتحدة سمح قرار المحكمة العليا (١٩٦٣) بشكل صريح «بتدريس الدين» في المدارس الحكومية. وفي بولندا، تم إدخال «علم الدين science of religion» في عدد من المدارس الثانوية عام ١٩٨٦؛ ومع ذلك فقد عارضت السلطة الكنسية هذا، وأحدثت ضغطاً من أجل تدريس الدين المسيحي فقط في المدارس.

وفي العديد من الدول، لا يزال يفترض أن دور التعليم الديني هو تنشئة

التلاميذ على الدين السائد في البلاد، سواء كان الدين مسيحيا أم إسلامياً أم يهودياً. بيد سريلانكا تقدم تعليماً دينياً لكل الأديان التي يعتنقها التلاميذ. وفي سنغافورة، في تجربة فريدة في ثمانينيات القرن العشرين، تم اختبار لاختيار الدين الذي يدرسه الطالب، فاختار معظم التلاميذ دينهم الخاص بهم من بين ستة اختيارات متاحة. والإدراك المتنامي لبعض التلاميذ بالأديان الأخرى، وبخاصة المسلمين داخل مدارسهم أدى ببعض الدول، مثل ألمانيا والنمسا وبلجيكا إلى أن تقدم تعليماً دينياً لهؤلاء التلاميذ كبديل للتعليم الديني المسيحي المعترف به. وفي هولندا، من ناحية أخرى، أدى الاعتراف بجماعات الأقلية العرقية داخل البلاد إلى توسيع التعليم الديني للأديان المتعددة غير المعترف بها.

### ٣ـ الدراسات الدينية في الجامعات:

كان لتطور الجامعة الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أن أوجد البيئة الملائمة للدراسات الحديثة في الدين، وقد كانت هناك جذور عديدة لذلك، منها الدراسة المقارنة للأديان، والدراسات المتعلقة بفقه اللغة، وتطور علم الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والتطور المستقل لفلسفة الدين، والدراسات التاريخية الجديدة التي تعنى بتاريخ الكنيسة، وما شابه.

وبدأت الأديان تأخذ موقعها في جامعات العالم الناطقة بالإنجليزية، وإلى حد ما في أماكن أخرى. وقد كانت هناك سوابق؛ ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، في أقسام بجامعة أيوا وجامعة برنستون بدأت تتطرق إلى موضوعات أبعد من حدود الدين المسيحي، بينما تم إلحاق مدرسة مهمة لتاريخ الأديان بكلية اللاهوت بولاية شيكاغو. وفي بريطانيا، كانت هناك كراسي للدين المقارن ومعاهد مماثلة بجامعات ليدز ومانشستر وأكسفورد ولندن. وفي قارة أوروبا، كان هناك كراسي عديدة لتاريخ وعلم ظاهرات الدين، وعلى الأخص في جامعات أوبسالا، ولندن، وليبزج، وباريس، وليدن. بيد أن الدراسات الدينية كموضوع

جديد متعدد النظم التي أدخلت تاريخ الأديان، وموضوعات الثقافات المشتركة، والطرق العلمية الاجتماعية والأفكار الأخلاقية والفلسفية، قد أصبح لها الصدارة خصوصاً في ستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين من خلال اتجاهين كبيرين:

- إنشاء أقسام للدراسات الدينية في بعض الجامعات الحكومية الكبرى في الولايات المتحدة، وحدوث تطورات مماثلة في كندا وبريطانيا.
- توسيع مجال الدراسات الدينية في معاهد خاصة بالتعليم العالي. واهتمام العديد من الطلاب بالأديان غير الغربية، وازدياد البحث والاستطلاع.

كل ذلك أزكى من شعبية الموضوع. وفي كندا، طور عدد من الجامعات الكاثوليكية والجامعات الطائفية الأخرى دراسات دينية بدرجة أكبر من دراسة اللاهوت، التي يتحكم فيها نفوذ برامج التمويل العام. وفي بريطانيا، كان لإنشاء قسم رئيس في جامعة لانكستر تأثير عام على النظام؛ فقد أضافت بعض الأقسام، التي كانت من قبل لاهوتية تماماً، دراسات دينية، ووُجدت فرص كبيرة للدراسة بشكل ملحوظ في لندن، بجامعة ويلز، وفي اسكتلندا، بجامعة إدنبرة، وفي جامعات أخرى. وأنشأت أقسام في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين بجامعات كيب تاون وبيترماريتزبرج وفي جامعات أخرى في جنوب أفريقيا. وفي أستراليا في جامعة برسبان وجامعة سيدني وغيرهما. ولم يصبح من النادر أيضاً تدريس الدراسات الدينية في الجامعات الناطقة بالإنجليزية في أفريقيا.

ومنذ انهيار الإمبراطورية السوفيتية عام ١٩٩٠، ظهرت الدراسات الدينية من جديد في المنطقة كلها التي كانت تحت السيادة السوفيتية سابقاً. حيث توجد في كل مكان في بقاع آسيا وبشكل قوي في اليابان. وفي الولايات المتحدة، ظهرت برامج دراسات عليا كبرى بجامع هارفارد (ووجود مركز بها لدراسة الأديان العالمية) وشيكاغو وبرنستون، وجامعة كليفورنيا بولاية سانتا وولاية باربارا

بفرجينيا وولاية أيوا؛ وفي كندا بجامعة ماكماستر بترنتو وفي جامعات أخرى. ووجدت هذه الدراسات بشكل مماثل للمقررات المقدمة في كليات اللاهوت وبرامج للدراسات اليهودية، والدراسات البوذية، والدراسات الأخرى الأكثر تخصصاً، وأحيانا الدراسات «المُكَرّسة».

ومنذ بدأت الدراسات الدينية في شكلها الحديث، غيرت قوى عديدة طبيعتها الفكرية إلى حد ما. وقد أثر أيضاً زيادة الاهتمام بالدراسات التفسيرية للكتاب المقدس على دراسة النصوص والدراسات الأخرى. وقد تأثر الجمع ما بين العلوم السياسية والدراسات الدينية مع ظهور ظواهر مهمة واضحة، مثل الثورة الإيرانية وحركة طالبان. والمجالات الأخرى المزمع أن تتطور تتعلق بالموسيقى والفنون والنظرية الاقتصادية والتطبيق ومناطق الشتات الديني، والسياسة العامة التي تشمل القانون والأخلاق.

وهناك ما يصل إلى حوالي ٢٠٠٠ قسم للدراسات الدينية في أنحاء العالم. ووصل الموضوع لمرحلة ازدهار، لكنه لا يزال جديداً إلى حد ما في مفهومه، مع التزامه باستكشاف الأديان في حضارتنا العالمية المتفاعلة بشكل وثيق. والاهتمام به لا يمكن إنكاره في عالم تتفاعل فيه الأديان، مثلما تتفاعل الأيديولوجيات الدنيوية مع الدين، وحيث أصبحت مجتمعات الشتات حالياً شيئاً مألوفاً. وفي جميع الثقافات، هناك أعداد متزايدة من الأشخاص الداعين إلى الابتعاد عن الدين وعدم التقيد بالتعاليم الدينية، في حين تساعد ردود الأفعال القوية ضد نزعات الحداثة بأسرها على تقوية أصوليات جديدة ومعارضة وحركات إحيائية أخرى لبعث روح الاهتمام بالدين.

وقد ساعدت الدراسات الدينية في التعليم العالي أيضاً، على ظهور أنواع جديدة من التعليم الديني أو الدراسات الدينية في المدارس؛ فالدراسات الدينية هي فرع من العلوم الاجتماعية، لكنها بدأت أيضاً تلعب دوراً رئيسياً في العلوم

الإنسانية، بسبب ارتباطها الشديد بالثقافات المشتركة، وبسبب اهتمامها الجاد بتنوع وجهات النظر العالمية للبشر.

## ثانيا ـ الاصطلاحات الدينية الحديثة

### ١ـ الأصولية:

الأصولية Fundamentalism اتجاه فكري اعتقادي يدعو إلى العودة إلى الأصول أو الأسس لدين أو مذهب معين تخلصًا من بعض المعتقدات أو أنواع السلوك التي استحدثت في ذلك الدين أو المذهب. ولا يكاد يخلو دين من الأديان الرئيسية أو مذاهبها أو التيارات الفكرية وغير الفكرية من نوع من أنواع الأصولية.

وفي التاريخ الإسلامي القديم والحديث ظهرت جماعات كثيرة تدعو إلى العودة إلى الأصول أو المبادئ الإسلامية، وبين تلك الجماعات - أحيانًا - اختلاف في فهم تلك الأصول والمبادئ وتفسيرها.

غير أن مفهوم الأصولية تطور في الثقافة الغربية نسبة إلى حركة واسعة داخل المذهب البروتستانتي النصراني بالولايات المتحدة تحاول المحافظة على ما تعده الأفكار الأساسية للنصرانية ضد نقد اللاهوتيين الأحرار. ففي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي شكك عدد كبير من علماء الدين الأحرار في صحة الكتاب المقدس ودقته. واستخدموا الأبحاث التاريخية للتشكيك في بعض العقائد النصرانية الراسخة. وحاولوا تعديل اللاهوت النصراني ليتوافق مع الاكتشافات العلمية الحديثة خاصة في علمي الأحياء والجيولوجيا. ومن هنا اعتقد عدد كبير من النصارى بأن آراء الأحرار قد هددت مبادئ النصرانية الأساسية؛ بل بقاءها.

وبين عامي ١٩١٠ و١٩١٥م نشر مؤلفون مجهولون ١٢ كتيبًا بعنوان «الأصول»، وأخذت الأصولية اسمها من هذه الكتيبات. وحاول المؤلفون تفنيد

كل المبادئ الأساسية للنصرانية التي يجب التسليم بها دون تشكيك. وفي الهند تتخذ الأصولية الهندوسية بعدًا سياسيًا من خلال حزبي بهاراتيا جاناتا وفيشاوا هندو باريشاد. ومما يذكر في هذا الصدد، كمثال على التطرف الأصولي، أنه في ديسمبر من عام ١٩٩٢م قام الآلاف من المتطرفين الهندوس بهدم مسجد بابري في آيوديا بولاية أوتار براديش الهندية الشمالية.

وصيغت كلمة «أصولي» في أمريكا سنة ١٩٢٠ لوصف الأحزاب في الطوائف المسيحية الأمريكية – وخصوصاً المعمدانية والمشيخانية – الذين هاجموا بشراسة تجاوزات الحداثة. وكانت الحداثة تمثل في حالتهم تعاليم التطور ونقد الكتاب المقدس Biblical Criticism داخل الطوائف وفي الثقافة من حولهم. وربما وصف الأصولي بأنه «محافظ» أو «تقليدي»، وهو من «يقوم بمعركة من أجل الرب». ووصف جورج ماردسون – وهو مؤرخ أمريكي شهير للأصولية – بأنهم البروتستانت الغاضبون. ويوضح (شكل١) توزيع المسيحيين في العالم

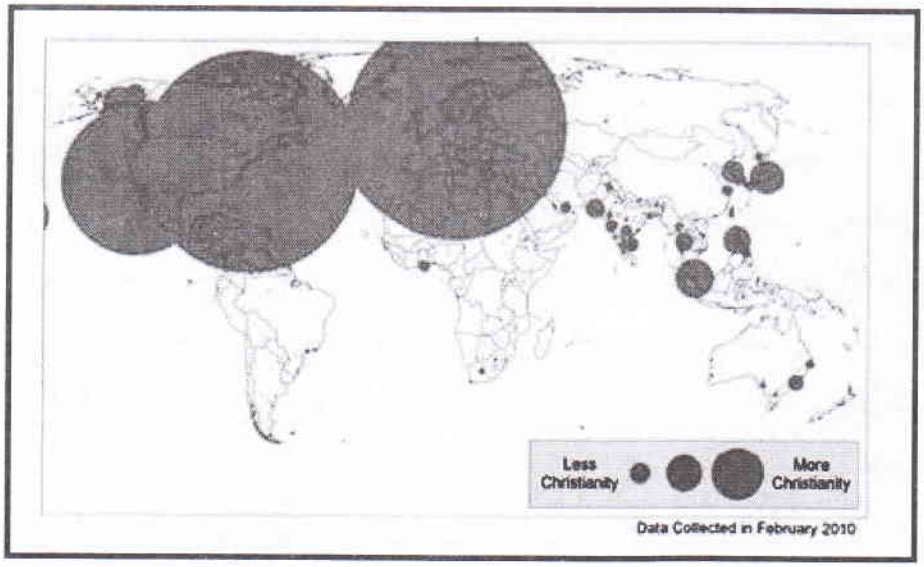


(شكل١) توزيع المسيحيين في العالم

ومن الناحية الجغرافية، تتمثل التأثيرات الأصولية في بقاع بعينها. ففي شمال أفريقيا، يتركز الأصوليون في الصومال والجزائر ومصر. وقد كانت لبعضهم أنشطة إرهابية ضد السياح أثرت على نشاط السياحة في مصر، وأضعفت اقتصادها الوطني وهددت حكومتها[1].

وفي الدولة العبرية ظهرت أحزاب يهودية صغيرة مثل جوش أمونيم Gush Emunim «كتلة الإيمان» أحدثت قلاقل في الضفة الغربية بفلسطين. وفي جميع أنحاء الشرق الأوسط اشترك كل من أحزاب السنة والشيعة في أنشطة عسكرية سواء داخل البلدان الإسلامية أو خارجها.

ويوجد في أفغانستان وباكستان ودول آسيا الوسطى عدة حركات أصولية إسلامية على رأسها طالبان وتنظيم القاعدة. وهناك نشاط قوي للأصوليين من السيخ في البنجاب ضد المسلمين. وشهدت أمريكا الجنوبية ظهور حركات أصولية إنجيليكانية بروتستانتية. في حين توجد حركات كاثوليكية رجعية محافظة، والقليل منهم أصوليون رجعيون بشكل عدواني. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، تكونت الأحزاب الأصولية باتحادها مع المحافظين في حركات مثل حركة «الغالبية الأخلاقية» Moral Majority و«الائتلاف المسيحي» Christian Coalition، وقد نجحوا على المستوى القومي بانتخاب رئيسهم المفضل رونالد ريجان[2] Ronald Reagan. ويشعر بتأثيرهم حالياً على المستوى المحلي في الأنشطة المضادة للإجهاض ومقاومة الكتابات والصور الداعرة ومناصرة الرقابة ومناصرة الأسرة، وهم يسيطرون على الحزب الجمهوري في بعض الولايات، والأقل عددا يتراوح ما بين ١٥ و٢٥ مليون من الإنجيليين الأكثر اعتدالاً والأكثر

(١) عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الأخطار الاقتصادية لظاهرة التكفير ـ السياحة وجماعات التكفير في مصر نموذجا، مؤتمر «ظاهرة التكفير.. الأسباب، الآثار، العلاج»، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، شوال ١٤٣٢هـ/ سبتمبر ٢٠١١

(٢) ريجان (١٩١١م - ٢٠٠٤). رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين ١٩٨١ و١٩٨٩م، ينتمي إلى الحزب الجمهوري، أعيد انتخابه بالأغلبية المطلقة للمرة الثانية عام ١٩٨٤م

امتلاء بالحيوية والنشاط من الأصوليين الذين اتحدوا معهم سياسياً، وقد أدهشوا العلماء بمظهرهم الخارجي وطول بقائهم.

وجذور الأصولية هو الاعتقاد الراسخ بالاعتماد المطلق على كتاب مقدس ثابت وموثوق به تماماً سوف يوفر العقائد (بالنسبة للبروتستانت) والعادات والأعراف (بالنسبة للمسلمين الذين يعتمدون على القرآن والسنة) والقصص والعادات القديمة (تتفانى اليهودية في الاستخدام الحرفي للتوراة) التي يجد فيها المؤمنون الهُوية والنص الذي يشكل دليلا وهدفا، وقد أصبحت هي الوسائل الوحيدة لديهم لاستنباط مقاصد الله في العالم. وينقسم العالم بحدة عندهم بين أحزاب الخير والشر، وبالتالي بين الله والشيطان، أو المسيح والمسيخ الدجال، أو شعب الله والشعب الملحد، أو ديار الكفر وديار الإيمان.

والأصولية دائماً تحكم من خلال سلطة ذكرية تنكر الأنثى، وتخرجها من المشاركة في المجتمع بالكلية، وغالبا ما تكون شديدة الطائفية. وفي الدول الأكثر هدوءا يمكنهم أن يكونوا أكثر التزاما بالقوانين، وطنيين تماماً حيث يرضيهم النظام ويكرسون أنفسهم للعبادة والتعليم. في حين أن شدة تمسكهم بحرفية الأصل قد يغضبون إخوانهم في الدين غير الأصوليين، فإنهم يبدو أنهم لا يفضلون إقحام أنفسهم على الساحة العامة، بينما في مناطق الانتفاضة الاجتماعي والثقافية، على سبيل المثال الجزائر، يبعث النظام العسكري الحاكم على رد فعل الأصوليين إلى اللجوء للعنف، حيث يشعر المؤمنون بأنهم مُعتدى عليهم من الحاكم ووسائل الإعلام.

وقد أثارت شرعية تطبيق مصطلح «الأصولية» على الدين الإسلامي جدلاً كثيراً بين العلماء. وقد اكتسب المصطلح استخداماً واسع النطاق في كل من وسائل الإعلام الشعبية والكتابات العلمية، وقد دلل البعض على أنه ملائم حقاً. وقد علق بعض الكتّاب على نقص التشابه التعريفي الكامل بين تطبيق الكلمة

في الإسلام وصياغتها الأصلية في الجماعات البروتستانتية الأمريكية. وتتضمن المصطلحات الأخرى التي اقترحت بديلا للأصولية الإسلامية: «الإسلام المتطرف» و«الحركة الإصلاحية الإسلامية» و«الراديكالية الإسلامية». ومع ذلك فإن ملائمة كلمة «أصولية» تقع في العديد من العناصر الموجودة في وصف عام للظاهرة الأصولية.

ومذهب الجهاد السياسي للأصوليين بصفة عامة في محاربة الميول الدنيوية والليبرالية[1] في المجتمع مذهب ملحوظ في الواقع الإسلامي. والاهتمام المعبر عنه هو استعادة أصول الإسلام لخلق هوية دينية من خلال نظام سياسي واجتماعي مصدره الأيديولوجية الإسلامية. وتكتمل هذه الاستعادة للإسلام من خلال التوكيد على معتقدات وممارسات معينة تعمل على تقديم وسائل على أسس إسلامية. والسمة الغالبة في هذا الخصوص هي هدف وضع متطلبات الشريعة الإسلامية موضع التنفيذ مع هدف تطبيق الإسلام على كل صور الحياة. والظاهرة العامة للإسلام تخص الأصوليين، لكن الأساس لهذه الظاهرة يوصف بأنه ينبع من إيمان شخصي قوي.

وغالباً ما تُصور الأصولية في العالم الإسلامي بأنها بدأت مع الوهابيين Wahabis في القرن الثامن عشر في الجزيرة العربية، وربما تعود بدايتها إلى زمن أبعد من ذلك، حيث يستشهد بها كاتجاه يتكرر كثيراً في الإسلام، وبهذه الطريقة، ينظر إلى الأصولية على أنها حركة إسلامية داخلية، تتسم بروح داعية لإحياء الدين، مضادة للصوفية ومضادة للفلسفة، وليست رد فعل لمفهوم الحداثة وحدها.

---

(١) الليبرالية Liberalism: فلسفة اقتصادية وسياسية تؤكد على الحرية والمساواة وإتاحة الفُرص. وتعد الليبرالية مصطلحًا غامضًا لأن معناها وتأكيداتها تبدَّلت بصورة ملحوظة بمرور السنين. وقد أوحت الأفكار الليبرالية المبكرة بالثورة الإنجليزية عام ١٦٨٨م وبالثورة الأمريكية عام ١٧٧٥م وبالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وقد أدَّت الثورات الليبرالية إلى قيام حكومات عديدة تستند إلى دستور قائم على موافقة المحكومين.

ومراراً ما تكمن الأصولية المعاصرة في الآراء المتطرفة في المجتمع، ولا تتصل بالطبقات الدينية المتعلمة ولا بصناع القرار السياسي الحكومي، وهذا يساعد على تمييزها عن الاتجاهات الإحيائية الأقدم التي استهدفت الحصول على شرعية قانونية.

والأصولية الإسلامية المعاصرة ظاهرة حضرية في طبقة دون متوسطة تعبر عن فشل إحباط توقعات اقتصادية واجتماعية ورغبات تشعر بها جماعة مثقفة حديثاً من الشباب لم تأخذ وضعها المناسب في المجتمع.

ولا تدل الأصولية الإسلامية على حركة واحدة بل تدل على تكتل من الجماعات ذات ميول متشابهة، فالأخوان المسلمون في مصر التى أسسها حسن البنا، وجماعة الإسلام التي أسسها أبو الأعلى المودودي، وأصبحت قوة لها شأنها في باكستان، هما الظاهرتان الأكثر نموذجية لهذا الاتجاه مع أنه من المؤكد أنه من الممكن الإشارة إلى جماعات عديدة تتنوع في الوصف.

ولد أبو الأعلى المودودي في سنة ١٩٠٣ وأسس جماعة الإسلام في الهند في سنة ١٩٤١، وقد كان زعيماً سياسياً دينياً في باكستان حتى وفاته في سنة ١٩٧٩. وقد نصح المسلمين بالعودة على القرآن والسنة المطهرة من أجل بعث القوة والنشاط في الإسلام. وكان على الإسلام أن يصبح دستوراً للدولة لكي يحدث هذا، وعلى ذلك عمل المودودي تجاه هذا الهدف السياسي في باكستان، وكتب بإسهاب وكان لكتبه تأثير كبير على المسلمين في العالم. وكانت مطالباته الملحة بالالتزام بإحياء إيمان خاص من المسلمين في التزامهم مع أنفسهم ومجتمعاتهم لها صداها في أماكن عديدة من مناطق تجمع المسلمين خارج أوطانهم، حيث بدا هدف تحقيق دولة مسلمة ـ بالمفهوم الأصولي ـ أمر غير محتمل في المستقبل القريب.

والشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م)، مؤسس جمعية

(الإخوان المسلمين) بمصر، ولد في المحمودية بمحافظة البحيرة، وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقام بالإسماعيلية أول دار (للإخوان)، ولم يقتصر على دعوة الرجال، فأنشأ في الاسماعيلية (معهد أمهات المسلمين) لتربية البنات تربية دينية صالحة، ونقل (مدرسا) إلى القاهرة، فانتقل معه (المركز العام ومقر القيادة) ولقي فيها إقبالا على دعوته. وعظم أمر (الاخوان) وناهز عددهم نصف مليون. وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة) فقام الشيخ يُعرّف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون) وأنشأ بالقاهرة جريدة (الإخوان المسلمين) يومية، فكانت منبره الكتابي إلى جانب منابره الخطابية. وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب المتطوعة. ونودي بالهدنة، وفي أيدي (الإخوان) سلاح دربوا على استعماله، وادخروه للملمات، فحدثت في القاهرة والإسكندرية أحداث إرهابية عجزت السلطات القائمة عن معالجتها، فلجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النقراشي) إلى إقفال أندية (الإخوان) ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنا) فتحولوا إلى (خلايا) سرية، تعمل في الخفاء. وتصدى أحدهم إلى النقراشي، فاغتاله جهرة، أمام حرسه وجنده. ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة، ليلا، فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا. ولم يجد البنا من يضمد جراحه، فتوفي بعد ساعتين. وكان خطيبا فياضا، ينحو منحى الوعظ والارشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظما، يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية)[1]. وقد وصلت

(١) الأعلام للزركلي (٢/ ١٨٣)

جماعة الإخوان للحكم في مصر عام ٢٠١٢، ولم تمكث إلا عاما واحدا حتى رفض الشعب والمؤسسات حكمها، والذي اكتشفوا إلى أنه سيجر البلاد إلى المشهد الأفغاني أو اللبناني أو الليبي أو السوري، حيث القتل والدمار والطائفية؛ فتم إقصاؤهم في ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

أما التيار السلفي الأصولي في مصر وغيرها فتنعدم عنده الرؤية السياسية، وربما اصطدم مع الجماعات الأخرى، رغم صدق نواياه وإخلاصه في نصرة الدين، ومعرفته بالعلوم الشرعية معرفة جيدة، وقد شرع في تغيير منهجه بمحاولة فهم «فقه الواقع»، وذلك بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر حينما وجد نفسه غريبا مضطهدا من العامة والخاصة لبعده عن الواقع[١].

وقد ادخر الإسلاميون الأصوليون قدراً كبيراً من الاهتمام بالصحافة في السنوات الأخيرة وأصبحوا في عقول كثيرة مرادفين للإسلام ككل. ومع ذلك، فإن الأصولية كحركة لا تمثل إلا جزءاً صغيراً من تعداد العالم الإسلامي.

**٢ـ التنوير:**

ظهر التنوير Enlightenment كحركة فكرية أوربية في القرن الثامن عشر لها جذور في أفكار القرن السابع عشر في العلوم والفلسفة، خصوصاً في فلسفة جون لوك John Locke (١٦٣٢-١٧٠٤) الذي تتضمن أفكاره علاقة العقل بالدين. وللحركة وجودها في فرنسا وألمانيا وبريطانيا. ولوحظ من بين المفكرين الفرنسيين فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) وهو الشاعر وكاتب المسرحية والفيلسوف وكاتب المقال، موقفه المعادي من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والنفوذ الأكليريكي[٢] في السياسة، وقد اعتبرت المسيحية التقليدية كتابات فولتير من

(١) عبد العظيم أحمد عبد العظيم: ضوابط العمل السياسي في الإسلام، ص١٢٣

(٢) الإكليروس هو النظام الكهنوتي الخاص بإدارة الكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي

أعمال الهرطقة، وكان فولتير أيضاً معجباً بالتسامح الديني والتقوى والإيمان القائم على العقل؛ ومونتسكيو MONTESQUIEU (١٦٨٩-١٧٥٥) المؤرخ والمُنظّر الاجتماعي والسياسي؛ وديدرو DIDEROT (١٧١٣-١٧٨٤) وقد كان الأخير مؤلفاً لموسوعة تتكون من ١٧ مجلداً وهي الأثر الباقي من التنوير الفرنسي. وقد احتوت الموسوعة بخلاف كتابات ديدرو أعمال فولتير ومونتسكيو وروسو. وعلى الرغم من أن الموسوعة لم يكن لها وجهة نظر فكرية واحدة، فإنها احتوت بالفعل على فقرات تهاجم الدين وتدافع عنه في الوقت نفسه، وهي تعد بشكل عام تقدماً سياسياً واجتماعياً من خلال تشجيعها على الجدل حول الأخلاق والسياسة والدين.

وفي ألمانيا كانت حركة التنوير تحت زعامة كريستيان وولف Christian Wolff (١٦٧٩-١٧٥٤) الذي برغم أن لاهوته العقلاني لم يكن راديكالياً فإنه كان مهددا بشكل كاف لإحداث استجابة عنيفة من الأتقياء الألمان. وعارض جوتهولد إفريم ليسنج Gotthold Ephraim Lessing كاتب المسرحية واللاهوتي وولف. واشتق مصطلح «المغالاة في إجلال الكتاب المقدس» لوصف موقف الأصوليين تجاه التقليد المسيحي. وكان الأساس للكثير من النقد المتأخر للوثائق الأساسية للدين العبري والمسيحية هو الناقد التوراتي هرمان صموئيل ريماروس Hermann Samuel Reimarus (١٦٩٤-١٧٦٨). ومع ذلك لقد كانت الشخصية الألمانية المهمة في التنوير هو عمونويل كانت Immanuel Kant (١٧٢٤-١٨٠٤)، الفيلسوف وناقد الدين وزعيم الاستقلال العقلي تجاه تبعية الدين التقليدي.

وكان الهدف الأساسي لمفكري التنوير هو تحقيق الاستقلال الذاتي للفكر والتسامح البشري مع وجهات النظر الفردية. وبالمقارنة كان التفسير الأصولي للكتاب المقدس عبءً ثقيلا في عنق المدافعين عن الوحي. وعلى الرغم من

أن التنوير كان حركة في القرن الثامن عشر لأن هذه الفترة كانت فترة ازدهاره كحدث فكري، فإن تأثيره لم يتغلغل في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية إلا بصورة تدريجية في أوربا وأمريكا. والعديد من المجادلات التي دارت في القرن التاسع عشر المعنية بالدراسات النقدية للكتاب المقدس المسيحي والهجوم على الأخلاق المشكوك فيها في الكثير من العقائد المسيحية تدل على تأثير التنوير.

ولا يزال التقليديون يأسفون لتأثير التنوير ويعدونه هجوماً على طاعة الوالدين والسلطة الكنسية التقليدية والعبادة البسيطة. ومع ذلك، لم يكن للتنوير تأثيرات إيجابية على المسيحية.

إن السخرية التي انصبت على الكتاب المقدس من قبل كتاب التنوير قدمت للمسيحيين خدمة كبيرة بإجبارهم على بدء عملية اقتفاء نشوء فكرة سامية عن الله بدلا من الفكر المشوش عن الإله كطاغية أبدي. وقدم التنوير خدمة أخرى للمسيحية بالسخرية من الجحيم وتهكمات فولتير وحسم ديدرو للقضية التي قدمها المفكرون المسيحيون المجددون.

ولا يزال تأثير التنوير في العديد من الأمور غير مفهوم بشكل كامل في الدول الأوربية والولايات المتحدة في المسائل المتعلقة بالدين والنفوذ السياسي والأخلاق العامة وتحديث الدين ذاته، والعلاقات بين الأجناس وحرية التعبير والتوجه في الحياة الخاصة والعامة.

### ٣ـ الحداثة:

تعد الأديان في جوهرها حركات محافظة، وعادة ما تنظم من أجل الحفاظ على التقاليد والإبقاء على الأوضاع الموجودة. وعلى هذا، فمن الناحية التاريخية، كان على الأديان دوماً أن تتوصل إلى تفاهم مع التغيرات الحادثة في المجتمع والثقافة، ولم يتحقق هذا بشكل أوضح إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين وهي العصور التي يشار إليها بأنها «حديثة» modern. والحداثة Mo-

dernity والمصطلحات المرتبطة بها، مثل حديث modern وعصرانية modern-ism وتحديث modernization كانت مهمة للأديان مثلما كانت مهمة للأوجه الأخرى من الحياة الإنسانية. وقد كانت العصرانية مهمة بصفة خاصة لبعض أشكال الفنون، التي تضمنت النحت، والرسم، والعمارة، والأدب، وكان لها مكانها أيضاً في أشكال معينة من الدين. وقد كان التحديث مهماً في سياقات فنية معينة، لكنه لم يكن كذلك في الدين.

والحداثة Modernity ككل، كطريقة للتعبير عن الاستجابات البشرية لصور التقدم التقني والعلمي والفكري، اتخذت أحيانا موقفاً سلبيا تماما تجاه المعتقدات الدينية والسلوك، وأظهرت نفسها على نحو مستمر كتحد للتقليدية التي عبر عنها الدين. وقد اختلفت الاستجابات الدينية للحداثة بدرجة كبيرة، بدءاً من تجاهل تام لمحاولات تحديث الدين، إلى استجابات معادية تماماً بالتأكيد على كل ما هو تقليدي بصورة قوية، وأحياناً بما يسمى بالسلوك الأصولي الرجعي، وأحياناً بإعادة تبني توجهات دينية انقرضت منذ عصور عديدة، كما في حالة ما يسمى بأديان العصر الجديد أو وجهات نظر دنيوية.

وأطلق مصطلح «العصرانية» modernism على كتابات مجموعة من العلماء الكاثوليك الرومان وكان من أبرزهم ألفرد لويسي Alfred Loisy (١٨٥٧-١٩٤٠) وجورج تايرل George Tyrrell (١٨٦١-١٩٠٩). وقد أدان المنشور البابوي العام أعمال المنادين بالعصرانية في سنة ١٩٠٧.

وفي الإسلام، صاحب العصرانية modernism شخصيات أمثال جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٩٩٧) من فارس، والشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٢٨) من مصر، وأمير علي (١٨٤٩-١٩٢٨) ومحمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨) من الهند والباكستان. وكان من البارزين من الزعماء المسلمين، الذين أعادوا توكيد القيم التقليدية آية الله الخوميني (١٩٠٢-١٩٨٩) في إيران.

ومن بين الزعماء الهندوس المحدثين رام موهان روي Ram Mohan Roy (١٧٧٢-١٨٣٣) وراماكريشنا Ramakrishana(١٨٣٤-١٨٨٦) وتلميذه سوامي فيفكاناندا Swami Vivekananda وسري أوروبندو Sri Aurobin-do (١٨٧٢-١٩٥٠) ومهناس كاراماتشاندا Mohanas Karamchand ومهاتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨). وكان المصلح الهندوسي، الذي رغب في معادلة النفوذ الغربي بإعادة التأكيد على التقاليد هو سوامي دايانادا Swami Dayananda.

## ٤ـ الأيديولوجية:

الأيديولوجية Ideology: نظام من المعتقدات يشارك فيه مجموعة من الناس، وتؤثر فيه أنواع السلوك التي يوافقون عليها والتي لا يوافقون عليها. وبالمفهوم الواسع، يكون لأي حزب سياسي أيدلوجية تضع حدودا لنوع السياسة التي يمكن اتباعها. غير أن الكلمة عادة ما تطلق على مجموعة من العقائد تعلق أهمية معينة على المجاهرة برأي وتكون علاقتها بالتطبيق غامضة. واعتبر ماركس Marx (١٨١٨-١٨٨٣) وفريدريك إنجلز F.Engles (١٨٢٠-١٩٩٥) الأيديولوجيات بأنها حيل من الطبقة الحاكمة على المجتمع كمجموعة من الأفكار التي تعكس علاقات اقتصادية موجودة. فهي نوع من الخداع، والتي إن نجحت فإنها تحدث «وعيا زائفا» بين الناس ورضاءً ذاتيا مناظراً حول النظام القائم في المجتمع. وتعد الأديان وفقاً لماركس أيدولوجيات بهذا المعنى.

وتصور ماركس للأيديولوجية قد ثبت تأثيره الشديد وتبناه غير الماركسيين بصورة معدلة. وعلى سبيل المثال، فإن الاجتماعي الأمريكي بيتر بيرجر Peter Berger اتبع ماركس في الاحتفاظ بكلمة أيديولوجية للحالات التي تخدم فيها فكرة معينة مصلحة ثابتة في المجتمع، بحيث تقدم مظهر التبرير السلوك الذي لولا ذلك لبدا متعذرا الدفاع عنه. وقال بيرجر أن الأيدولوجيين قد يخدعون أنفسهم بالحيلة التي يمارسونها على الآخرين. وبهذه الطريقة يعتقد أن الآراء الدينية يمكن

أن تعمل بمثابة أيديولوجيات تحقق نفعا شخصيا لجماعات أو أفراد. وأحد الأمثلة التي قدمها بيرجر، هي الدور الذي تلعبه الأصولية البروتستانتية في الاحتفاظ بالنظام الاجتماعي العنصري لجنوبي الولايات المتحدة. ويزعم برجر أن الوعاظ الإحيائيين REVIVALLIST preachers يربطون المبادئ الأخلاقية بأفعال خاصة ويربطون الأخلاق العامة بالأفعال الخاصة للأشخاص العموميين الذين يأسهمون في الإبقاء على نظام اجتماعي تعد تنظيماته الاجتماعية الأساسية مشكوك فيه.

### ٥ـ فلسفة الدين:

فلسفة الدين Philosophy of Religion: تفكير نقدي للمفاهيم والمعتقدات المُتضمنة في الدين. فهي تهتم بما يمكن أن يرسخ في الدين بواسطة العقل وحده، ومن ذلك الأدلة العديدة على وجود الله. فقد بحث فلاسفة يؤمنون بعقائد دينية مختلفة، أو لا دين لهم عن أدلة لتبرير قبول التوحيد، أو ليبرهنوا على خلود الروح، أو التشكك في خلودها. وكانت فلسفة الدين جزءاً مكملاً للتراث الميتافيزيقي الغربي منذ أفلاطون. وقد ساعدت فلسفات مثل الرواقية[1] أو وحدة الوجود أتباعها معوضة إياهم عن الدين السائد على نطاق مجتمعاتهم. وفي التقليد الغربي، كان دائماً هناك بعض درجات التوتر بين الدين والفلسفة. وكانت هناك محاولات، في العصور القديمة والحديثة للتوفيق ما بين فلسفات معينة وأديان معينة. وكان يعتقد أن بعض الفلسفات لا تتوافق غالباً مع المعتقد الديني، في حين بدت فلسفات أخرى متجانسة في مظهرها روحا وطبعاً.

---

(١) الفلسفة الرَّوَاقِيَّة Stoic philosophy: مذهب فلسفي ازدهر حوالي القرن الرابع قبل الميلاد واستمر حتى القرن الرابع الميلادي. ورأى الرواقيون أن الناس يحققون أعظم خير لأنفسهم، ويبلغون السعادة باتباع الحق، وبتحرير أنفسهم من الانفعالات، وبالتركيز فقط على أشياء بوسعهم السيطرة عليها. وكان الرواقيون الأوائل، وخاصة كريسيبيس، مغرمين بالمنطق، والفلسفة الطبيعية والأخلاقيات.

وقد حدث توافق مع فلسفات أكثر حداثة مثل الوجودية[1] EXISTENTIAL-ISM والتجريبية[2] EMPIRICISM.

وبعض الحركات الفلسفية في القرن العشرين (مثل الماركسية MARX-ISM) كانت معادية بشكل علني للدين، فقد كانت الفلسفات من بين البدائل الدنيوية الحديثة للدين. وقد نشأ عن ذلك، توافقات المعتقد الديني مع التجريبية، التي اختصرت المسيحية بدرجة كبيرة إلى مضمونها الأخلاقي. وقد كان هناك رد فعل، تأثر على وجه الخصوص بكتابات لودفيج ويتجنشتين Lud-wig Wittgenstein (١٨٨٩-١٩٥١) بهذه النزعة العلمية SCIENTISM. ونازع أتباع وتجنشتين في صحة فكرة تبرير المعتقد الديني، ولفتوا الانتباه إلى الحاجة إلى فهم أفضل لطبيعة المعتقد الديني، ولطبيعة الطريقة التي تعمل بها طريقة اللغة الدينية، واقترح وتجنشتين بنفسه أن تعبيراً عن معتقد ديني لم يكن مثل تعبير عن الرأي حول مسألة حقيقية، وأن المعتقد الديني كان يُفهم خطأ إذا اعتبر كمسألة دلالة. ويرى بعضهم مجموعة معتقدات «معتقدات بلا أساس»، ويرفض بعضهم أفكارا مثل العدالة الإلهية THEODICY.

واستمر فلاسفة آخرون، في اختبار منطقية الاعتقاد الديني، واعترفوا بأهمية المنطقية العلمية. وعلى الرغم من هذا، فقد أصبح الفلاسفة أكثر اهتماماً بالأعمال الحقيقية للغة الدينية، وبالتوصل إلى فهم أفضل للدين. وقد ألفوا كتباً عن موضوعات، مثل طبيعة الإيمان والدين بالإضافة إلى معنى الحياة.

---

(١) الوجودية: حركة فلسفية ظهرت في أوروبا أثناء القرنين التاسع عشر الميلادي. ونشأت من جهود سُورين كيركيجارد، الفيلسوف الدنماركي اللاهوتي البروتستانتي، وفريدريك نيتشه، الفيلسوف الألماني. والوجوديون يرون أن على الفرد أن يقرر باستمرار ما هو صحيح وما هو زائف، ما هو حقيقي وما هو خاطئ، وأي معتقدات تُقبل وأيها تُرفض. ولكن لا توجد معايير موضوعية يمكن أن يلجأ إليها الشخص للإجابة عن مشكلات الاختيار.

(٢) التَّجريبيّة: مذهب فلسفي يتبنّاه بعض العلماء، يَعُدُّ الخبرة مصدر المعرفة. ويرفضون النتائج التي تعتمد على الفهم المجرّد، والمعايير الدينية أو السلطة السياسية.

### ٦ـ سوسيولوجيا الدين:

لا تهتم سوسيولوجيا الدين Sociology of Religion – فقط- بحقيقة المعتقدات التي يعتنقها الناس، ولكن بمسائل تجريبية مثل ما هي نوعية الناس التي تعتنق أنواعاً من المعتقدات تحت ظروف معينة، وما هي النتائج التي تعود على الناس وعلى المجتمع ككل لاعتقادهم هذه المعتقدات. ومدى مجالات الدراسة في سوسيولوجيا الدين كبير، إذ لا تشمل فقط استقصاء أسباب مجموعة دينية معينة، مثل المعمدانيين الجنوبيين، والكاثوليكية الرومانية، والبوذية، والإسلام والأديان الأفريقية، والمقارنات بين الأديان، بل أيضاً طبيعة ومدى العلاقات بين المؤسسات الدينية والمعتقدات والمجالات الأخرى للمجتمع، مثل الاقتصاد، والأسرة، أو السياسة، أو وسائل الإعلام، أو الجماليات والممارسات الجنسية.

ويهتم علماء اجتماع الأديان أيضاً بتقييم الظروف التي تؤدي في ظلها لأديان إلى صراع وتفتت وتماسك أو تكافل داخل مجتمع؛ وبشكل ذي صلة بعدد من العمليات مثل اعتناق دين أو مذهب، وارتداد عن دين أو مذهب، واعتناق دين جديد، وفي مقارنة الأنواع المختلفة من التنظيمات والسلطة الدينية. ودور الشخصية الكارزمية ما هو إلا أحد هذه الأمثلة.

وعلى الرغم من أن العديد من علماء الاجتماع قد كتبوا عن الدين، فلم تصبح كتاباتهم راسخة بدرجة كبيرة إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبح هناك طائفة من العلماء يمكن وصفهم بأنهم علماء دين. وعادة ما يكون لجمعيات العلوم الاجتماعية الوطنية والدولية قسم للمتخصصين في الدين وعدد من التنظيمات المهنية المستقلة، البعض منها لديها صحفها الدورية.

### ٧ـ صدام الأديان:

الأديان هي التعبير الاجتماعي عن ولاء الشعوب الديني، وعندما كانت تهاجر الشعوب من إقليم لآخر كانت أديانها تتصادم على مدار التاريخ البشري.

وقد نجمت عن المصادمات نتائج عديدة. وفي بعض الحالات يضمن الشعب القوي أن دينه قد انتصر وحَوّل الأشكال المحلية من الدين إلى وضع أقلية؛ أو في الحالات المتطرفة، نشأ عن الدين السائد محو الأديان الأخرى. وهذا ما حدث بوضوح عندما انتشرت المسيحية في كافة أرجاء أوربا بعدما حصلت على مكان السيادة في الإمبراطورية الرومانية. وفي شمال أفريقيا، إذ انمحت المسيحية الأولى تقريباً مع قدوم الإسلام في القرن السابع والثامن الهجريين. وفي حالات عديدة نشأ عن حركة الدين الغالب حركة توفيقية Syncretism ومن خلالها امتص الدين الغالب الأديان المحلية أثناء التقدم الجغرافي أو التاريخي. ويمكن النظر إلى هذه الحالة في أوجه معينة من المسيحية في أوربا، وفي الهندوسية في جنوب شرق آسيا، وفي البوذية في كافة أرجاء آسيا على اليابان، وفي الإسلام في شبه القارة الهندية. ومثل هذه الحركات والمصادمات التي قد حدثت في الغالب الأعظم بدون شعور ذاتي كبير من جانب المنتمين للدين، تعد جزءاً من عموم تاريخ الأديان.

وقد كان هناك أيضاً العديد من المصادمات بين الأديان نجم عنها صراع عندما تنافست الأديان من أجل الحصول على المكان والولاء. وأحد الصراعات الرئيسية في تاريخ الأديان التي ظلت حتى فترة حديثة هي استمرار الصراع بين المسيحية والإسلام الذي يعود إلى فترة الحروب الصليبية من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي، وتمثلت بشكل أوضح بهزيمة المسلمين وطردهم من أسبانيا في سنة ١٤٩٢م على يد المسيحيين. وقد أصبح الصدام بين الأديان En-counter of Religions في العصور الحديثة مسألة خلقت بعض أشكال التسوية المؤقتة أو طريقة للعيش في عالم متعدد بشكل متزايد، حيث أصبحت الشعوب وانتماءاتها الدينية على درجة أكبر من التعقل، وكشعور ذاتي بالحاجة إلى العمل معاً بدلاً من التنافس الذي أرهق بعض الجماعات الدينية، والتي لازالت حتى الجزء الأخير من القرن العشرين تمارس أعمالاً تبشيرية بهدف تنحية

الأديان المحلية، وهي حركة كانت جزءاً من تاريخ المسيحية والإسلام والبوذية واستمرت لعدة قرون.

ومنذ القرن التاسع عشر على وجه الخصوص مع نمو قوى سياسية مثل الإمبراطورية البريطانية، كان هناك إدراك متزايد للقدرة على البقاء لأشكال مختلفة من الدين، وبحاجة أكبر لدراسة هذه الأديان التي كانت تتنافس في السابق والتي أجبرت شعوب أحد الأديان بشكل متزايد على العيش في وئام فقد كان ذلك ميسوراً. وعلى ذلك فقد اتخذ الصدام قوة في صورة استراتيجيات مثل «برامج الحوار بين الأديان»، مع الدعوة لنبذ الصدام وزيادة التعاون والتسامح.

ومن الناحية التاريخية فإن هذا النوع من الحركات الذي ظهر من حركة داخل المسيحية للتشجيع على التعاون بين الطوائف المسيحية، فقد كانت الحركات المسكونية[1] Ecumenical Movement توصف أحياناً بأنها «المسكونية الأوسع» وقد أصبحت جزءاً من تاريخ الأديان وبذلك أصبحت هدفاً مناسباً للدراسة في حد ذاتها بخلاف وجودها كحركة داخل عدد من الأديان.

وقد أسهم اللاهوتيون[2] المسيحيون في محاولة إيجاد انسجام بين الأديان من خلال صياغة لاهوتهم على فرض تعددية الأديان، وأحيانا بدواعي الحاجة إلى تعاون الأديان ضد تهديد الحركات العلمانية[3] أو الأفكار الاعتبارية للطبقات

(١) تُعدُّ الحركة المسكونية العالمية التي سعت إلى توحيد النصرانية كافة من أكبر التطورات في النصرانية خلال القرن العشرين. وقد بدأت الحركة مع بداية هذا القرن. كانت في البداية محصورة في طائفة البروتستانت الذين وحدوا طوائفهم المختلفة. وفي منتصف القرن، بدأ الكاثوليك دورًا نشطًا في الحركة المسكونية؛ إذ تبنت الوثيقة التي أصدرها مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م) أهداف الحركة المسكونية، كما اجتمع قادة الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية في منتصف القرن العشرين، لبحث الطرق التي يمكن بها التقريب بين الطائفتين.

(٢) اللاهوت Theology: علم العقائد النصرانية، وهو نظام من التفكير الديني يقتصر في معناه، بسبب نشأته وشكله، على النصرانية وحدها. وموضوعات علم اللاهوت الرئيسية هي: الله، الإنسان، العالم، الخلاص، البعث، الحساب.

(٣) - شهدت العلمانية في مصر هجوما صارخا من الجماعات الإسلامية بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

الاجتماعية أو الفرق الفلسفية أو الأحزاب السياسية. وقد كان هناك عدد من المحاولات لصياغة لاهوت للأديان أو لاهوت عالمي أو لاهوت شامل. وعلى الرغم من أن المبادرة قد جاءت من داخل المسيحية فقد استجاب لها زعماء الأديان الأخرى بشكل متزايد. وعلى المستوى الرسمي بصورة عالمية فقد أنشأت المسيحية هيئات مثل «سكرتارية الفاتيكان لغير المسيحيين». وأوجد المجلس العالمي للكنائس في جنيف حواراً مع أفراد من ديانات وأيديولوجيات أخرى حية من أجل عرض لقاء خلاق وحوار مع شعوب الأديان الأخرى.

**٨ـ الدين الضمني:**

هو استثمار البعد الديني في قضايا قد لا تسمى دينية، مثل الشيوعية والعلمانية. والمصطلح «ضمني» يوجه الاهتمام إلى مجالات السلوك البشري التي عادة ما ترى ببساطة على أنها دنيوية؛ لذا فإن مفهوم الدين الضمني بالمثل يظهر العلاقة التكافلية بين المقدس والدنيوي. ويجب أن نذكر نقيصتان في استخدام مصطلح الدين الضمني Implicit Religion: فمن ناحية، قد لا تكون الدلالة عليه واضحة: وقد يصف الذين يمارسون أيديولوجية مثل العلمانية على سبيل المثال طريقتهم في الحياة على أنها نوع من الدين. وقد استخدم التعبير المماثل لوصف طريقة في التعليم الديني كانت لها تأثير في بريطانيا في الستينيات والسبعينيات، ومرة أخرى في التسعينيات تركز على البحث «الإنساني عن معنى للحياة من خلال التجربة الفعلية». وتشمل المصطلحات ذات الصلة الأخرى « الدين غير المنظور » invisible religion، و«الدين المدني» civil religion و«الدين الشعبي» popular religion. ومع ذلك، فإن «الدين الضمني» لا يقول إن كل شيء ديني، إنه يقول «إن أي شيء قد يكون ديني». فهو أوسع من الدين من خلال اهتمامه بالدنيوية، لكنه أضيق من خلال إصراره على الالتزام.

### ٩ـ الدين الشعبي:

لا يوجد تعريف واحد لما يشكل «الدين الشعبي» Popular Religion. وقد عرفه بعض العلماء بأنه الشكل القروي في مقابل الأشكال الحضرية من الدين، دين الفلاح في مقابل دين الطبقات السائدة؛ أو في صور متنوعة من هذا التعريف، دين الطبقات العامة في مقابل دين الطبقات المثقفة. ومع ذلك إذا كان ينظر إلى الدين الشعبي في مقابل «الدين الرسمي»، فإن الأخير يحدد بأنه الدين المؤسس على وثائق رسمية وانتشر وحافظ عليه المتخصصون في الدين أو الكهنة أو هيئة الكهنوت المرتبة في مراتب متسلسلة، حينئذ يمكن تطبيق المصطلح «شعبي» على أي شخص علماني، سواء كان فلاحا أو في طبقة سائدة يتبنى معتقدات أو ممارسات تكون في خلاف مع وجهات نظر المختصين الدينيين. ويمكن أن يعني الدين الشعبي أيضاً دين جماعات الأقلية العرقية الواقعة في نطاق دين رئيسي أو سائد. ويمكن أن يطبق المصطلح أيضا على الاعتقادات والممارسات المقصورة على فئة قليلة، التي قد تتحد ببعضها بصورة هامشية فقط على أنها دينية، على سبيل المثال الاعتقاد في التنجيم Astrology. ويستخدم المصطلح أحياناً كنظير للفلكلور، ويمكن أن يشير كاتب على الدين الشعبي في شمالي الهند على أنه تطيرات شعبية واستخدامات «في مقابل الإيمان الرسمي بالبرهمية».

## ثالثا ـ الحركات الدينية الحديثة:

تنقسم البشرية بحسب أديانها إلى قسمين: قسم لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى والمسلمين، وكتاب المسلمين [ القرآن العظيم ] هو آخر الكتب الإلهية عهدا، وأوثقها عقدا، تكفل الله بحفظه، ولم يكل ذلك إلى البشر قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، فهو محفوظ في الصدور والسطور، لأنه الكتاب الأخير الذي ضمنه الله الهدى لهذه البشرية، وجعله

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

حجة عليهم إلى قيام الساعة، وكتب له البقاء، وهيأ له في كل زمان من يقيمون حدوده وحروفه، ويعملون بشريعته ويؤمنون به، وسيأتي مزيد تفصيل عن هذا الكتاب العظيم في فقرة قادمة. وقسم ليس لهم كتاب منزل من عند الله، وإن كان لديهم كتاب متوارث منسوب إلى صاحب ديانتهم كالهندوس والمجوس والبوذيين (شكل٢) والكنفوشوسيين. وما من أمة إلا ولها علم وعمل بحسب ما تقوم به مصالح دنياهم.

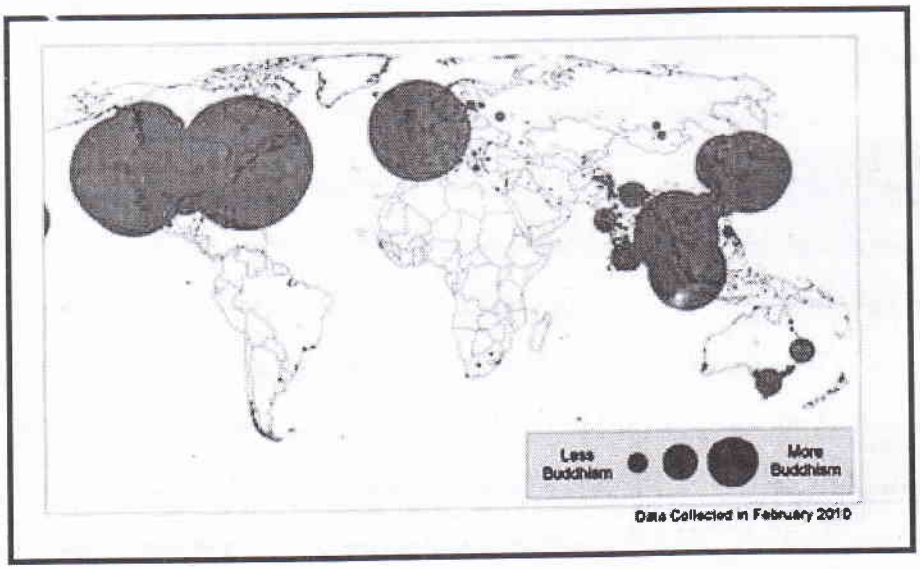


(شكل٢) توزيع البوذيين في العالم

وربما يظهر في بعض المجتمعات ديانات عديدة فيما يعرف بالتعددية الدينية Religious Pluralism، فالعديد من الناس من أديان عديدة يعتقدون أنهم يستجيبون لحقيقة متسامية. ومع ذلك، فإن الإدراك بتلك الحقيقة يختلف اختلافا كبيراً، ليس فقط بين الأديان، ولكن داخل الأديان ذاتها.

ولعدة قرون ولكن بشكل متزايد في القرن العشرين، جاءت الشعوب القبلية في الأمريكتين وآسيا وأفريقيا والباسيفيكي بسلسلة كبيرة من الحركات الدينية

الجديدة من خلال التفاعل مع المزيد من الثقافات المعقدة والقوية والأديان، خصوصاً مع المسيحية وبصورة أقل مع الهندوسية والبوذية، ومع الإسلام بين الفينة والفينة فقط. ولما كانت هذه الحركات تُظهر اختلافات عن التعاليم التي اعتمدت عليها فقد رفضها المشايعون من الأديان المشاركة بشكل عام. ويتحدد تنوعها من سلسلة من الأسماء استخدمت لحركات مختلفة: حركات ذات طابع وطني أو تجديدي أو حركات متعلقة بالإيمان بالعصر الحديث، مثل الطوائف والكنائس المستقلة. وربما يكون هناك ما يزيد عل ١٠٠٠٠ من هذه الحركات يمكن تمييزها في المائة سنة الأخيرة التي تضم ٢٠ مليون عضواً أو يزيد.

وتنشأ الحركات عادة بين أقوام مضطربين أو منحلين، لا يجدون احتياجاتهم في دينهم التقليدي. وغالباً ما كان المؤسسون شخصيات جذابة يدّعون أن لهم تجربة سرية في الاتصال بروح الكون، وكُلفوا بالإتيان بالدين الجديد لقومهم؛ وحتى في الثقافات التي يسيطر عليها رجال أعلى مقاماً، فقد يكون المؤسسون من الشبان أو النساء. والإله الجديد يعد عادة واحداً من الآلهة الشخصية العليا الذي يتطلب طريقة حياة معتادة مع الإصرار على السلام والحب والنظام الجنسي والصناعة وتجنب الكحول والتبغ. وهذا العلم الأخلاقي الصارم يُستبقى عليه بواسطة الشعائر الجديدة والأغنيات، غالباً عن طريق الطبول أو الرقص، ومجموعة الرموز والأشكال الجديدة للعبادة ذات الإبداع الجدير بالاعتبار.

وتقدم البركة مع الشفاء والإيحاءات والقوة من روح الكون، والحماية من القوة الشريرة، والوعد بنظام جديد من الحرية والرخاء، ومجتمع جديد بدلاً من النظام الاجتماعي الممزق. ويأسهم الأمل الجديد واحترام الذات والكرامة في بقاء القوم القبليين للمواجهة مع المجتمع المسيطر والمعادي، ولذا فقد يساعد التكييف طويل المدى على الحداثة والتطور. وفي تلك الحالة فهي أشكال دينية جديدة صحيحة ذات مدى وأهمية كبيرة عبر عالم الثقافات القبلية.

والموجة الجارية للحركات الدينية الحديثة في الغرب أصبحت واضحة في أواسط الستينيات كجزء «من الثقافة المضادة» counter-culture. وخلال حقبة السبعينيات انتشرت الحركات في كل أرجاء العالم الغربي وخصوصاً أمريكا وأستراليا، ونيوزيلندا وغرب أوربا (وخصوصاً في إنجلترا وألمانيا والنمسا)؛ ثم بعد عام ١٩٨٩ بدأ التبشير بها في شرق أوربا والجمهوريات السوفيتية سابقاً (وخصوصاً روسيا). ويتوقف عدد الحركات الدينية الحديثة في الغرب كثيراً على التعريف المستخدم، لكن قُدر أنه يوجد من هذه الحركات ما بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ حركة يمكن التعرف عليها، وإحصاء عضويتها.

وقدمت نظريات مختلفة كتفسير لظهور الحركات الدينية الحديثة الحالية: فقد قيل أنها تمثل رد فعل أو انعكاس للمجتمع العلماني، والمادي، وإنها تواجه احتياجات نفسية أو عاطفية أو اجتماعية للباحثين عنها، وإنها لا تحقق النجاح الذي تسعى إليه إلا من خلال أساليب «غسل الدماغ»، أو السيطرة على العقل، أو في لهجة أكثر عالمية إنها تؤذن بفجر عصر جديد.

ويمكن إجراء مقارنات مع اليابان والهند وأفريقيا المعاصرة، ومع فترات أخرى في التاريخ شهدت انتشار الحركات الدينية الجديدة، مثل روما في القرن الأول والثاني قبل الميلاد، وشمال ووسط أوروبا في ثلاثينيات القرن السادس عشر، وإنجلترا في الفترة من سنة ١٦٢٠ إلى سنة ١٦٥٠، وفي أمريكا الشمالية أثناء النهضة الكبرى في ثلاثينيات القرن الثامن عشر التي تبعتها النهضة الثانية الكبرى في الفترة من سنة ١٨٢٠-١٨٦٠، والمتنبئون في عهدي الدولة الأموية والعباسية.

ومع ذلك فالحركات الدينية الحديثة الحالية حركات متميزة بعض الشيء في أنها تميل لجذب أتباعها من قطاعات المجتمع الناجحة والمثقفة، ولا تأخذ فقط من التقليد المسيحي، ولكن من عدد كبير من الأديان والفلسفات الأخرى، مثل

الهندوسية والبوذية والوثنية، ومن مصادر أخرى مثل التحليل النفسي (أي حركة الطاقة الكامنة البشرية)، والخيال العلمي، وبعض التقاليد الغامضة أو الخفية.

وحقيقة أنهم يمثلون ديانات حديثة يعني أن الهداية إلى ديانات جديدة يحتمل أن تكون لها توقعات أكثر مثالية من فترة السعادة أو العدالة المطلقة أو التحرر من نقائص الوجود البشري، أو الدنيا المثالية، أو التهذيب الذاتي، وعلى الأقل احترام أكبر من الذين ولدوا في دينهم. كما أن المهتدين لدين جديد لهم الميل في أن يكونوا شباناً بالغين مع مسئوليات قليلة؛ وكان هذا سببا لظهور خصائص تختلف عن الذين لهم أديان أكثر ثباتاً.

ومعظم الحركات الدينية الحديثة حالياً لها أعضاؤها في منتصف العمر، مع مسئولية للتابعين من الجيل الثاني أو حتى الجيل الثالث. والعديد من الحركات الدينية الحديثة قد تأسست على يد زعيم مؤثر، وتؤدي وفاة الزعيم إلى ظهور تغيرات في الحركات.

### ١ـ الحركات الدينية السياسية:

إن الاتصال بالمجتمعات القبلية المعقدة يفسد النظام القبلي، خصوصاً في المواقف الاستعمارية أو من خلال اختمار أفكار جديدة تأتي بها الإرساليات المسيحية. فقد ينشأ رد فعل احتجاجي عنيف أو تمرد متضافر مع الحركات الدينية الجديدة، وخصوصاً خلال فترات الاتصال المبكرة، وقد تطورت قنوات التأثير البديلة، مثل الأحزاب السياسية الوطنية واتحادات العمال. وفي القرن العشرين، وقعت ثورات قبلية أو قام بها الفلاحون ولها أبعاد دينية، في بيرو وإندونسيا، وبين الكولوريم colorums في الفلبين، وفي شرق أفريقيا، ظهرت حركة ماجي ماجي (الماء) سنة ١٩٠٦ في تنجانيقا، وظهرت سلسلة من الفرق الدينية الوطنية المحلية في كينيا، والتي وقعت في مصادمات بين الحين والآخر مع الحكومة.

مثلما كان الراستافاريون Rastafarians في منطقة الكاريبي، وحركة طقوس شحنة السفينة Cargo Cults في ميلانيزيا.

### أ- جماعة الأصدقاء الدينية (الكويكرز):

تأسست جماعة الأصدقاء الدينية (الكويكرز) Friends, Religious Society of (Quakers) في خمسينيات القرن السابع عشر وكانت تسمى في الأصل أبناء النور أو أصدقاء الحقيقة. ويعد مارجريت فيل (١٦١٤-١٧٠٢) وجروج فوكس (١٦٢٤-١٦٩١) الزعيمان الرئيسيان في السنوات الأولى. وسعى الأصدقاء إلى العودة إلى المسيحية الأولى، وقد اعتبروا الكنائس (أبراجا) ومنصب الكاهن مدفوع الراتب (منصب الكاهن المأجور)، وعبارات القربان المقدس والأسرار المقدسة الخارجية علامات على الارتداد عن العقيدة. وقد تكشف لفوكس أن كل إنسان يمكن أن تكون له علاقة مباشرة دون وسيط بالله. وسافر هو وأتباعه إلى الريف يعظون ويعطلون صلوات الكنيسة، وغالباً ما كانت تنتهي أسفارهم بإيداعهم في السجن بسبب وجهات نظرهم المعلنة صراحة ورفضهم دفع العشور.

وعلم فوكس أنه بغض النظر عن الجنس والطبقة فإن لجميع البشر فرصة التحول إلى النور الباطني حيث قدرة الفرد على أن يعيش حياة بلا خطيئة في ظل هداية الله ويشهد على ذلك الله في كل فرد. وأي زمان أو مكان سيصبح مكانا وزمانا مقدسا مثل أي شيء آخر؛ ولم تكن اجتماعات الكويكرز من أجل العبادة تتقيد بأيام أو مباني معينة. وكان الرجال والنساء أحرارا في أن يعاونوا الكاهن برفع أصواتهم عند الكلام، غير أن أسس العبادة كانت صامتة، حيث فكر المشاركون في أن تكون علاقتهم مباشرة بالله. ورفض الأصدقاء الحلف بالإيمان متبعين في ذلك متى الرسول Matthew (الذي وضع الإنجيل الأول في الكتاب المقدس): «وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسي

الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه. ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد على ذلك هو من الشرير»[1].

وقد بلغ عدد الكويكرز سنة ١٦٦٠ حوالي ٤٠,٠٠٠ كويكر في بريطانيا، وفي ظل الحكومة الملكية الجديدة فقد صدر حكم في سنة ١٦٦٢ بشأن قانون الكويكرز يقضي بإبطال الجماعة. وبعد عشر سنوات من الهداية المتحمسة دخلت الجماعة في فترة أكثر برجماتية تعرف بـ «كويكرية التجديد». ومن هذه الفترة تشعب تاريخ الكويكر: سارت الكويكرية في بريطانيا في اتجاه واحد، وسارت الكويكرية في أمريكا الشمالية في اتجاه آخر، وتبنى بعض الأصدقاء هناك بعد ذلك نظاماً رعوياً يتسامح مع القرابين المقدسة الخارجية. وتعقد حاليا اجتماعات الكويكرز التي تحافظ على الأسس الصامتة التقليدية. ويبلغ إجمالي أعضاء الجماعة على مستوى العالم عام ٢٠١٠ ما يزيد على ربع مليون عضو.

**ب- حركة مهر بابا:**

حركة مهر بابا Meher Baba: حركة غير مترابطة نسبياً من «عشاق بابا» Baba lovers تحاول اتباع تعاليم معلمها الهندي مهر بابا Meher Baba (١٨٩٤-١٩٦٩) الذي التزم الصمت منذ سنة ١٩٢٥ حتى وفاته. وفي سنة ١٩٢٤ أسس بابا مستعمرة مهراباد التي قدمت المأوى للفقراء والمدرسة المجانية والمستشفى والمستوصف لتوزيع الأدوية مجاناً. ويتواجد المحبون لهذه الحركة في الغرب أساساً، في الولايات المتحدة. ويَقبل عشاق بابا مطلب بابا بأن يكون أفاتارا Avatra العصر. وقد كانت رسالته (الوحدة الميتافيزيقية لكل الناس)، بمعنى أن الناس متساوون فيما هو فوق طبيعي أو غيبي، وأن الطريق الأقصر لإدراك الذات هو الحب والاستسلام الكامل لبابا.

---

(١) الإصحاح ٥-٣٣.

### ج ـ جمعية إيثريوس:

أسس السير جورج كنج جمعية إيثريوس Aetherius Society في لندن سنة ١٩٥٥ بعد أن تلقى تعليمات غيبية: «استعد! على وشك أن تصبح صوت البرلمان بين الكواكب». ويزعم سير جورج أنه على اتصال بالكائنات الكونية (جاء البعض منها إلى الأرض في أطباق طائرة)؛ وإيثريوس، سيد كوني من كوكب الزهرة. ويتعاون أعضاء الجمعية مع المصادر الكونية لتوجيه الطاقة الروحانية لإنقاذ كوكب الأرض من الدمار من خلال فِرق من المصلين مدربين تدريباً خاصاً، ويؤدون طقوساً تمكن من توجيه قدر مركز من الطاقة إلى بطارية ابتكرها السير جورج.

### د ـ الرائيليون:

دين إلحادي أسسه صحفي سباق سيارات فرنسي سنة ١٩٧٤، اسمه كلود فورليهون Claude Vorilhon (١٩٤٦-) وأطلق عليه اسم رائيل Rael بعد أن ظهر له كائن من كوكب آخر، دعاه إلى مركبته الفضائية لتعريف الناس بالإلوهيم، «أباؤنا من السماء»، الذين طلبوا منه إبلاغ رسائل، وإنشاء سفارة، حتى يتمكن (الإلوهيم) من مقابلة القادة السياسيين. وهناك حوالي ٢٠ ألف شخص من المؤمنين بهذا الدين، وهم أساسا من فرنسا ومقاطعة كويبك بكندا واليابان، ويتوقع منهم أن يمارسوا التأمل الحسي يومياً. ويدعى أن أم رائيل حبلت من ألوهيم في أحد الأطباق الطائرة.

## ٢ ـ الماسونية:

الماسونية Freemasonary: حركة دولية، يصل عدد أعضائها ستة ملايين عضو، وتكرس جهودها للأنشطة الخيرية والاجتماعية والممارسات السرية لطقوس معينة. والماسونية ليست ديناً، على الرغم من أنه في معظم الدول يجب على الماسونيين أن يعترفوا بكائن أسمى ويوقروه على أنه «المبدع العظيم

للكون». ويأخذ أعضاء المحفل الماسوني ثلاث درجات (شخص قليل الخبرة منضم للماسونية، ثم الأخوية الماسونية ثم المعلم الماسوني) يضفي عليها طقوس مؤثرة تعبر عن تقدم الروح من الظلام إلى النور الروحاني والميلاد الجديد.

(وهناك أيضاً العديد من الدرجات الجانبية التي يمضي فيها المعلم الماسوني، تضم عملاً أكثر تجديداً مع المادي الروزيكربشي (عضو جمعية سرية اشتهرت في القرنين الـ١٧ والـ١٨ وزعمت أنها تملك معرفة سرية للطبيعة والدين) والداويين (أعضاء منظمة دينية عسكرية أنشئت في القدس عام ١١١٨ لحماية الحجاج والقبر المقدس). وفي كل درجة يقدم إلى المرشح أدوات عمل ترمز إلى صفات أخلاقية يتوقع منه أن يتحصل عليها.

وتتكون التعاليم الماسونية في الأساس من تفسيرات مجازية أخلاقية للوسائل التقليدية للبناء والهندسة ملحقة بالمادة الأسطورية المدروسة بشكل تخيلي من الكتب الدينية العبرية. واشتقت الماسونية من اسم المنظمات الحِرفية للبنائين البريطانيين بالحَجَر في العصور الوسطى. وفي أواخر القرن السابع عشر، قبل انحدار محافل هؤلاء البنائين العاملين كأعضاء مهتمين بالآثار في الطرز المعمارية الأثرية. وهؤلاء الماسونيون المتأملون الذين تولوا المحافل الماسونية يجددون طقوسهم التقليدية وتعاليمهم الأخلاقية. وانتشرت الماسونية خلال القرن الثامن عشر انتشاراً واسعاً في أوربا وأمريكا الشمالية، ومنذ ذلك التاريخ تكاثرت في صور عديدة مختلفة. وفي أوربا جذبت إليها الراديكاليين والمتدينين؛ وكانت موضع شك من قبل جميع الأحزاب الشيوعية والكاثوليكية الرومانية. ومع ذلك فقد كانت الماسونية الأرثوذكسية ذائعة الصيت نظراً لأعمالها الخيرية الكثيرة وموضوعية احترامها. وكان ١٣ من الرؤساء الأمريكيين ماسونيين. وغالبا ما كانت تروى التعاليم والطقوس الماسونية، لكنها ظلت قليلة المعرفة بين غير الماسونيين، وتعد سريتهم المميزة مصدراً مهما لقوتهم التخيلية والعاطفية[1].

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٢، الرياض، ١٤٠٩هـ.

# الفصل الثالث

# جغرافية الأماكن المقدسة

# الفصل الثالث

# جغرافية الأماكن المقدسة

في كل ملة من الملل أماكن مقدسة تتعلق بالدين والعقيدة؛ حين دراستها من الناحية الجغرافية من حيث النمو السكاني أو العمراني أو الخصائص الاجتماعية؛ تختفى العوامل المؤثرة جميعها، ويبقى عامل واحد مؤثر ألا وهو «العامل الديني». والمثال الأشهر «مكة» التى تحولت من واد غير ذي زرع إلى مدينة تنال شهرة عالمية.

## أولا ـ الدين وتقديس الأماكن:

ظهرت المدن المقدسة في أمريكا الوسطى منذ منتصف الألف الثاني ق.م. فصاعداً في مراكز احتفالية تطورت خلال الحقبة الكلاسيكية (٢٠٠-٩٠٠م) إلى مدن مقدسة رائعة. والنموذج الأقدم للمراكز الاحتفالية المتقنة التي كانت تنظم فيه المؤسسات الحضرية الابتدائية هو الثقافة الأوليمية Olmec culture التي كان يعمل بها صفوة كهنوتية في مناطق احتفالية متفرقة تتحكم في تجارة المسافات البعيدة والتقاليد الفنية الرائعة والعبادات الدينية الواسعة الانتشار. ومع نهاية الألف الأولى قبل الميلاد تم تطوير مراكز ثقافية جديدة في النجد المرتفع الأوسط للمكسيك ومنطقة مايان المنخفضة ووادي أوكساكا. وفي حين انتعشت مجتمعات الزراعة القروية وشعوب الجمع والقنص داخل مناطق نفوذهم، كانت المدينة والدولة المدينة (تلاتوكايوتلس) هي التي وضعت النموذج للتنظيم السياسي والتغير الاقتصادي والأنماط الدينية. وكانت تتسم المدن الاحتفالية الكبرى مثل تيوتيهوكان وتيكال وتشولولان ومونت ألبان وتولا وزيتشوكالكو

وتيجان وتشيشن ابتزا وتينوتشتيتلان بتنظيم هرمي ومؤسسات اجتماعية متخصصة وظيفياً في وسائل خلق المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمقدس.

وهذه المدن المقدسة التي كان يشرف عليها سلسلة منتظمة من الكهنة وحكام إلهيين تميزت بالمعابد الهرمية والقصور والساحات الاحتفالية والأسواق، وقد نظمت الصفوة الكهنوتية عواصمها حول الأضرحة الفخمة التي ربطت المواطنين بالعالم فوق الطبيعي ونزعت إلى تقسيم ممالكها إلى أربعة أرباع متوافقة مع التصميم الكوني وحاولت جاهدة إيجاد تشابهات دقيقة بين الطقوس والعمارة الطقوسية.

وفي اليابان تبرز الجبال المقدسة Sacred Mountains، والتي أغلبها جبال بركانية مخروطية الشكل، أطلق عليها الزهاد أرواح محلية (كامي Kami). ونتيجة لذلك اجتذبت مجموعة من المتسلقين يرغبون في الانتعاش الروحي. وقد تم تسلق جبل فوجي (الذي يبلغ ارتفاعه ٣٧٧٦متراً) منذ القرن السابع عشر، وكانت توقره بصفة خاصة فيوسو كيو، وهي طائفة شنتوية تعبد سيجين ديشن (المعبود العظيم لجبل فوجي)، لكنه حاليا يستخدم للاستجمام الموسمي. وجبل أونتاك (الذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٣٦متراً، الذي يقع ما بين ولايتي جيفو ونانجو، يعد الجبل المقدس الثاني. وتبجله أونتاك -كيو، وهي طائفة تعبد أونتاك أوكامي (المعبود العظيم لأونتاك). وتضم الجبال المقدسة الأخرى قمم جونجين زاو العديدة بمزاراتها، وعلى رأسها كمبوسن في ولاية نارا (وأشكال مختلفة من جبال كنبوسان وكينبوسان وكمبوسين وميتاك في ولايات أخرى)، وجبل تاتياما في ولاية توميامًا وهاكسان على حدود ولايتي إيشكاوا وجيفو.

وكان جبل تاي شان T'ai Shan الواقع في «إقليم شانتونج» مركزاً لعبادة شعبية منذ عهد شانج (١٥٢٣-١٠٢٧ق.م.)، وكان موقعا للقرابين الملكية. ويعد

إله التاي شان «الحاكم الإلهي العظيم للقمة الشرقية». وكان يستطيع أن يحدد فترة حياة الشخص، ويُعد أحد قضاة الميت، ومن ثم كانت بعض محاكم جهنم تقع بشكل تقليدي في تاي شان (شكل٣).

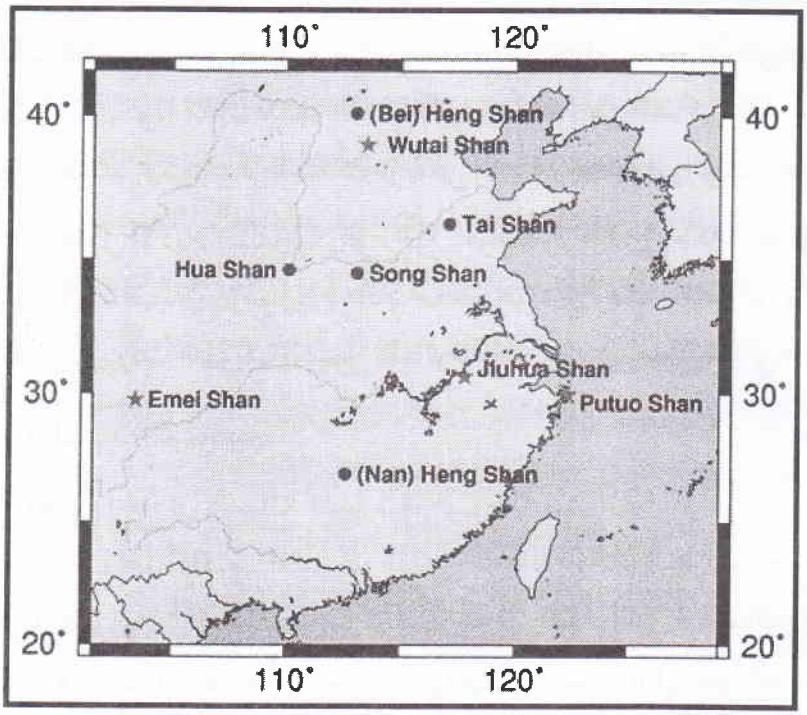


(شكل٣) الجبال المقدسة في الصين[1]

وفي جغرافية السياحة يبرز مصطلح «الحـج» والذي هو عبارة عن رحلة يقطعها المسافر للوصول لمكان مقدس بالنسبة له، أي أنه رحلة طقوسية إلى مكان له أهمية دينية، يقوم بها المرء من أجل غرض أو أكثر من الأغراض الدينية. وتضم هذه الأغراض الفريضة الدينية أو التدريب التعبدي، أو اعتناق الدين، أو إبراء النفس من الخطايا المرتكبة، أو اكتشاف الذات، أو طلب تحقيق معجزة، أو البحث عن الشفاء أو النصيحة وكعمل من أعمال التجديد الروحي.

(1) http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Sacred_Mountains_of_China.PNG

## ثانيا ـ الدين ورحلات الحج:

للحج له أهمية كبيرة فى حياة البشر فبالإضافة إلى اهميته الروحية فان له اهمية فكرية ملحوظة ، حيث يزيد اتساع المدارك فى المعرفة الجغرافية وبعادات وتقاليد الشعوب وعلى مستوى مناطق الشعائر فإن نمط استخدام الأرض فى هذه المدن يتسم بكونه مكان استضافة؛ فالغالبية العظمى من المساكن يغلب عليها الطابع الفندقى وتزدهر الوظيفة التجارية فى المدينة وخاصة فى موسم الحج.

والحج في الأديانِ السماويّةِ والوضعيّةِ: هو شدُّ الرّحالِ إلى مكانٍ مقدس، أمّا تعريفه في الاصطلاح: هو زيارةُ مكانٍ مخصوصٍ، في زمانٍ مخصوصٍ، بقصدٍ مخصوصٍ. وهذا التعريف يحتمل عدة توضيحات في كل ملة كما يلي:

### أ ـ الديانةِ اليهوديةِ:

مفهومُ الحجِّ في الديانةِ اليهوديةِ هو رحلةٌ يقصدُ بها المؤمنونَ إلى مكانٍ مقدّس[1]. وأهمُّ أماكنهم المقدّسة، القدس المحتلّة، وكانَ اليهودُ يحجّونَ إليهِ سنوياً ولا يزالونَ في عيدِ الفصح، وكذلك الحجّ إلى المكانِ الذي أودعوا فيهِ تابوت العهد، وكذلك إلى قطعةٍ من السورِ القديمِ لهيكلِ سليمان u في الجهةِ الغربيّةِ من المسجدِ الأقصى (حسب زعمهم) ويسمّونَهُ بالمبكى (Wailing) وهو (حائط البراق)[2] الذي عرجَ منه نبيّنا محمد r في العام التاسع للبعثة، وهو مكانٌ مقدّسٌ لدى المسلمين.

### بـ الديانةِ المسيحية:

يعني الحجِّ في الديانةِ المسيحيّةِ: رحلةٌ إلى مرقد قدّيس، ويتمّ ممارسة هذا الطقس لدوافع مختلفة، فهي لأجل الحصول على المساعدة الروحية، أو القيام

(١) ) عيد الفصح (Easter) أو عيد الفطير: يوافقُ الخامس عشر من شهر إبريل، والاحتفال بهِ داخل الأرض المحتلة سبعة أيام، وفي خارجها ثمانية أيام.

(٢) ) البراق (Al-buraq): الدابّة التي كانت تحمل عليها الأنبياء عليهم السلام قبل الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ (وأتيت بدابةٍ بيضاء دون البغل وفوق الحمار البراق).

بفعل تكفيري. وقد جعل المسيحيّونَ الحجَّ في بادئِ أمرهِم مقصوراً على قبورِ الصالحينَ، ثمَّ تحوّلوا إلى القدسِ فأخذوا يقصدونَها زرافاتٍ ووحداناً ويحجّونَ إلى بيتَ لحم[1] التي ولدَ فيها المسيح u ويقصدونَ كنيسةَ القيامة، وهي كنيسة البيت المقدّس. كما إنَّهم يحجّونَ إلى كنيسة القديس بطرس، وبولس في روما، وكنيسة لورد في فرنسا، ومدينة فاطمة[2] في البرتغال (شكل٤).

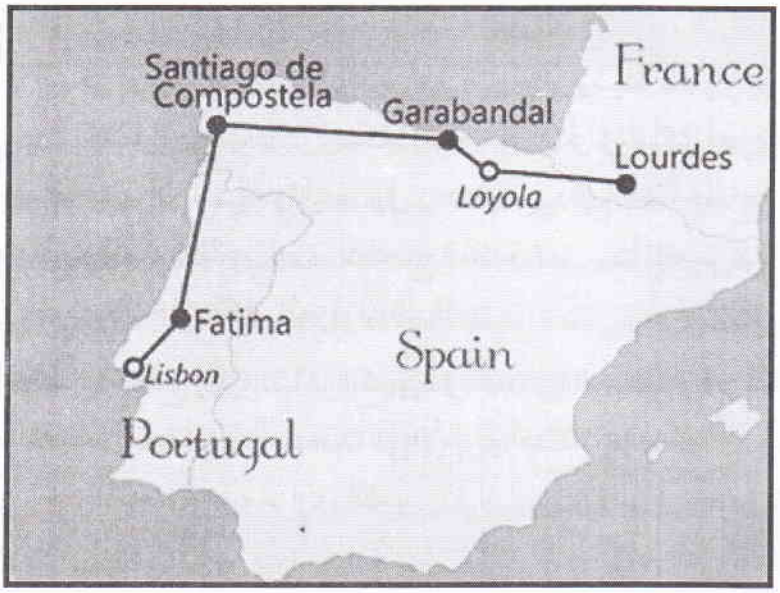


**(شكل٤) موقع المدينتين المقدستين فاطمة في البرتغال ولورديه في فرنسا**

ومن ثم فالحج عند النصارى رحلاتٌ للمَزَارات والأماكن المقدسة التماسا للخلاص الروحي كما يعتقدون[3]. ويُعرف من يقومون بمثل هذه الرحلات عندهم بالحجَّاج. فبعد حوالي ١٠٠ سنة من عهد عيسى u بدأ حجاج النَّصارى

(١) بيت لحم (baitlahm): بلدة تقع جنوب وسط فلسطين، جنوبي بيت المقدس وتعرف في الكتاب المقدس باسم (بيت داود) أحياناً يعتمد سكانها- وأكثرهم مسيحيون -على الحجاج في مواردهم.

(٢) فاطمة (Fatima): مدينة تبعد (١٣٠ كم) إلى الشمال من لشبونة، قرية صغيرة كانت في السابق مجهولة جداً (تدعى فاطمة) ويحتفل المسيحيون بعيد عذراء فاطمة في ١٣ مايو من كلّ عام، وسبب قدسية هذه المدينة لأنّه جرى فيها أحداث غريبة يعتقد المسيحيون (أن صانعها هو الله وحده).

(٣) أفرد بعضهم كتابات عن أفضل الأماكن للزيارة لتحقيق ذلك الخلاص، ومن ذلك: باخت سنغ: قمم جبال الخلاص، ترجمة د. رمزي سعد، لجنة خلاص النفوس للنشر، بيروت، ١٩٨٣.

القيام برحلات الحج الأولى إلى بيت المقدس وروما. ولم يرحل الحجاج في العصور الوسطى إلى فلسطين وروما فحسب، بل إلى مقابر القديسين أيضًا. وتتضمن مواقع خاصة من هذا النمط مزارات القديس جيمس كومبوستيلا جنوبي إنجلترا، والقديس باتريك في دوانباتريك في أيرلندا. وعندما كان يشرعُ الحاجُّ في القيام برحلة الحج، كان القسيس يدعو له بالبركة. وقد تحمَّل الحجاج رحلاتهم كي يَحظوا بمساعدة القديس للشفاء من مرض، أو بصفتها إحدى أعمال الشُّكر أو بندًا من بنود التكفير عن ذَنْب، أو وسيلة للتعبير عن ولاء ديني. وقد كان الحجاج يمكثون في تكايا (نُزُل خاصة) أو في أماكن أخرى حيث كان باستطاعتهم أن يستريحوا ليلة. وفي رحلات عودتهم كان الحجاج يرتدون الشعار المميِّز للمكان الذي زاروه. فالحجاج العائدون من بيت المقدس مثلاً كانوا يرتدون سعف النخل، وكانوا يُعرفون بالسعَّافين.

وواصل الحجاج زيارة المراكز الشهيرة في العصور الوسطى. غير أن أماكن معينة لقديسين مُحدثين قد أصبحت هي الأخرى أهدافًا لزيارة الحجاج. وتشمل أماكن الحج المعاصرة هذه مزاري القديس فرانسيس زافيير في جووا بالهند، والقديسة تريزا دي ليزييه بفرنسا. وتشمل مراكز الحج المواقع التي يُعتقد فيها بظهور مريم العذراء، كما في لوردز بفرنسا، حيث تقع كنيسة لورد (Lordchurch) في مدينة اللورد، بمقاطعة البرانس العليا، جنوب غرب فرنسا بجوارها مغارة يقال إنَّ مريم العذراء (عليها السلام) ظهرت فيها للقديسة (برناديت سوبيرو). ونوك بكاونتي في أيرلندا. كما أن كُلاً من البروتستانت والكاثوليك الرومان يقومون برحلات حجٍ سنويةٍ إلى كنيسة مريم العذراء في نورفولك بإنجلترا (صورة٢).

وقد أُلغي القيام برحلات الحج في البروتستانتية وظل رائجاً في الكاثوليكية الرومانية وفي الكنيسة الأرثوذكسية، وبخاصة إلى الأيقونات المقدسة والأديرة.

**ج- الديانةِ الإسلامية:**

يعد الحجِّ في الإسلامِ أحد أركانه الخمسة، لذا فإنَّ المسلمينَ يحُجُّونَ إلى

(صورة٢) رحلة حج إلى كنيسة مريم العذراء في نورفولك بإنجلترا عام ١٨٢٠م

مكةَ المكرّمة مرةً في العمُر، وهو فرضٌ لمن استطاعَ إليهِ سبيلاً، للطوافِ حولَ الكعبةِ، ويكونُ في زمنٍ معلوم إلى أمكنة معلومة منها عرفة قالَ r (الحَجُّ عرفةٌ) أي: الوقوف على جبلِ عرفة رُكن من الأركان الأربعة للحج.

والمحور النموذجيُّ، والمرجعُ الحقيقيُّ للحجِّ في تاريخِ الإنسان، هو حجُّ الأنبياءِ والرسلِ (عليهم الصلاةُ السلام) إلى مكّةَ المكرمة، حيثُ بيت اللهِ الحرام، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

ويجاوز عدد الحجيج إلى مكة ستة ملايين في بعض السنوات، هذا غير رحلات العمرة، والتى تمتد طيلة العام، ويبلغ متوسط المعتمرين سنويا حوالي ٣٠ مليون مسلم.

### د- الديانة البوذية:

يتوجّهُ البوذيّونَ لأداءِ مناسكِ الحجِّ إلى الهندِ (India)، والنيبال[2] (Nibal) وسنّ بوذا (Buddha-tooth in India) في كاندي (Candy) في سريلانكا، وتيان شان[3] (Tyan-shan)، وفوجي ياما[4] (Foji Yama) (صورة٣) وغيرها من الأماكن المقدّسة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٦).

(٢) النيبال (Nibal): مملكة في جبال الهملايا، لم تندمج في الوحدات السياسيّة الكبرى، بشبه القارة الهنديّة، بسبب موقعها المنعزل، أكبر المعابد البوذية فيها (معبد بوذا الأكبر)، تقع على بركة الخلود، وكذلك (معبد باشوباتي تات)، وحجاج البوذيينَ يغسلونَ أجسامهم وذنوبهم في غياض نهر نيبال السوداء، وسبخه المتعفن الممتلئ بتراب الأرض ورماد الموتى، ينظر: الموسوعة العربيّة الميسرة، ١٢٥٦/٢.

(٣) ) تيان شان (Tyan-shan): سلسلة جبال رئيسة في آسيا الوسطى، وتمتد في أواسط مقاطعة (شاندونغ)، فيه درب المنعطف الـ(١٨)، فهو درب خطر مشهور في الجبل، يعتقد تسلق هذا الدرب اختباراً قاسياً للمتسلقين في الجسم والعزم.

(٤) ) فوجي ياما (Foji Yama): جبل بركاني هامد في الجزء الجنوبي من وسط جزيرة هونشو (Honshu) اليابانية، يقع على مقربة من سواحل المحيط الهادئ، يتميز بقمته المخروطية المكللة بالثلوج وبالبحيرات الخمس الصغيرة الواقعة على مقربة عند سفحه ولفظه (فوجي) (Fuji)، تعني في لغة الاينو (Aiuno): النار، يرتقيها ألوف من الحجاج كلّ عام، ثارَ آخر مرة عام (١٧٠٧م)، وهو يعتبر جبل يابان المقدس، وأعلى قمة فيها فوهة بركانية ١٢,٣٨٨ق أو ٣,٧٧٦م. ينظر: موسوعة المورد، ١٧٧/٤. وينظر: الموسوعة العربية الميسَّرة، ١٣٢٩/٢.

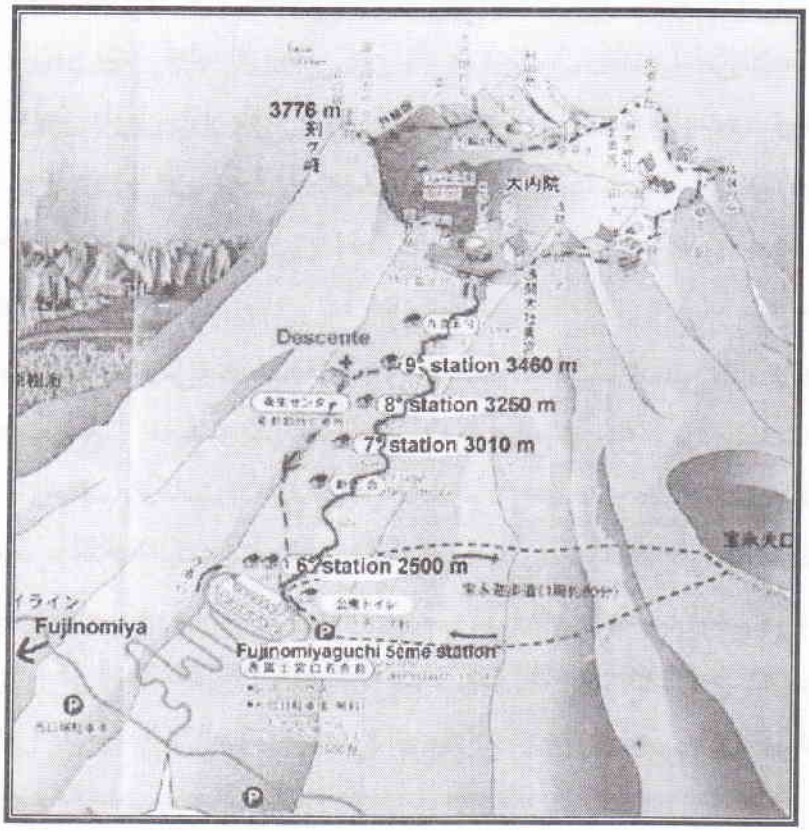


**(صورة٣) جبل فوجي ياما المقدس في جزيرة كيوتو باليابان**

والبوذية (Buddhism)، من أديان الهند الكبرى الواسعة الانتشار في آسيا الشرقية، وآسيا الوسطى، انبثقت من حياة وتعاليم مؤسسها (Juatamu Buddha)، الذي قرر العزلةَ في القرن (٦ ق.م)، تعتبر أول خطبة في مريديه، خطبته المشهورة في بينارس (Benores)، الأساس التي قامت عليه البوذية.

**هـ- الديانة الهندوسية:**

يعدُّ الحجِّ ممارسة قديمة، والغاية منهُ هو التوجه إلى نهري الجانج وبراهما

بوترا[1] والينابيع المقدّسة[2] في الهند وعلى الهندوسيّ أنْ يتركِ الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم مدة حجّهِ أبداً ولا يفكر فيهم، أمّا ما يخصُّ الميقات وهو مسافة كيلومتر من بيته، فعليه أن يتخلّى عن لباسه، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميصٌ طويل وإزار بلون أصفر، ويأخذ عصا من القصب الهندي، ويعلق عليه نوعاً خاصاً من الآنية للماء، ويخرج مرتلاً الورد الخاص، وهو (هري كرشن هري رام) ومن الأفضل أن يمشي على قدميه وهو واجبٌ على البرهمي، وتطوعٌ على غيرهِ.

ويؤدي الهندوس مناسك حجِّهم في أعيادهم السنوية، وبعض هذه الأعياد يصاحبها حجٌّ إلى معبدٍ أو ضريح أو هيكلٍ معيّن أو إلى نهرٍ من الأنهارِ المقدسة – حسبَ زعمهم– وكانت الأعيادُ الدينية تخلع لوناً زاهياً على حياة الشعب الذي يقام تكريماً للآلهة الكبرى، وبالذات أمّ الآلهة (كالي)، فيأخذ الهنود بالاحتفال والغناء عدّة أسابيع، قبل قدوم ذلك العيد، ثمَّ يأتي الحفل العظيم، فيسيرُ موكب تحمل فيه كلُّ أسرة تمثالاً للآلهة، ويتجه صوب نهر الجانج (Ganga) حيث يلقون في النهر بتلك التماثيل الصغيرة ثمَّ يعود الجميع إلى ديارهم، وليس على وجوههم شيءٌ من علامات المرح السابق.

ويُعد عدد الحجاج الهندوس من أكبر أعداد الحجيج في أي ديانة أخرى باستثناء البوذية، وقد يصل عدد حجاجهم إلى مائة وخمسين مليوناً من البوذيين

---

(١) ) براهمابوترا (Brahmaputra): نهر طوله (٢٨٦٦ كم) ينبع في جنوب غربيّ التبت، ويجري مخترقاً الهند وباكستان الشرقية يطلق على الجزء الأدنى من مجراه الأسفل جمنة (Jumna)، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٣٣٩/١، وموسوعة المورد ٥/٢.

(٢) ) الينابيع (Yanabee): للينابيع أهمية كبرى في حياة الهندوس، فلها من القداسة مساويةً لنهر الجانج، ونهر براهما بوترا Brahmaputra ، فقد حدث سنة (١٩١٣م) أن سقط ابن هندوسي من صخرةٍ عاليةٍ في عين ماء، فمات غرقاً، ولم يكن على مقربة منه إلا أمه وشخص منبوذ، كان عابراً سبيله، فعرض الشخص هذا على أمّ الطفل أن يغطس في الماء لينقذه، لكن الأم رفضت ذلك، لأنّها آثرت موت ابنها، على تدنيس المنبع كون الشخص من طبقة المنبوذين، والذي لا يسمح لهم التشريع الهندوسي بالتعامل معه.

من آسيا حيث كعبتهم في كاندي، بينما يصل عدد حجاج الهندوس إلى (٢٠) مليون حاج سنوياً، وهناك مهرجان للحجّ، يقام كل (١٢) سنة ويطلق عليه مهرجان (كومبة)، أمّا مهرجان الحجِّ الهندوسي النصفي والذي يطلق عليه (اردة كومبة ميلا) والذي يعدُّ من أكبر التجمعات البشرية، بعد التجمّع البوذي، فقد يصل العدد في كلّ كومبة إلى (٧٠) مليون حاجّ، ويفتتح مراسم الغطس في النهر مجموعة من الرجال المقدسين في موكب من الألوان الزاهية، وقد غطّى بعضهم وجوههم بالرماد وآخرون عراة تماماً وآخرون يرتدون أثواباً من لون الزعفران الأصفر الزاهي ويطلق على هذا اليوم (ضوء القمر الجديد). وهو أقدس يوم من أيام حجّهم إذ يجتمع رجال ونساء وأطفال وضعفاء ورهبان هندوس في مدينة الله آباد حيث تبدأ فعاليات السباحة الجماعية والتي تعدُّ من الممارسات الأساسية الجماعية في الحجّ الهندوسي، وهي ممارسة أساسية كذلك في الحجِّ اليهودي.

وسرّ تقديسهم لهذه المدينة - حسب المعتقدات الهندوسية - أنّ الآلهة والشياطين خاضوا معركة سماوية على إبريق من الشراب المقدس، و(مدينة الله آباد Allah Abad City) (شكل٥) في جنوبي ولاية اوتار برادش (Awt-

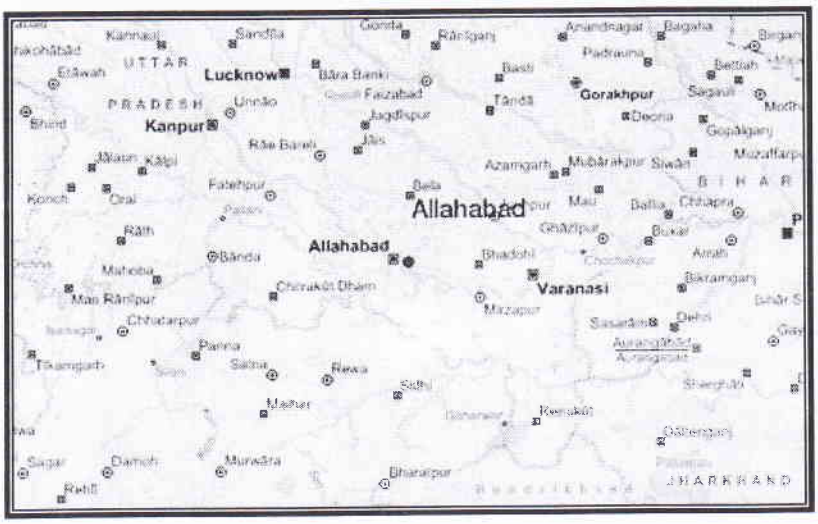


(شكل٥) مدينة الله أباد وفراناسي

بوترا[1] والينابيع المقدّسة[2] في الهند وعلى الهندوسيّ أنْ يتركِ الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم مدة حجّهِ أبداً ولا يفكر فيهم، أمّا ما يخصُّ الميقات وهو مسافة كيلومتر من بيته، فعليه أن يتخلّى عن لباسه، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميصٌ طويل وإزار بلون أصفر، ويأخذ عصا من القصب الهندي، ويعلق عليه نوعاً خاصاً من الآنية للماء، ويخرج مرتلاً الورد الخاص، وهو (هري كرشن هري رام) ومن الأفضل أن يمشي على قدميه وهو واجبٌ على البرهمي، وتطوعٌ على غيرهِ.

ويؤدي الهندوس مناسك حجِّهم في أعيادهم السنوية، وبعض هذه الأعياد يصاحبها حجٌّ إلى معبدٍ أو ضريح أو هيكلٍ معيّن أو إلى نهرٍ من الأنهارِ المقدسة – حسبَ زعمهم– وكانت الأعيادُ الدينية تخلع لوناً زاهياً على حياة الشعب الذي يقام تكريماً للآلهة الكبرى، وبالذات أمّ الآلهة (كالي)، فيأخذ الهنود بالاحتفال والغناء عدّة أسابيع، قبل قدوم ذلك العيد، ثمَّ يأتي الحفل العظيم، فيسيرُ موكب تحمل فيه كلُّ أسرة تمثالاً للآلهة، ويتجه صوب نهر الجانج (Ganga) حيث يلقون في النهر بتلك التماثيل الصغيرة ثمَّ يعود الجميع إلى ديارهم، وليس على وجوههم شيءٌ من علامات المرح السابق.

ويُعد عدد الحجاج الهندوس من أكبر أعداد الحجيج في أي ديانة أخرى باستثناء البوذية، وقد يصل عدد حجاجهم إلى مائة وخمسين مليوناً من البوذيين

---

(١) ) براهمابوترا (Brahmaputra): نهر طوله (٢٨٦٦ كم) ينبع في جنوب غربيّ التبت، ويجري مخترقاً الهند وباكستان الشرقية يطلق على الجزء الأدنى من مجراه الأسفل جمنة (Jumna)، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ١/٣٣٩، وموسوعة المورد ٢/٥.

(٢) ) الينابيع (Yanabee): للينابيع أهمية كبرى في حياة الهندوس، فلها من القداسة مساويةً لنهر الجانج، ونهر براهما بوترا Brahmaputra ، فقد حدث سنة (١٩١٣م) أن سقط ابن هندوسي من صخرةٍ عاليةٍ في عين ماء، فمات غرقاً، ولم يكن على مقربةٍ منه إلا أمه وشخص منبوذ، كان عابراً سبيله، فعرض الشخص هذا على أمّ الطفل أن يغطس في الماء لينقذه، لكن الأم رفضت ذلك، لأنّها آثرت موت ابنها، على تدنيس المنبع كون الشخص من طبقة المنبوذين، والذي لا يسمح لهم التشريع الهندوسي بالتعامل معه.

tarbradesh) عند ملتقى نهر الجانج (Ganga) ونهر جمنة (Jumna)، هي واحدة من أربعة مواقع سقطت فيها قطرات من الشراب خلال المعركة، وقد استمرت المعركة (١٢) يوماً مقدساً، ولذلك يقام مهرجان (كومبة) الكامل كلّ (١٢) سنة بينما المهرجان النصفي يقام كلّ ستّ سنوات، وتحرص الحكومة الهندية على إقامة النظام وقوانين الصحة والوقاية من الأمراض، ويشارك أكثر من (٧٠) مليون هندوسي من الهند وخارجها.

وللهندوسية أماكن تزورها في حجّها وهذهِ المزارات تنقسمُ إلى:

القسم الأول: منها يرتبط بالمياه مثل نهر الجانج (شكل٦)، ويعدّ نهر الجانج مقدساً من منبعه إلى مصبه، والسباحة فيه إحدى الممارسات المقدسة، حيث يذهب الحاجّ إلى منبعه في جبال الهملايا ليأخذ بعضاً من مائه ويصبُّه في المصبّ، لاعتقادهم أنّها تطهرهم من الذنوب والآثام، إضافةً إلى ذلك فهم يعتقدون أنّ من

(شكل٦) نهر الجانج والمدن المقدسة حوله

يضع في يده قطرات من ماء نهر الجانج لا يمكن أن يكذبَ أبداً. ويعدّ أكثر الأنهار قداسة عند الهندوس وذلك لاعتقادهم أنّ أحد الآلهة قد اغتسل فيه، وهناك من يعدّ نهر الجانج من أكثر أنهار العالم تلوثاً وذلك بسبب أنّ ملايين الهندوس يستحمون فيه وكذلك حرق جثث الموتى وطرح رمادهم فيه، والممارسة الأساسية عند هذه المزارات هي الاستحمام الجماعي، وهي تحدث كل (١٢) عام أي مع كلّ دورة زمنية.

أمّا القسم الثاني من المزارات، فهي المعابد (Temples)، **وفي الهند الآن ما يقربُ من (٤٠) ألف معبد، بعضها غايةً في الروعة والجمال**، وهي عند الهندوس مخصصة للآلهة الكثيرة، حيث يقترن الحجّ الهندوسي بتقاليد جاهلية

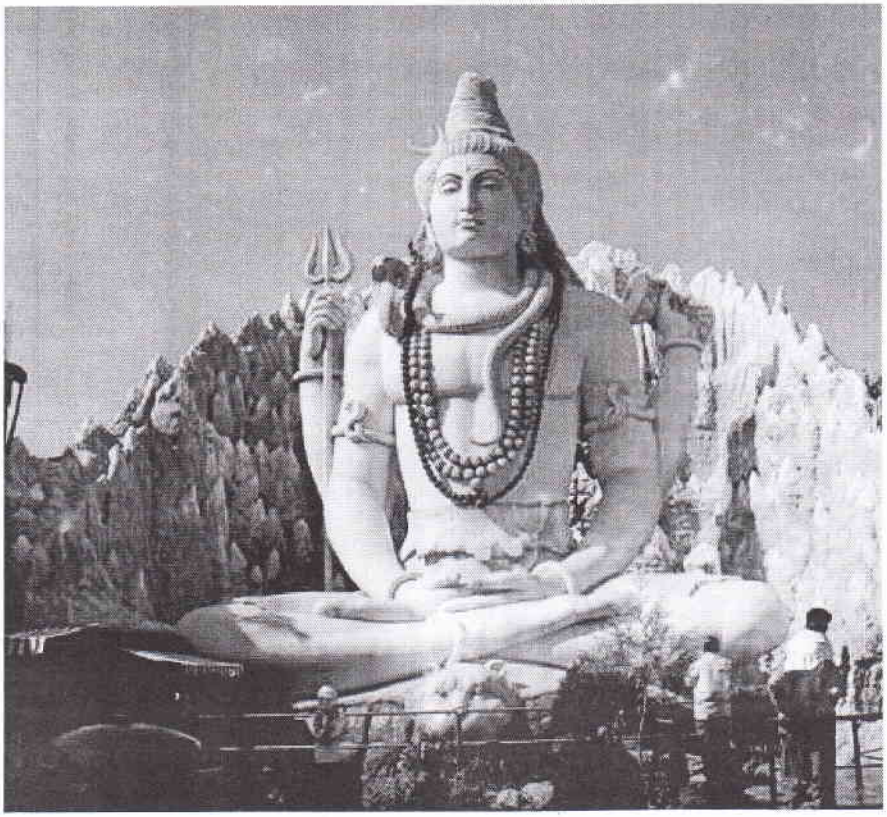

(صورة ٤) أحد التماثيل الضخمة لشيفا

وأعمال شركية وأساطير للآلهة القديمة، حيث نسجت حولهم العديد من أساطير ، مثل شيفا (Shiva) ويعدّ أحد أقانيم الثالوث، وإله الدمار والانبعاث، أمّا الأقنوم الآخر فهو (براهما) (Brahma)، الخالق . أمّا الأقنوم الثالث، فهو (فشنو) (Vishnu)، ويسمونه الحافظ.

ويبلغ عدد أماكن الحجّ المقدسة في الديانة الهندوسية أكثر من مائتين، إلا أنَّ بعضها حازَ أهمية دينية عظمى لقرونٍ من الزمن، إذ أنَّ الحجّ في الهند يعودُ إلى ما قبل التاريخ الهندي أو ما قبل الآريين، إذ كانت ممارسة الاغتسال في نهر الجانج تعدُّ نوعاً من طقوس التطهير، وذلك لورود طقس التطهير بالمياه في أسطورة التكوين الهندية الأساسية. ويحرصُ الهندوس على السباحة في الناحية الشمالية من نهر(الجانج) إذ الاغتسال فيه كفارةٌ للذنوب، ويؤثرون الموت في هذه المدينة، وتُنقل إليها جثث الموتى من النواحي البعيدة لتحرق هناك أو تترك في النهر على اختلاف العقائد والعادات والطوائف الهندية، وكذلك مدينة (بنارس) (Banaras) والتي تقع جنوب شرق (اوتار برادش) بالهند على نهر الجانج مركز رئيسي للهندوسيين منذ القرن (١٦ ق.م) ، ويقصدها سنوياً حوالي مليون حاجّ لزيارة معابدها وأضرحتها التي تمتدُ (٦٥ كم) بموازة الجانج، ويقع فيها الهيكل الذهبي (Golden temple) (صورة٥)، والذي يعدُّ معبد السيخ الرئيس ومحجّتهم الأولى يقع في مدينة (أمرتسار)، في إقليم البنجاب، وهو مبنى رخاميّ مربع ذو قبّة نحاسية مذهّبة وأبواب قائمة في جوانبه الأربعة، وهو رمز إلى ترحيبه بالمصلين من مختلف العقائد الدينية والطبقات الاجتماعية، تمّ تشييده في العام (١٦٠٤م).

كذلك يتوجه الهندوس إلى مدينة هردوار (Hardwar)، ومعناها باب الإله ، وهي مدينة هندية في الجزء الشمال الغربي من ولاية اوتار برادش (Ut-tarpradesh)، تقع على نهر الجانج (Ganges)، وهي مقدسة عند الهندوس،

(صورة ٥) المعبد الذهبي في أمرتسار

يحجّ إليها كلّ عام أكثر من مليوني شخص للاغتسال بمياه هذا النهر، يرقى تاريخها إلى أقدم العصور، وكذلك التوجه إلى جبل ادمز (Adams-peak) (صورة٦) وهي أعلى قمة جبل في قمة آدم u، تقع في الجزء الجنوبي الغربي من سيريلانكا في أعلى قمّته (طبعة) ضخمة شبيهة بأثر القدم، قيل إنَّها أثر قدم آدم u، من أجل ذلك عدّ جبلاً مقدساً، يحجّ إليه سنوياً آلاف المؤمنين من مختلف النحل والملل، يبلغ ارتفاعه حوالي (٢٢٤٣م).

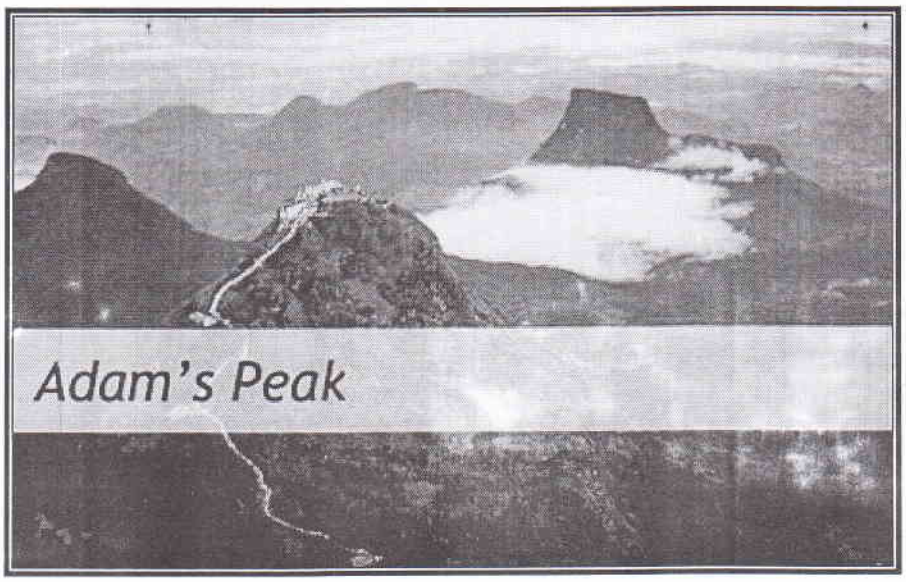


(صورة ٦) قمة آدم في سريلانكا

## ثالثا ـ المدن المقدسة في الديانات الكبرى:

أشهر الأقاليم الجغرافية المقدسة والتى يقصدها الناس للحج في الديانات الكبرى في العالم ما يلي:

### ١ـ مدينة القدس (عدة أديان):

مدينة مقدسة عند المسلمين والنصارى واليهود. والاسم الشائع لها بعد الفتح الإسلامي هو: بيت المقدس، يليه في الشيوع اسم القدس الشريف، وهي عند المسلمين المكان الذي عُرِج منه بالرسول محمد ﷺ إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج، كما أنها تضم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فهى ثالثة الأماكن المقدسة، بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة. ويقدسها النصارى لارتباطها بالسيد المسيح عليه السلام، كما يقدسها اليهود لارتباطها بمُلك داود وسليمان. مساحة المدينة ١٠٧ كم$^2$. من أماكنها المقدسة: قبة الصخرة وكنيسة القيامة، وحائط البراق. (شكل٧)

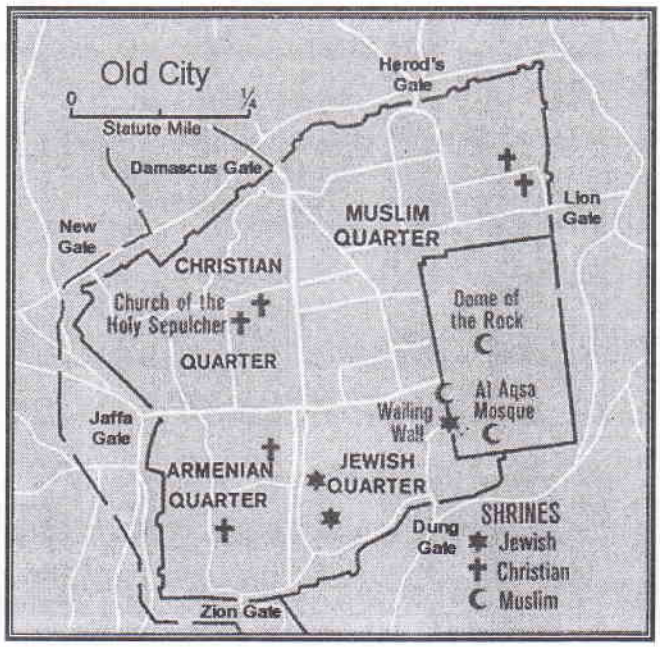


(شكل٧) مدينة القدس القديمة

### ٢- مكة المكرمة (إسلامية):

مكة المكرمة أشهر مدن العالم الإسلامي، تهفو إليها قلوب المسلمين جميعًا من شتى بقاع الأرض. بها المقدسات الإسلامية: البيت الحرام والكعبة المشرفة ومنى ومزدلفة وعرفات. خصها الله بالتكريم عبر مختلف العصور وأقسم بها في القرآن الكريم في عدة مواضع. وهي مسقط رأس الرسول محمد ﷺ ومبعثه، بها نزل الوحي الأمين. يقصدها ملايين الحجاج كل عام، لأداء فريضة الحج، فضلاً عن الزوار والمعتمرين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي. وفي أرض مكة وبطاحها كان جهاد المسلمين الأوائل في مواجهة الشرك والضلال وعبادة الأصنام. وعلى أرضها كان تحقيق وعد الله لرسوله محمد ﷺ وللمؤمنين يوم دخلوها في العام الثامن للهجرة ظافرين منتصرين. كان بناء البيت الحرام العامل الرئيسي لقيام مكة، استجابة لدعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لتصبح مكة المكرمة بلد البيت العتيق، وملتقى الناس أمنًا وأمانًا وسلامًا واطمئنانًا. كما أصبحت أيضًا مدينة المسلمين المقدّسة، والقطب الذي تدور حوله مقوماتهم اللغوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ ففيها تلتقي الشعوب المسلمة في موسم الحج وغيره من المواسم. عرفت مكة بأكثر من خمسين اسمًا وكنية، منها أربعة عشر اسمًا وردت في القرآن الكريم منها: مكة، بكة، البلد الأمين، الحرم الآمن، البلد الآمن، أم القرى، وغيرها من الأسماء.

### ٣ـ المدينة المنورة:

المدينة الثانية الدينية للمسلمين من مدن الحجاز بالسعودية، أصبحت لها أهمية كبيرة بعد هجرة الرسول محمد ﷺ إليها. وكانت المدينة تعرف قبل دخول الرسول ﷺ باسم يثرب، وتقع المدينة إلى شمال مكة. وأرضها مستوية. وفي شمالها جبل أحد. وفى جنوبها جبل عير على مقربة من ذى الحليفة ، وفي غربها المدينة سهل فسيح خصب ، نزلت عدة قبائل عربية بالمدينة، كما نزلت

أيضاً أقوام من اليهود مثل بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وابتنوا المنازل قبل نزول الأوس والخزرج . دفن بها كثير من الصحابة وآل البيت في مقابرها (مقابر البقيع).

### ٤ العتبات المقدسة عند الشيعة:

يعظم الشيعة أضرحة الأولياء والصالحين، ويعتقدون فيها النفع والخير، لدرجة وصلت عندهم إلى حد التقديس، ومن ثم اشتهرت عندهم عدة مدن في العراق وإيران تسمى «مدن العتبات المقدسة»، وهى المدن التى تضم مراقد آل البيت أو شيعتهم، ومن تلك المدن مدينة الكوفة والحِلة وقم وسامراء.

**المقامات والمراقد:** مفردتان قد تنوب إحداهما عن الأخرى على سبيل المجاز، ولكن لكل مفردة معنى لغوي يختلف عن الآخر، **فالمرقد** اسم مكان من الرقاد وهو النوم والضجوع والسكون، باعتبار أن الميت يوضع على جنبه في القبر أي يضّجع، فقيل له: راقد وضاجع، ويسمى مكان رقوده وضجعته بالمرقد، والجمع مراقد. وأما **المَقام** فهو أيضاً اسم مكان من الإقامة وهو المكث، فمن مكث في مكان برهة أو مدة طويلة سمي ذلك المكان مقاماً له، والجمع منه مقامات، ويُطلق في الغالب على أماكن أجداث الأنبياء والأئمة والأولياء، وهناك من يطلق اسم المقام على المرقد بتعبير مجازي حيث أن صاحبه أقام بذلك المكان بالدفن فيه[1].

وأما **المشهد والضريح** فمفردتان قد تنوب إحداهما عن الأخرى، كما تنوب إحداهما عن المفردتين السابقتين. **والمشهد:** هو الضريح الذي وضعت عليه علامة فيشاهده الرائي من بعيد، ومنه مدينة «مشهد» في إيران، وأما **الضريح**، فهو القبر لغة واصطلاحا، ثم أُطلق مجازا على المقام[2].

(١) راجع: محمد صادق محمد الكرباسي، دائرة المعارف الحسينية، ١/١٤ و١/٢٢

(٢) الحوراني، الإشارات إلى أماكن الزيارات، ص١٦ و١٧

وأشهر مدن الشيعة على الإطلاق:

أ- كربلاء:

كربلاء مدينة تقع في وسط العراق. تعتبر أحد المدن المقدسة لدى الشيعة وذلك لوجود ضريح الإمام الحسين بن علي وأصحابه الذين استشهدو معه في واقعة الطف. يزورها ملايين الزوار من العراق ولبنان والبحرين وسوريا والهند وباكستان وإيران والكويت وبعض الدول الأخرى.

تقع المدينة على بعد ١٠٥ كم إلى الجنوب الغربي من العاصمة العراقية بغداد، على حافة الصحراء في غربي الفرات وعلى الجهة اليسرى لجدول الحسينية. وتقع على خط طول ٤٤ درجة و٤٠ دقيقة وعلى خط عرض ٣٣ درجة و٣١ دقيقة، ويحدها من الشمال والغرب محافظة الأنبار ومن الجنوب محافظة النجف ومن الشرق والشمال الشرقي محافظة بابل.

تبلغ مساحة محافظة كربلاء نحو ٥٢٨٥٦ كم مربعا وأرضها رخوة نقية (منقاة من الحصى والدغل) تحيط بها البساتين الكثيفة ويسقيها ماء الفرات، وثمة طريقان يؤديان إلى المدينة المقدسة، طريق تربطها بالعاصمة بغداد مرورا بمدينة المسيب وطولها ٩٧ كم وطريق آخر تصلها بمدينة النجف الأشرف المقدسة.

ب- النجف:

مدينة النجف: بالنسبة للشيعة الاثنا عشرية هي مدينة مقدسة وباب علوم آل البيت حيث فيها مرقد الامام علي وفيها المرجعية الدينية للشيعة والحوزة العلمية.

تقع على حافة الهضبة الغربية من العراق جنوب غرب العاصمة بغداد وتبعد عنها بحوالي ١٦١ كم. وترتفع المدينة ٧٠ م فوق مستوى سطح البحر يحدها من الشمال والشمال الشرقي مدينة كربلاء التي تبعد عنها نحو ٨٠ كم ومن الجنوب والغرب منخفض بحر النجف

أغلب سكان النجف من المهاجرين، فبعضهم هاجر إليها من أطرافها ونواحيها، بينما تسكن فيها كذلك عوائل من أصول غير عراقية من إيرانيين وهنود وباكستانيين وأفغان، وفي فترة الثمانينيات هاجر إليها الكثير من أبناء المحافظات الجنوبية الذين تضرروا بسبب الحرب العراقية الإيرانية كالبصرة وال عمارة والناصرية.

### ج. الكوفة:

فى سنة ١٧هـ وبعد انتصار المسلمين بقيادة سعد أبن أبى وقاص فى موقعة القادسية المشهورة ففح سواد العراق ،وباشر بناء مدينة يتخذها معسكرا لجنده فاختار مكان الكوفة. وأرض الكوفة سهلة ،عالية فوق مستوى الفيضان ،ترتفع عن منسوب سطح البحر بمقدار ٢٢م، وأنها بعيدة عن الهوار والمستنقعات ، وقد شيدت على ضفاف نهر الفرات . وأهم النقاط الدالة على مدينة الكوفة التاريخية عند الشيعة: قبر مسلم بن عقيل ، وهانى بن عروة فى مشهدين فى مكان قريب ملاصق لجدار الكوفة. وفى خارج مسجد الكوفة بالقرب من بيت الإمام على يقوم قبر ميثم التمار ، وهو من أنصار الإمام على.

### د. مدينة قم:

تقع على بعد ١٤٧كم جنوب العاصمة الإيرانية طهران . وترتفع نحو ٩٣٠م فوق مستوى سطح البحر. يحدها من الشمال مدينة طهران ، ومن الجنوب مدينة أصفهان ، ومن الغرب مدينة أراك ومن الشرق محافظة سمنان . وتأتى قدسية المدينة نتيجة وجود حوالى ١٦ مرقداً . من أبرزها مرقد السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم ، ومرقد السيد موسى بن الإمام محمد الجواد، ومرقد السيد حمزة بن الإمام موسى الكاظم ، مرقد إسماعيل بن أحمد من أحفاد الإمام جعفر الصادق ، وغيرهم.

هـ سامراء:

سامراء مدينة عراقية تاريخية تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة في محافظة صلاح الدين، وتبعد ١٢٥ كيلومتر شمال العاصمة بغداد، تحدها من الشمال مدينة تكريت، ومن الغرب الرمادي، ومن الشرق بعقوبة، يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة حسب إحصائيات وزارة التجارة عام ٢٠٠٣ م. ضمت منظمة اليونسكو مدينة سامراء عام ٢٠٠٧ إلى قائمة التراث العالمي.

تقع مدينة سامراء الأثرية على ضفاف نهر دجلة وعلى مسافة ١٣٠ كيلومترا شمال بغداد، وكانت مقر عاصمة الدولة العباسية الإسلامية والتي بسطت نفوذها على الأرض الممتدة من تونس إلى وسط آسيا. تمتد المدينة بطول ٤١ كيلومترا ونصف الكيلومتر من الشمال إلى الجنوب، أما عرضها فيتراوح بين ٤ و٨ كيلومترات. وقد شيد في القرن التاسع الميلادي. ويبقى قرابة ٨٠٪ من المدينة الأثرية مطمورا ويحتاج إلى تنقيب.

تضم المدينة ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، وللضريح مكانة دينية عند الشيعة، فهما يعدان الإمامين العاشر والإمام الحادي العشر من أئمة الشيعة الاثني عشرية بالإضافة إلى أضرحة السيدة حكيمة أخت الإمام الحسن العسكري والسيدة نرجس أم الإمام المهدي المنتظر. كما يوجد بجوار الضريحين السرداب الذي يعد آخر مكان وجد فيه المهدي (حسب المعتقد الشيعي) قبل اختفائه.

بلغ عدد سكان سامراء ٤٠٠ الف نسمة عام ٢٠١٠، أما قضاء سامراء (المدينة والأرياف) فيبلغ عدد سكانه حوالي ٧٠٠،٠٠٠ نسمة. الغالبية من السكان من العرب السنة. من عشائر السوامرة والبو بدران والدليم (البونمر والبوفهد والبوعيسى) والجبور والعزة والعبيد.

و- الكاظمية:

**الكاظمية**: سميت بهذا الاسم نسبة لوجود مرقد الإمام موسى الكاظم (١٨٣ هـ). وتقع شمال العاصمة بغداد وعلى بعد ٥ كم في الجانب الغربي منها، وعلى الضفة الغربية لنهر دجلة بجانب الكرخ. ويحدها من جهة الشرق نهر دجلة، ومن الغرب أراضي الغرابية، ومن الشمال أراضي التاجي، ومن الجنوب أراضي العكيدات، وترتبط بجانب الأعظمية بجسر حديث يعرف بجسر الأئمة

وبالمدينة مرقد الإمام موسى الكاظم ومرقد حفيده الإمام محمد الجواد، حيث يقع المرقدان في الروضة الكاظمية، وقد دفن فيها الست زبيدة بنت المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد وكذلك دفن ابنها الامين، وقد دفن فيها القاضي أبو يوسف (قاضي القضاة في زمن الخليفة هارون الرشيد، وممن دفن فيها الإمام احمد بن حنبل وهو أحد الائمة الاربعة عند السنة.

ز- مشهد:

**مشهد** (طوس سابقًا) من كبريات مدن إيران ومن أعظم مدن خراسان، فتحت في أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فيها الكثير من الآثار والمزارات والمقامات وأهمها إطلاقا مرقد الإمام علي بن موسى الرضا، ومشهده الذي به سميت تلك المدينة مشهدا.

وتقع المدينة على ارتفاع ٩٨٥ م فوق سطح البحر، على خط طول ٥٩ درجة ٣٧ دقيقة، وعرض ٣٦ درجة و١٦ دقيقة. يحدها من الشمال مدينه كلات نادر والشمال الشرقي تركمنستان، ومن الشرق أفغانستان ومدينة هراه، ومن الغرب مدينة نيشابور، ومن الجنوب مدينة فريمان. ويبلغ عدد سكانها حوالي أربعة مليون نسمة.

وكانت مشهد قرية صغيرة تابعة لطوس القديمة، وقد طمست معالم طوس

بعد هجوم تيمورلنك المغولي، هاجر من بقي من أهلها وتحصنوا بمرقد الإمام الرضا وعمروا حوله دورا وأبنية ليأووا إليها. وصار هذا المكان الشريف بلدة ذا أهمية واشتهرت بطوس، وسميت سناباد بالمشهد وكان لوجود مرقد الإمام الرضا الفضل في جعل قرية (نوقان) القديمة مدينة واسعة، تعد قاعدة بلاد خراسان.

تحيط بالمدينة مجموعة جبال تمتد على طول (وادي كشف رود) الذي يفصل مدينة طوس القديمة عن سهل نيسابور. تبلغ مساحة المدينة نحو ٢٧,٤٨٧ كم مربع، يمتد وسطها شارع رئيس مركزي من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وهذا الشارع تقع عليه بوابتان يستطيع الزائر منها دخول المشهد الرضوي المقدس.

**من شخصياتها التاريخية**: ابن سينا (ت٤٢٨)، الغزالي، الأخفش، البر مكي، النوبختي، يعقوب بن داود، أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧ هـ)، طاهر بن الحسين، عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠ هـ)، أبو منصور البلخي، البيروني، أبو القاسم الحسن بن محمد الطوسي، أبو نصر الفارابي.

**٥ـ لورديه Lourdes (مسيحية)**:

مدينة في جنوب غربي فرنسا بجانب تلال بيرنيز. عدد سكانها ١٨،٥٨١ نسمة (عام ٢٠١٠). وتشتهر بكونها مزارًا للرومان الكاثوليك. وفي كل عام يزورها حوالي مليوني زائر على أمل حدوث معجزة، بشفائهم من أمراض عضوية. كما يسبح الكثيرون في مياه نبع الكهف المقدسة للشفاء من الأمراض العضوية. ويترك بعض الناس الدعامات التي كانت تسندهم هناك دليلاً ماديًا على شفائهم.

ويأتي الزوار إلى المزار طوال العام، ولكن الكثيرين من الرومان الكاثوليك الفرنسيين يزورون لوردز لإقامة طقوسهم في ٢٠ أغسطس من كل عام. وافتتح عام ١٩٥٨م كنيسة البازيليقا للقديس بيوس العاشر بلوردز، وهي ثاني أكبر كنيسة

(صورة٧) الرحلات الجماعية لمدينة لورديه الفرنسية للاستشفاء

للرومان الكاثوليك في العالم بعد كنيسة القديس بطرس في مدينة الفاتيكان، والتي يمكن أن تسع أعداداً أكبر (شكل٨).

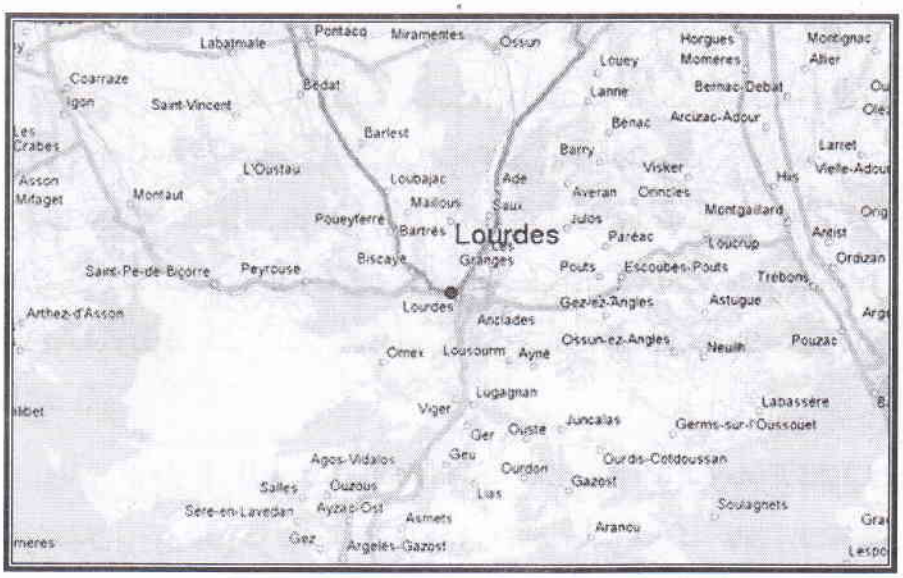


(شكل٨) موقع مدينة لورديه الفرنسية

### ٦ـ فاراناسي Varanasi (هندوسية):

مدينة يقدسها الهندوس في شمال الهند، وتعرف أيضا باسم باناراس أو بيناريس، عدد سكانها ١,٣ مليون نسمة (عام ٢٠١٠). تقع على حافة مرتفع رملي على ضفاف نهر الجانج. وتعد مدينة فاراناسي من أكبر المدن في مقاطعة أتربرادش. وتشتهر بمعابدها الكبيرة والأديرة والقصور. ويعد نهر الجانج من أكثر المناظر جاذبية في مدينة فاراناسي ويأتي إليه الهندوس من مختلف أجزاء الهند بغرض الزيارة وللاستحمام بمائه؛ فهم يعتقدون أن ماءه مقدس. وقد قاموا بتشييد دَرَج على طول نهر الجانج يُدعى غاتس، يستعملونه للاستحمام قبل أداء صلواتهم اليومية. يؤم المدينة حوالي مليون زائر سنويا. (شكل٩)

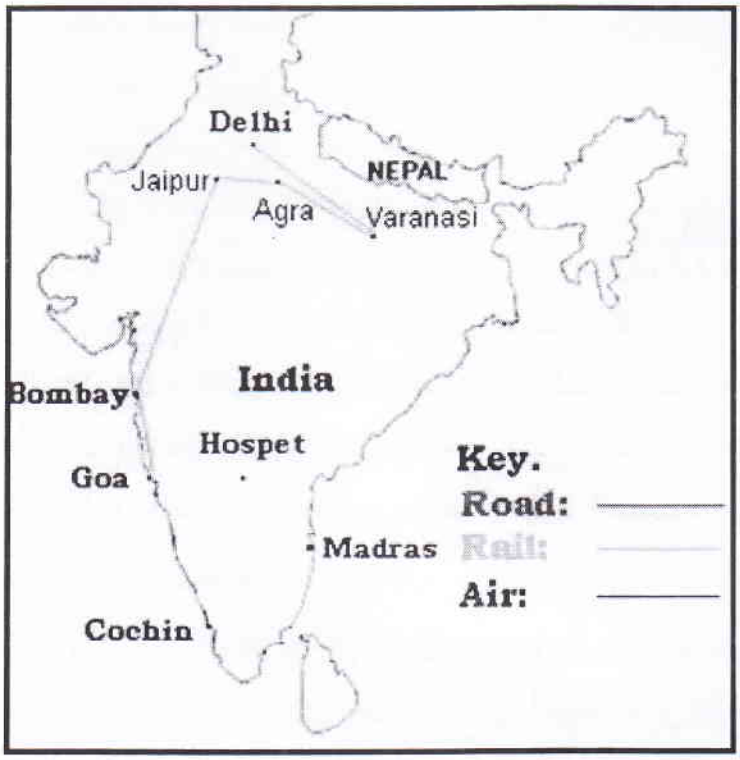


(شكل٩) موقع مدينة فاراناسي الهندوسية بالهند

والجانج Ganga: النهر الأكثر تقديساً لدى الهندوس. وتشترك العديد من الأنهار الأخرى بدرجات مختلفة في صفة القداسة المنسوبة إلى جانجا، الذي يعتقدون أنه ينساب من قدم فشنو VISHNU، ومن خلال شعر شيفا SHIVA المجدول، الذي قدم رأسه ليمنع العالم من التحطم إلى قطع بسبب هبوطه. ومع النهر الرئيسي الآخر للسهل الهندي الشمالي، الياموننا (جامونا Jumna) يعتبر الجانج إلاهة، وكذلك أيضاً نهر ساراسفاتا SARASVATI غير المرئي، وترتبط الأنهار الثلاثة بالآلهة الرئيسية الثلاثة في الهندوسية.

**٧ـ أمرتسار Amritsar (سيخية):**

مدينة في البنجاب، شمال الهند (شكل ١٠). عدد سكانها ١,٥ مليون نسمة (عام ٢٠١٠). يقدس السيخ المدينة. ومعظم سكانها من الهندوس، ولكن يعيش فيها أيضًا أعداد كبيرة من السيخ. تأسست المدينة عام ١٥٧٧م. ونمت واتسعت حول المعبد الذهبي المشهور الذي أسسه أرجان، الغورو الخامس (مُعلم ديني) للسيخ عام ١٦٠٤م. ومنذ ذلك التاريخ أصبح المركز الرئيسي لعبادة السيخ. يتربع المعبد وسط البِركة (المسبح) التي تتغير مياهها العَذبة طوال الوقت. وقد سُمِّيت المدينة باسم هذه البركة التي كانت تُسمَّى أمرتسار والتي تعني (بِركة الخلود). وفي عام ١٩٨٤م قامت مجموعة من المتطرفين السيخ باستخدام حرم المعبد المقدَّس كقاعدة للهجمات الإرهابية، فهجم الجيش الهندي على المعبد، واحتله ونتيجة لتلك المعركة تم هدم العديد من الأبنية داخل المعبد.

**٨ـ الجوردوارات (سيخية):**

الجوردوارات Gurdwaras هى المواقع التاريخية المقدسة للسيخ، ويتركز معظمها في البنجاب، غير أن العديد منها موزع في أجزاء أخرى من الهند وباكستان وما وراءهما. ومعظمها تشارك في أحداث من حياة المعلمين، بداية بمولد ناناك (نانكانا صاحب باكستان) وانتهاء بموت جوبند سنج في ناندید في

**(شكل ١٠) موقع مدينة أمرتسار الهندية السيخية**

الدّكن. والمركز الأكثر شهرة هو أمريستار Amristar الذي أسسه الجورو (المعلم) الرابع وقام بتطويره خليفته. والمعبد الذهبي Golden Temple هو البارز بين جميع الجوردوارات. ومن بين الأضرحة البارزة في منطقة دلهي سيس جانج Sis Ganj وراكاب جانج Rakab Ganj.

وخوض النهر للوصول إلى مكان مقدس (Tirtha ) ترثا، حيث تحظى رحلة الحج بالتقدير في الهندوسية؛ وفي جميع أنحاء شبه القارة الهندية يؤدى الحج بشكل دائم على كل مستوى، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو لكل المواقع المقدسة في الهند مثل كاشي (باناراس) وهى من أكبر المدن في مقاطعة أتربرادش ، وتقع على حافة مرتفع رملي على ضفاف نهر الجانج المقدس،

وبرياج (الله آباد) وهاردفار وماثورا وأيوديا ودفاراكا في كجرات، أوكنجيفارام في الجنوب. وتعني كلمة ترثا مكان الخوض (وياترا رحلة) غير أن المصطلح يشمل حالياً جميع الأماكن المقدسة، على الرغم من وجود الأنهار في معظم المواقع الرئيسية.

ويؤدي الحاج براداكشينا (الطواف) للشيء المقدس في اتجاه عقرب الساعة. وتساعد بعض المواقع بصفة خاصة على التخلص من الآثام، والبعض لأداء مراسم جنازة من أجل الموتى، والمواقع الأكثر إقليمية أو محلية تشتهر بعلاج العمى أو العقم أو للحصول على بعض أنواع أخرى من الغايات الدنيوية.

### ٩ـ نارا اليابانية (البوذية):

تزايدت شعبية طقوس الحج من كيوتو إلى نارا، العاصمة الجنوبية التى اشتهرت فيها البوذية خلال حقبة مابو (نهاية القانون ١٠٥٢ بالنسبة لليابان) وفي القرن الثالث عشر حيث كانت تزار كل البقاع المقدسة الشنتوية والبوذية، وخصوصاً الأضرحة في كومانو وشلالات ناتشي وأخيراً ضريح غيس. فالطرق كانت تكتظ بالناس حتى أصبحوا يشبهون النمل. وقد شجع السلام الداخلي في حقبة إيدو (١٦١٥-١٨٦٨) على إحياء الحج. وقد اعتقد أن المجهود البدني يؤدي إلى اتحاد مع بوذا وكان يعتقد بالشفاء وحتى الموت أثناء الرحلة، كان أمراً مرغوباً للمسنين، وتستخدم حالياً السيارات والأتوبيسات في زيارة المعابد المقدسة السبعة في مدينة نارا.

### ١٠ـ أماكن استنارة بوذا (البوذية):

Bodhgaya البوذجايا هو مكان استنارة بوذا في بيهار بالهند. ويعد البوذجايا أحد أربع مواقع حج بوذية رئيسية (المواقع الأخرى كوسينارا KUSINARA ولمبيني LUMBINI وسارناث SARANATH)؛ وتبعاً للتعاليم فإن أي شخص يزور هذه الأماكن بإيمان مخلص سيولد مرة أخرى في ظروف أفضل. وهذا الموقع

الذي وقره الإمبراطور أشوكا في القرن الثالث قبل الحقبة المسيحية يعرف حالياً بمعبد ماهابوذي Mahabodhi الذي بني مجاوراً في القرن السابع لشجرة تين هندية كبيرة تعتبر على نحو ظاهري السليل المباشر لشجرة بوذا الأصلية؛ التي يقال أن بوذا كان يجلس تحتها يتأمل في ليلة استنارته. وتعتبر بوذجايا حاليا مركز حج ذائع الصيت، بها معابد بناها الحجيج من كافة أنحاء العالم البوذي.

ويتوقف اختيار مكان الحج على عدد من الدوافع المختلفة. وأحيانا ما يرتبط المكان بحياة مؤسس الدين. ومن أمثلة ذلك، القدس المكان الذي ارتبط بميلاد المسيح، ومكة المكرمة مسقط رأس النبي محمد ﷺ. ويُعتقد أن سارناث كانت أول موقع لمواعظ بوذا Buddha، وفي حالات أخرى أحداث استثنائية مثل ظهور شخص مهم راحل قد تؤدي إلى حالة الحج، ومثال ذلك لورديه في فرنسا Lourdes (شكل٨)، حيث يدعى أنه حدثت رؤية السيدة مريم العذراء Virgin Mary المباركة، أم المسيح، وتعد لورديه حالياً مركزاً للحج وخصوصاً من أجل الشفاء المعجز. وفي حالات أخرى فإن مواقع الحج التي يعتقد أنها تحتوي آثار شخص مهم قد أضبحت مراكز حج دولي. ومن أشهر المواقع المعروفة روما، حيث يعتقد أن بها مقبرة القديس بطرس أحد حواريي المسيح. والمعبد الذي يضم أسنان بوذا في كاندي بسريلانكا يتمتع بشهرة مشابهة لجامع هازرات بال في سرناجار بكشمير، الذي يضم شعرات من لحية النبي محمد ﷺ.

إذا يمكن تصوير فلسفة الحجّ في الأديان قاطبة السماوية أو الوضعية هو الارتحال إلى مكان من الأماكن المقدسة، التماساً للخلاصِ الروحيّ عند المسيحيين أو دعوة إلى تهذيب النفس وطهارتها، في الهندوسية والبوذية، وفوق هذه المفاهيم يكونُ فريضة من الله عند المسلمينَ.

# الفصل الرابع

# الديانات في قارة أفريقيا

# الفصل الرابع

## الديانات في قارة أفريقيا

هناك العديد من الأديان الأفريقية التي يصل عددها إلى عدد القبائل، أي يوجد منها عدة مئات. منها: قبائل وجماعات أكان AKAN، ودوجون DOGON، وفون FON، وايجبو IGBO، ومندي MENDE، ويوربا -YOR UBA في غرب أفريقيا، وزاندي ZANDE في وسط أفريقيا، ودنكا DINKA ونوير NUER وشيلوك SHILLUK بين أهالي النيل، وجاندا GANDA ولوفيدو LOVEDU وشونا SHONA وزولو ZULU وبانتو BANTU.

وهناك عامل حاسم في التمييز بين الأديان الأفريقية وهو التنوع الشديد للنظم السياسية والاجتماعية الأفريقية التى تعكس كلا من الاعتقاد الديني والطقوس، ويشكلان البناء الاجتماعي ولن يكونا مفهومين إلى حد بعيد. وعلى رغم التباينات فهناك أيضاً تشابهات قوية، إذ لا توجد الأديان الأفريقية في فراغ، فقد أثرت في بعضها البعض عن طريق الاتصال البشري، كالهجرة والغزو العسكري والزواج، ومن خلال تأثير الاختصاصيين الدينيين، وخلال شعب واحد أو قبيلة واحدة يمكن أن توجد اختلافات بالغة الأهمية تتعلق بالدين بسبب النشاط الإقليمي للجمعيات السرية أو المزارات المحلية: وعلى ذلك فقد كان الدين شيئاً مترابطاً على نحو ما. وعلى نحو متساو، فقد عَبَرَ الدين مرات كثيرة التخوم القبلية.

وقد وفرت العبادات الإقليمية الكبرى (مبونا MOBONA، مواري MWARI، ليواك LUAK دنج DENG) مراكز الحج لأقوام من قبائل مختلفة،

بينما كانت تنتقل نظم الكهانة والجمعيات السرية وجماعات استعذاب الألم الدينية وفك السحر والعرافة في الغالب من قوم لقوم آخرين.

وتنتمى الأديان الأفريقية إلى مجتمعات عاشت في عصر ما قبل معرفة الكتابة، وقد أثر هذا على طبيعتها وعلى معرفتنا بها؛ ومع ذلك يمكن أن يكون لدى المجتمعات الأمية آداب شفهية كثيرة. وتتغير الأديان التي نشأت في ظل الأمية بنفس القدر الذي تتغير به الأديان التي نشأت في ظل الأديان التي عرف معتنقوها القراءة والكتابة، غير أن التغيرات تحدث دون تسجيل، ومن ثم فهناك اعتقاد خاطئ بأن الأديان الأفريقية لا تتغير. وربما يكون تطورها التاريخي قد تشكل بعض الشيء من خلال تحليل طبقات داخل الأسطورة والطقوس الحالية، ومن خلال دلالة المصادر المكتوبة الأولى. وهناك بعض التوثيق التاريخي باللغة اللاتينية والبرتغالية منذ القرن السادس عشر فصاعداً.

والمشكلة الأعظم في دراسة الأديان الأفريقية هي أن الكتب تقريباً دون استثناء من تأليف كتّاب من خارج أفريقيا.

وهناك بعض الشعوب ليس لديها تصور عن إله أعلى. وتعترف الغالبية العظمى من الأديان الأفريقية بإله واحد خالق تتضرع إليه في صلواتها، ومع ذلك تتركز صلوات عدد قليل على إله مثل النوير NUER. والأكثر تميزاً هم نمط الوسطاء – أسلاف أو آلهة الطبيعة – يتوجه إليهم مباشرة معظم الناس بالصلوات والطقوس، مع أن الاتصال المباشر للإله لا يزال ممكناً، وخصوصاً عند الضرورة.

ويجب أن تولى العناية أيضاً بشخصية الملك المقدس وجالب المطر؛ وإلى استحواذ الروح، وما يطلق عليه «القوى المجهولة»، كما تنتشر نظم الكهانة (إيفا IFA) والشعوذة وحركات فك السحر. وقد غير مجيء المسيحية والإسلام والحداثة الكثير من الأشياء وقوض أواصر العديد من النظم.

## أولاً- ديانة الإسلام:

انتشر الإسلام على نحو مبكر جداً على طول سواحل البحر المتوسط بدءاً من مصر إلى المغرب، وبحلول القرن التاسع الهجري بلغت الفتوحات الإسلامية تقدمها بحيث أصبحت السواحل الشمالية من القارة المنتمية أساساً إلى حوض البحر المتوسط تنتمي إلى منابع الحضارة الإسلامية الأصلية. بعد ذلك انتشر الإسلام في المناطق المجاورة للصحراء الكبرى الأفريقية، وقد انتقل الإسلام في البداية من المغرب عن طريق القوافل التجارية عبر الصحراء إلى غرب ووسط أفريقيا، وعبر البحر الأحمر من جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي إلى السواحل الأفريقية الشرقية (شكل ١١).

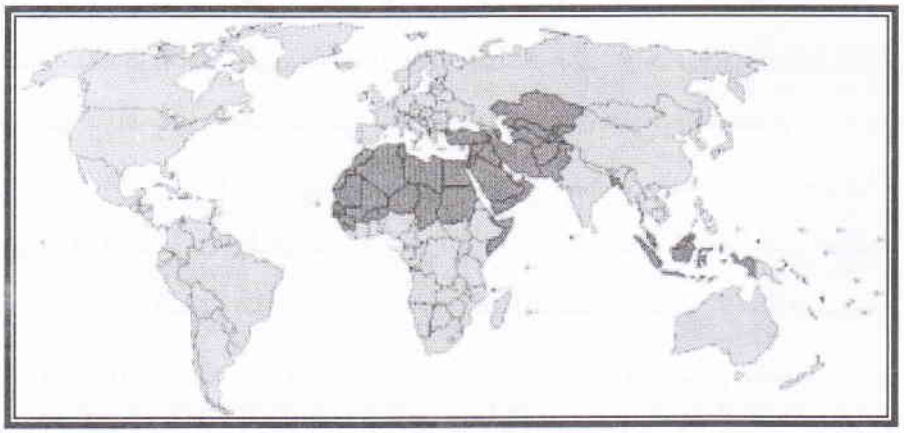

**(شكل١١) الدول ذات الغالبية المسلمة في العالم**

ونشأت أسر إسلامية حاكمة في غرب أفريقيا منذ بداية القرن الحادي عشر في مناطق تكرور Takrur (شعب من الزنج يعيش في السنغال وغينيا) وكانم Kanem، وعقب ذلك في إمبراطوريات مالي وصنغى (صنغاي) وبرنو. وقد ظهر الإسلام المناضل لأول مرة في غربي الصحراء الكبرى على أيدي المرابطين Al-moravids في القرن الحادي عشر، وبرز منذ القرن السابع عشر تقليد متواصل من الجهاد في غرب وسط الصحراء الكبرى انتشر بعد ذلك في وادي نهر السنغال

في القرن الثامن عشر، وبلغ الذروة مع المجاهد عثمان دان فوديو Uthman Dan Fodio (١٧٥٤-١٨١٧) والمجاهد عمر بن سعيد الفوتي (١٧٩٤-١٨٦٤)[١] وفي الدولة المهدية في السودان في القرن التاسع عشر. وكان للصوفية SUFISM نفوذ كبير في الصحراء الكبرى والسودان الإسلامي.

ويوضح (جدول١) و(شكل١٢) توزيع المسلمين في قارة أفريقيا، ويتضح منه تمركز أغلب الدول الإسلامية في شمال القارة، حيث أن هذا الإقليم هو الأقرب جغرافيا لمركز الرسالة الإسلامية الأول (مكة والمدينة).

وكان العديد من الزعماء المجاهدين صوفيين، على الرغم من أن الطرق الصوفية الرسمية لم تظهر إلا في القرن الثامن عشر في وسط الصحراء الكبرى، ومن هناك انتشرت نحو المناطق السودانية، وبدأت الطريقة التيجّانية تنافس الطريقة القادرية على الهيمنة خلال القرن التاسع عشر. وجاءت قوة دافعة مماثلة من شرقي أفريقيا وخصوصاً من السودان والصومال على يد أحمد بن إدريس (١٧٦٠-١٨٣٧)، الذي أدت تعاليمه إلى تكوين عدد من جماعات الإخوان[٢] المهيمنة. وانتشرت الطرق الصوفية من القرن الأفريقي نحو المناطق السواحيلية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وفي القرن العشرين انتشر الإسلام بسهولة

(١) الفوتي al- Futi (ت١٢٨١هـ/١٨٦٤م): عمر بن سعيد الفوتي عالم سياسي مجاهد من قبيلة التوكولور القاطنة في منطقة فوتاتورو في غربي أفريقيا. هو ابن لأحد المرابطين، اشتهر بعلمه الواسع وتقواه. كان من أشهر دعاة الطريقة الصوفية التيجانية بغربي أفريقيا. بدأ في تأسيس نظام الدولة التيجانية عن طريق التجنيد من كل الفولانيين والتوكولور والتورورني، ومع ذلك لم يحقق نجاحًا ملموسًا، لذا بدأ حركة تطور ظهرت واضحة في النواحي الحربية والسياسية، وفي بداية الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، كان لديه القوة الكافية ماديًا ومعنويًا لكي يبدأ الجهاد، وبعد ذلك زحف على رأس قواته تجاه الشمال، مارًا من خلال مقاطعات الماندي الصغيرة الواقعة في البامبوك والبور (وانجارا القديمة)، وكان جيشه قد دخل النيورو، العاصمة الرئيسية لدولة البامبارا الواقعة في الكارتا عام ١٨٥٤م. وبعد عام ١٨٥٧م، زحف بقواته إلى الشرق لمحاربة مملكة البامبارا الواقعة في سيجو، وحقق بذلك انتصارات بعيدة المدى ضد الشعوب الوثنية، وكانت الماندي تمثل الجزء الأعظم من هذه الشعوب، كما نجح هو وشيوخه نجاحًا ملحوظًا في تحويل الوثنيين إلى الإسلام، ولكنه لم يوفق في تكوين دولته المنشودة حتى أدركته الوفاة.

(٢) ليس لهم أدنى علاقة بجماعة «الإخوان المسلمين» في مصر، ولكنه تشابه أسماء.

(جدول١) الدول ذات الغالبية المسلمة في أفريقيا (سنة ٢٠١٠)

| الدولة | السكان (مليون) | مسلمون ٪ | الدولة | السكان (مليون) | مسلمون ٪ |
|---|---|---|---|---|---|
| مصر | ٨٥،٠ | ٩٠ | السودان | ٤٦،٩ | ٧٠ |
| الجزائر | ٣٤،٨ | ٩٩ | المغرب | ٣٣،٧ | ٩٩ |
| النيجر | ١٣،٢ | ٩٠ | بوركينافاسو | ١٣،٢ | ٥٠ |
| مالي | ١١،٩ | ٩٠ | السنغال | ١١،٦ | ٩٤ |
| تونس | ١٠،٣ | ٩٨ | غينيا | ١٠،٢ | ٨٥ |
| الصومال | ٩،٥ | ١٠٠ | سيراليون | ٦،٢ | ٦٠ |
| ليبيا | ٦،١ | ٩٧ | تشاد | ٥،٠ | ٥٤ |
| موريتانيا | ٣،١ | ٩٩،٩٩ | غامبيا | ١،٧ | ٩٠ |
| جزر القمر | ٠،٨ | ٩٨ | جيبوتي | ٠،٥ | ٩٤ |
| بروناي | ٠،٤ | ٦٧ | جزر المالديف | ٠،٤ | ١٠٠ |

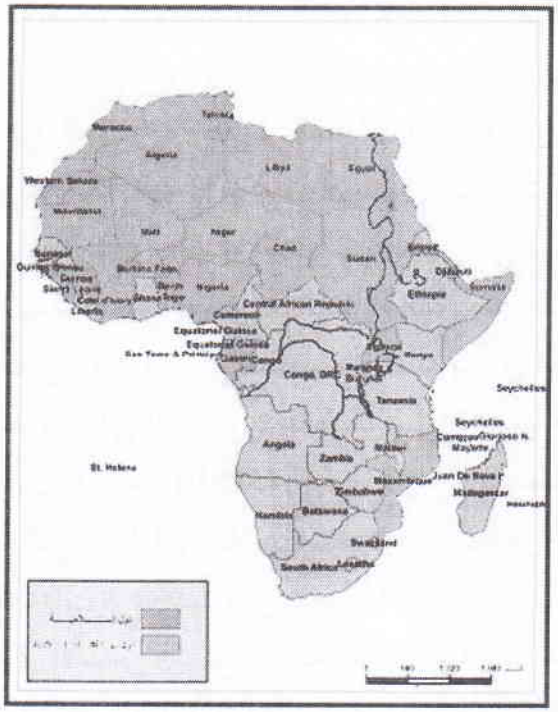

(شكل ١٢) الدول الإسلامية وغير الإسلامية في قارة أفريقيا[1]

(١) الخريطة من عمل المؤلف، باستخدام برنامج (G.I.S.)

في مناطق جنوب الصحراء الكبرى الأفريقية من خلال النظام السياسي الجديد الذي فرضه الحكم الاستعماري الأوربي، وظهور وسائل الاتصال الحديثة وتحديث المعاهد الإسلامية وخصوصاً المدارس.

وثمة حركات دينية جديدة بأفريقيا ارتبطت بالإسلام؛ فإذا استبعدنا الحركات المهدية وحركات التجديد (مثل حركة ميتاتسين MAITATSINE MOVEMENT الحديثة في شمالي نيجيريا) التي تعد نابعة من داخل الإسلام، فقد قدمت أفريقيا السوداء عددا قليلا من الحركات الدينية الجديدة في تفاعلها مع الإسلام إذا ما قورنت بالحركات الدينية المتفاعلة مع المسيحية. فقد كان هناك عدد قليل من طقوس العبادات الإسلامية المتأثرة باستحواذ الروح، مثل طقوس العبادات المتعلقة بالزار Zar cults في أثيوبيا والسودان في القرن التاسع عشر، والطقوس المرتبطة بعبادة كيتومبو Kitomba cult التي يعتنقها الكامبا في كينيا في تسعينيات القرن التاسع عشر، وطقوس العبادات التي يأخذ بها الليبو Lebu في السنغال في القرن العشرين، وطقوس العبادات المرتبطة ببوري Bori cults الواسعة الانتشار بين قبائل الهوسا في غرب أفريقيا في نفس الفترة. وقد اهتمت كل من حركتي ليبو وبوري بالنساء اللاتي كانت لهن مكانة بارزة في الديانة القبلية التقليدية بينما تهمش دورهن في الإسلام الذي ركز على دور الذكور في مجتمعات متغيرة. وفي طقوس العبادات المرتبطة ببوري الدينية الشديدة التنظيم، كان يتعرف على الله بصورة غامضة، غير أن العون قد جاءهم من مجموعة المخلوقات الروحية (الملائكة، الجن... إلخ) المستمدة من الإسلام والتعاليم القبلية، التي ارتبطوا بها بعلاقات شخصية حميمة من خلال استحواذ الروح. وهذه الجماعات نوع جديد لكونها جمعيات تطوعية وليست جماعات دينية عامة، تعد في الأساس وسائل انتقالية لمقابلة احتياجات النساء من أجل خصوبة الولادة والشفاء والعون في الأوقات العصيبة، وتظهر جميعها في البلدان الإسلامية المتاخمة لأفريقيا السوداء.

وكانت الحركة الأكثر تحريفا وتدعي الإسلام في مضمونها هي (أخوية لايي) التابعة لسيدنا ليمامو Laye fraternity of Seydina Limamu (١٨٤٣-١٩٠٩) وهو صياد سمك من منطقة ليبو، التي تقع بالقرب من كيب فردي؛ حيث تبنى دعوة في سنة ١٨٨٣ لإحياء ونشر الإسلام. وعندما تطورت الحركة اتخذت طابعاً أفريقيا وثنيا؛ حيث أسقط فريضة الحج إلي مكة ولم يقتصر عدد الزوجات على أربع، وحلت الأغاني والأشعار المكتوبة باللغات المحلية محل اللغة العربية السائدة وعادت النساء إلى وضعهن السابق في نظام ليبو الديني. وعلى الرغم من أن نواياها لم تكن سياسية إلا أن السلطات الاستعمارية الفرنسية قامت بتعذيب ليمامو، غير أن الحركة ظلت بعده على علاقات وثيقة مع الإسلام من خلال طريقة القادية Qadiyya order. وانتقلت الزعامة من أبنائه إلى حفيده سيدنا عيسى ثياو Seydina Issa Thiaw سنة ١٩٧١.

والحملية Hamallism: حركة جديدة ذات طابع أفريقي وثني، وهى إحدى الحركات الكبرى التي ظهرت في غرب أفريقيا. ومؤسسها محمد بن أمادو وهو مصلح صوفي عريق الانتساب لمجموعة طقوس الطريقة التجّانية Tijaniyya، وكوّن أمادو أخوية صغيرة بين التجار الولوف، فيما تسمى حاليا دولة مالي قبل وفاته في سنة ١٩٠٩. وقد كان خليفته الشيخ حماه الله بن محمد (١٨٨٦-١٩٤٣) الذي نشر الطريقة التجّانية الإصلاحية بين السكان القرويين، وأدت المصادمات العنيفة مع التجّانيين التقليديين على قيام الفرنسيين بترحيل حماه الله إلى موريتانيا ثم ساحل العاج ثم فرنسا، حيث توفى سنة ١٩٠٣. وقد أخذت (الطريقة) التي طورها فيما بعد طريقها إلى الزوال، على الرغم من أنه كان لا يزال يوجد منها حوالي ٥٠,٠٠٠ في مالي في فترة سبعينيات القرن العشرين وامتدت إلى موريتانيا. وتضمّن الانحراف عن الإسلام الصحيح عنده عدم الاعتراف بنبوة محمد، واستبدالها بالإشارة إلى حماه الله، ورفض الحج إلى مكة

ورفض أحياناً القرآن نفسه؛ واستبدل القبلة إلى مكة بالتوجه نحو نيورو Nioro «مكة الحملية» Mecca of Hamallism «أي مكة حماه الله». ونشأت معارضة أخرى من تحديهم للنظام الاجتماعي بالتأكيد على مساواة الطبقات الاجتماعية – الشباب بالشيوخ، والطبقات الدنيا بالطبقات العليا.

وبهذه الطريقة أسهمت الحركة في أفرقة الإسلام وتحريفه، وأصبح اثنان من تلاميذه رؤساء للأمم الناشئة، أحدهما هو أمادو هامبيتي با Amadu Hampate Ba عضو المجلس التنفيذي باليونسكو، الذي شجع على ترجمة القرآن إلى اللغة الفولانية ولغة البامبارا. وقد أخذت الحملية (طريقة حماه الله) ذاتها طريق الانحدار.

وكان لا يزال أحد أتباع الحملية، وهو ياكوبا سيلا Yakouba Sylla، يدعي تلقي الوحي من السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ﷺ. ومن مالي في عشرينيات القرن العشرين تم نفيه إلى ساحل العاج في جاجنوا Gangnoa. ورغم ذلك وصل نفوذ دعوته إلى موريتانيا.

أما **حركة الميتاتسين** Maitatsine Movement فقد نشأت في شمالي نيجيريا، من شخص اعتنق الإسلام في شمالي الكاميرون، وهو واعظ إسلامي يدعى مالام محمدو ماروا Mallam Muhammadu Marawa (ولد في العشرينيات من القرن العشرين)، ادعى أنه حل محل محمد، وجاء إلى مدينة كانو سنة ١٩٤٥ وأصبح يسمى مالام ميتاتسين. وبعد صراعات عديدة مع السلطات الإسلامية دخلت الحركة في مواجهة مع الحكومة في كانو سنة ١٩٨٠. وقد قتل مؤسسها، وكانت حوالي ٤,٠٠٠ نفس، وقد كانت هناك قلاقل متقطعة لاحقة.

والميتاتسين هو المفسر المعصوم للقرآن الذي يرفض كل المصادر الإسلامية المتأخرة. وقد كان مؤيدو الحركة أساساً من أهل القرى الذين هددتهم تغيرات

الحداثة التي جلبتها الحكومة المركزية والتعليم والقلاقل الاجتماعية التي نجمت عن ثراء البترول الجديد.

ويعد الأخوان المريدية Mourides من أكبر الحركات الإسلامية الدينية لشعوب غرب أفريقيا، وبخاصة قبائل الولوف في السنغال، وقد أسسها شيخ مرابط من طريقة القادرية الصوفية وهو أمادو بامبو Amadu Bamba (١٨٥٠-١٩٢٧) بعد دعوته لتجديد الإسلام. ثم أدخل من الولوف رجل ارستقراطي يدعى إبرا فول Ibra Fall (١٨٥٨-١٩٣٠) سمة جديدة في الإسلام بالخضوع الشخصي الكلي لأمادو بامبو وتنظيم شباب يافع طموح ليس من أجل الدراسة بل للعمل اليدوي في أراضي المرابط. وأدت قوة العمل إلى تأسيس قرى زراعية مزدهرة مع التأكيد على المحصول الجديد من الفول السوداني، وعلى تأسيس الطوبا Touba المدينة المقدسة الجديدة كمكان للحج السنوي لمئات الآلاف من المريدين. وخلف أمادوا بامبو ثلاثة أبناء؛ أدخلوا العديد من الإصلاحات لتصحيح الرخاوة والفساد في الحركة. وكشكل أفريقي من الإسلام مارس المريديون سلطة سياسية واقتصادية كبيرة غير أن تركيبها الارستقراطي والطرق الزراعية غير المرضية والفهم غير المستقيم والبدائي للإسلام زرع الشكوك حول مستقبلها على المدى الطويل، وأوحى بأن قيمتها قد تكون عاملاً في اضمحلالها.

## ثانيا- الديانة المسيحية:

تدهورت المسيحية الرومانية بدرجة كبيرة في شمال أفريقيا، بسبب الفتح الإسلامي، وكان ما تبقى منها الكنائس القبطية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح في مصر والحبشة. وانتشرت المسيحية في مناطق أخرى من أفريقيا على نطاق واسع عن طريق الإرساليات التبشيرية التي جاءت بعد ذلك (شكل١٣). وفي غرب أفريقيا - بصرف النظر عن الكاثوليكية الرومانية البرتغالية في القرن السادس عشر - تمت معظم أعمال التبشير في القرن التاسع عشر في البداية عن

طريق البروتستانتية، وبعد ذلك عن طريق الروم الكاثوليك. وكانت مناطق نشاط الكنيستين تماثل بشكل عام الانتماءات الدينية للقوى الاستعمارية والتجارة الأوروبية المنافسة. وينطبق نفس الوضع على شرق أفريقيا بعد أن قام باكتشافها دافيد ليفنجستون (١٨١٣-١٨٧٣).

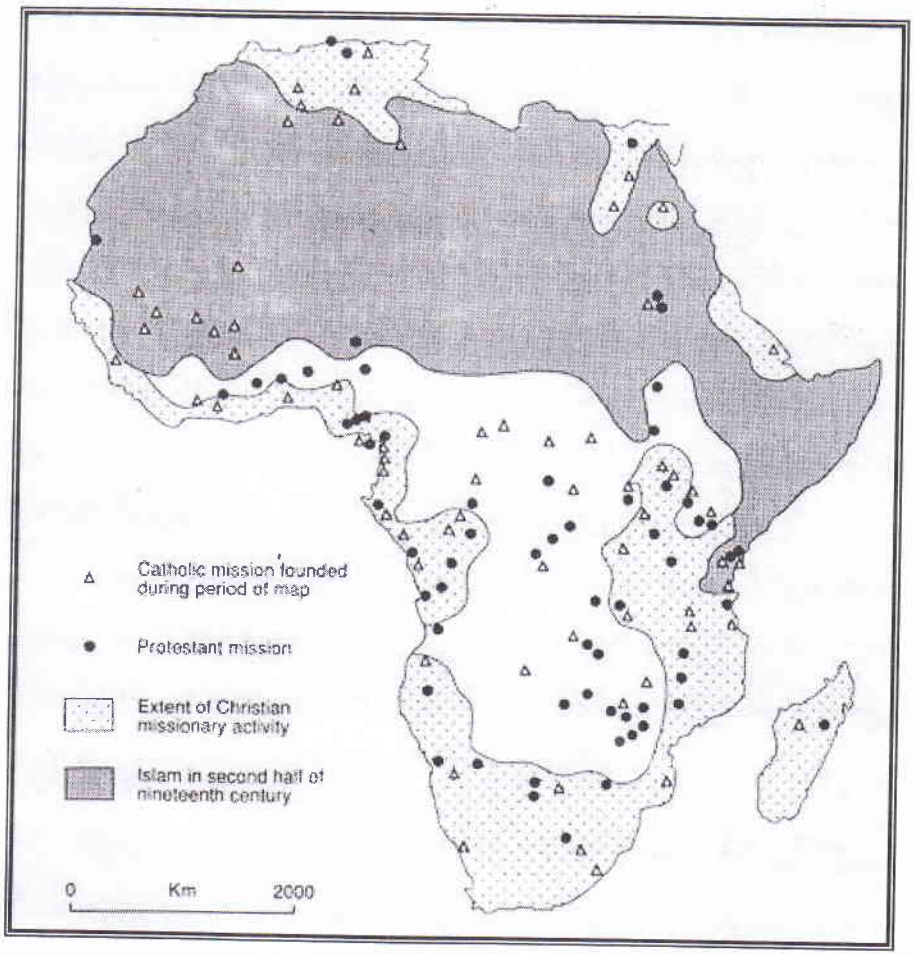


**(شكل١٣) توزيع البعثات التبشيرية الأوربية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر**

وفي جنوب القارة أنشأ الاستيطان الهولندي بدءاً من القرن السابع عشر كنيسة إصلاحية محلية بالإضافة إلى إرساليات التبشير. وقد أدت سياسة الفصل العنصري التي كانت تدعمها كنيسة الإصلاح المحلية إلى حدوث توتر شديد من الكنائس التبشيرية. وقد حققت الأشكال المعدلة من الكنائس المحلية استقلالها عن الكنائس الأوربية التي لها أصل تبشيري منذ خمسينيات القرن العشرين. وفي الشرق الأفريقي، تحولت بعض جماعات من المسيحيين بصورة تلقائية إلى الكنيسة الأرثوذكسية.

ظهرت الأرثوذكسية في شرق أفريقيا في العشرينيات من القرن العشرين كحركة بدافع طبيعي من المسيحية الأرثوذكسية الشرقية. وقد قاد الأوغندي روبين سبارتاس (الذي سمى بعد ذلك القس كريستوفر نيلوبوليس) كرسول الجماعة الرئيسية أولاً نحو « كنيسة أرثوذكسية أفريقية» يكون مقرها الولايات المتحدة، وبعد ذلك في جماعة دينية تتبع البطريركية الأرثوذكسية الشرقية بالإسكندرية (١٩٤٦). ومنذ عام ١٩٥٦، تم دعوة الإرساليات التبشيرية الأرثوذكسية الشرقية في معظم الدول الأفريقية – وعلى وجه الخصوص دولة زائير التي استقبلت الراهب Athonite كوسماس أسلانيديس (المتوفى عام ١٩٨٩) بترحاب كبير. وعمل الأرثوذكس الأقباط على تنمية روابط قوية مع أقرانهم المسيحيين الأفارقة، وبخاصة في جنوب أفريقيا.

وربما قدمت أفريقيا السوداء في تفاعلاتها مع المسيحية حوالي ٨٠٠٠ حركة يصل عدد أعضائها حوالي تسعة ملايين عضو، وحوالي ثلث هذا العدد في جنوب أفريقيا وحدها. وسعت بعض هذه الحركات إلى إحياء الأديان التقليدية بأشكال جديدة مع بعض اقتباسات من المسيحية؛ وتضم هذه الحركات الدينية: كنيسة الأسلاف في مالاوي Church of the Ancestors in Malawi، وديانة الأسلاف في شرق أفريقيا Religion of the Ancestors in East Africa،

والحركة الربانية Godianism في نيجيريا، وطقوس ديما العبادية Deima cult في ساحل العاج، واحتذى البعض نهج يهود الكتاب المقدس، مثل جمعية مملكة الرب God's Kingdom Society في نيجيريا منذ ١٩٣٤.

وتعد معظم الحركات وكل الحركات الكبرى كنائس مستقلة؛ حيث تستخدم الكتاب المقدس وتنوي أن تكون مسيحية، وإن كانت بشكل مشوش، وتندرج تحت فئتين كبيرتين: الكنائس الأثيوبية وحركات العلاج النبوي أو الحركات الصهيونية.

وكانت كنائس هاريست من بين الحركات البارزة التي أنشأها النبي هاريس HARRIS في ساحل العاج؛ وكنائس ألا دورا النيجيرية وأخيرا الحركات الإيحائية وحركات العلم الروحاني؛ وكنيسة كيمبانجوست KIMBAN-GUIST في زائير؛ وكنيسة يوهان مارانك الرسولية الأفريقية وكنيسة يوهان ماسو السبت الرسولية في زمبابوي؛ وكنيسة أليس لينشينا لومبا ALICE LEN-SHINA في زامبيا؛ وكنيسة روبين سبارتاس الأرثوذكسية اليونانية الأفريقية في أفريقيا الشرقية؛ وحركة ماريا ليجيو MARIA LEGIO الكينية؛ وفي مالاوي إرسالية الرب الصناعية PROVIDENCE INDUSTRIAL MISSION؛ وفي جنوب أفريقيا كنيسة الناصرة NAZARITE، وكنيسة الرب المسيحية التي يصل عدد أعضائها ٣٠٠٠٠٠عضو.

وهناك حركات مختلفة تعد مؤسسها مسيحاً منتظراً أسود جديداً يحل محل يسوع المسيح، وتمثل هذه التطورات مجتمعة خميرة دينية ملحوظة بين الشعوب الأفريقية.

وقد ظهرت الكنائس الأفريقية المستقلة بدءاً من ثمانينيات القرن التاسع عشر في غانا ونيجيريا وجنوب أفريقيا، وغالباً من خلال الانفصال عن إرسالية أو كنيسة أقدم تتشابه معها في العبادة والشكل والعقيدة مع بعض تغيرات أفريقية

وسمات ثقافية مثل تعدد الزيجات.

وتعد الكنيسة الأرثوذكسية الأثيوبية أكبر مجتمع باق من المسيحية القديمة في أفريقيا. فقد تأسست في القرن الرابع على يد بحارين نجيا من حطام سفينة مسيحية غارقة ففازا بحظوة إمبراطور إكسوم، وقويت المسيحية بواسطة أعمال «القديسين الرومان التسعة والرهبان السوريان الذين وصلوا حوالي سنة ٥٠٠ م.

ومع انتشار النفوذ الإسلامي دخلت الكنيسة الأثيوبية في دائرة البطريركية القبطية للإسكندرية، حيث ظلت الكنيسة الأثيوبية خاضعة لها حتى القرن العشرين، وتعد حالياً كنيسة وطنية مستقلة تماماً مع نظيرتها في إريتريا. ويوجد أيضاً في أثيوبيا مجتمعات كبيرة من المسيحيين الكاثوليك الشرقيين والأرثوذكس الشرقيين.

## ثالثا ـ الديانات الوثنية

### ١ـ ديانة الدنكا:

الدنكا هم شعب نيلي في جنوب السودان (شكل ١٤)، ومن جيرانهم النوير NUER والشيلوك SHILLUK. ويطلق الدنكا اسم نهياليك Nhialic (السماء) على الإله. ويقف دنج فوق الجميع الآخرين؛ بحيث يبدو أن له تقريباً شخصية النهياليك، ويسيطر دنج على المطر والرعد والبرق. وهو مهم لتحقيق المعرفة الشخصية بالدنج النهياليك.

ويوقر شعب الدنكا أيضاً الأرواح الطوطمية Totemic Spirits، ويمكن أن يلاحظ من بينها رينج Ring (الطبيعة البشرية)، روح الجماعات الكهنوتية، سادة الصيد بالرمح، وهو تجسيد من خلالهم. وتركز ديانة الدنكا مثل النوير على التضحية بالثور، ولكن التضحية هنا أكثر طقوسية، وأكثر كهنوتية، ويتوقف رخاء وصحة الشعب على حياة معلم الرمح Spear-Master. والأكثر

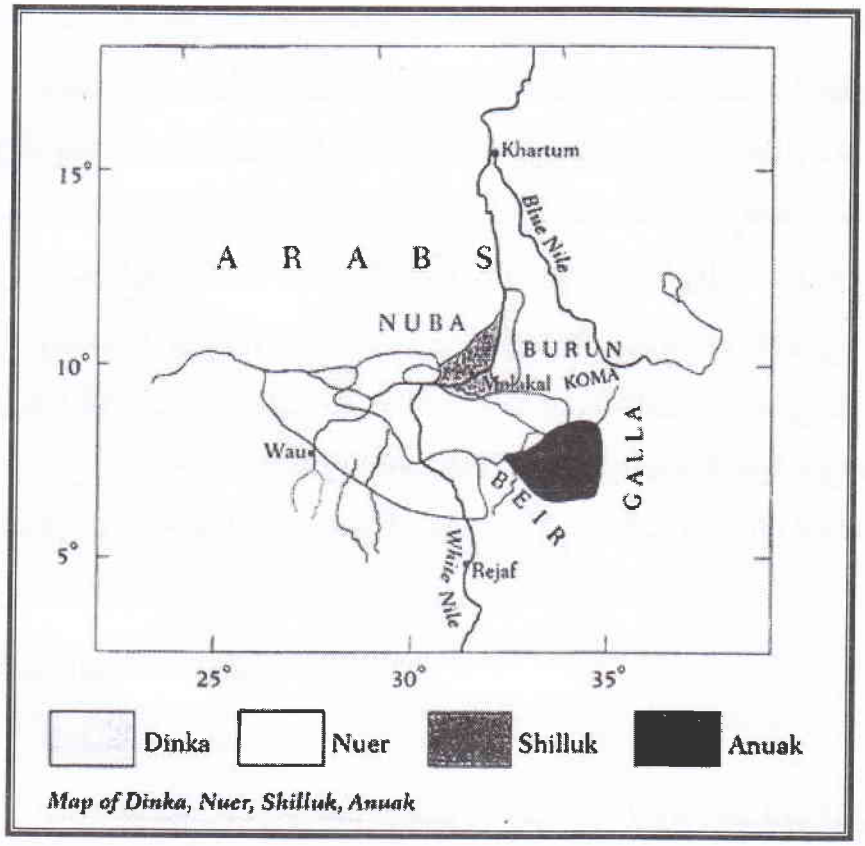


**(شكل١٤) أماكن إقامة قبائل الدنكا والنوير والشيلوك في السودان**

من ذلك، يمكنهم الرينج Ring من قيادة شعبهم والتحدث بطلاقة وأمانة عند التقرب بتقديم أضحية. ويختار معلمو الرمح الموت طواعية عندما يتقدمون في السن، وأن يدفنوا أحياء بعد أن يقدموا النصيحة الأخيرة لشعبهم.

### ٢ـ ديانة النوير:

النوير Nuer قوم نيليون رعويون من الدنكا، يعيشون في جنوب السودان (شكل١٤). وهم يفتقرون إلى أي تسلسل سياسي هرمي منظم. وتكمن ثروتهم ومتعتهم في الماشية. ودين النوير، مرتبط ارتباطاً مسبقاً بكوث Kwoth (الذي يعني الإله أو الروح)، ويعتقد أن كوث خلق كل الأشياء؛ وهو بعيد متسام،

ومع هذا فهو قريب، إنه الأب كامل القدرة وأساس الأخلاق وحاميها. ويبدو أن النوير اعتقدوا فقط في كوث، ولكن في فترة متأخرة دخلت الكثير من الأرواح الأخرى، مثل Deng و buk. ولا تزال هذه الأرواح وكذلك الأرواح الطوطمية انحرافات عن الكوث.

والفعل الديني الأساسي للنوير هو القربان بثور للكوث، إما في مناسبات اجتماعية أو للتكفير عن الخطيئة. وإذا لم يتوفر ثور، فقد يستعاض عن ذلك بالخيار مع موافقة ضمنية من كوث. وكل شخص له كاهنه الخاص ولا يتطلب مكاناً خاصاً أو زمناً محددا لتقديم القربان. وتُقدم البهيمة قرباناً بطعنها بالرمح.

### ٣ـ ديانة الأزاندي:

يعيش (الأزندي) Zande في شمال شرق زائير وجنوب غرب السودان، ويعدون مجتمعاً علمانيا مدنيا تماما، ويقدرون الكياسة والرأي السليم والدعاية والكرم والنزوع إلى الشك. كان ملوكهم موقرين بدرجة كبيرة. ووجود مبوري Mbori الكائن الأعلى، صانع كل الأشياء يعتقد أنه يسكن أعلى الجداول المائية، ولا توجد عبادة منتظمة، بل قليل من الصلوات التي تؤدى بصفة شخصية. ولا يوجد هناك اهتمام كبير بالطقوس المكرسة أو الكائنات الروحية.

وتفسير الأزاندي للموت يعزى إلى السحر الأسود والسحر الضار، والشعوذة. والفكرة في هذا أخلاقية بعض الشيء (الشر يكون من الناس الأشرار)، وعلى ذلك كان للعراف علامة يمكن تبينها في جسده تعطي قوته. وكان الكشف عن تأثيره من خلال الكهانة، ومن خلال استخدام وسطاء الوحي، ومنهم الأكثر ثقة وسيط الوحي الخطير. وتكمن قوة الساحر sorcerer في استخدام الأدوية الكريهة التي قد تتعادل بسحر آخر.

### ٤ـ ديانة الشيلوك:

الشيلوك Shilluk: نيليون، عددهم قليل يعيشون مستقرين في البر الغربي من النيل حول فاشودا Fashoda في السودان (شكل١٤)، هؤلاء القوم مثالاً شهيراً للملكية المقدسة DIVINE KINGSHIP. وعندهم أن جوك أو جوق Jouk or Jok هو خالق العالم وخالق كل الشعوب يتضرعون إليه أحيانا، غير أن الشخصية الرئيسية لدين الشيلوك هي نياكانج Nyikang، البطل الذي قادهم في الهجرة إلى موطنهم الحالي وأسس مملكة الشيلوك وأعرافها. ونياكانج هو الفاعل للعديد من الأعمال البطولية، إذ عبر بشبعه النهر، وحارب الشمس ولم يمت، ويرتبط ارتباطاً قوياً بجوك.

### ٥ـ ديانة جاندا:

يعيش الجاندا Ganda شمال غرب بحيرة فكتوريا في أوغندا (شكل١٥). وأسسوا منذ قرون ممالك قوية في منطقة البحيرات العظمى. وبينما كان الملك (كاباكا kabaka) ينظم شؤون المؤسسات الدينية بدقة، مثل جميع الجوانب الأخرى من الحياة، كان الملوك الموتى يوقرون، كل منهم في ضريح مقبرته، إلا أن ديانة جاندا لم تكن تركز فكرياً على منصب الملك أو مقامه، فهي في حد ذاتها مؤسسة دنيوية، وليست مؤسسة دينية.

تشترك ديانة جاندا في الخصائص العامة لديانة البانتو: كاتوندا KATON-DA، الإله الخالق، وميزيمو MIZIMU أرواح الأسلاف، ومايمب mayembe (قرون الأبقار والجاموس)، والأوثان أو الأشياء ذات القوى السحرية (نكيسي NKISI)؛ وميوزيزي musezi ساحر الليل. ومع ذلك يظهر السحر والساحر بأهمية أقل بين العديد من الشعوب. وتبين العديد من الأمثال قوة وقدم المعتقد في أحد خصائص الكاتوندا العليا. وفي الواقع العملي، كان لديانة جاندا اهتمام أقل لدى كاتوندا، وكانت تتسم بالأحرى بعبادة لوبائل Lubaale، مدفن عظماء

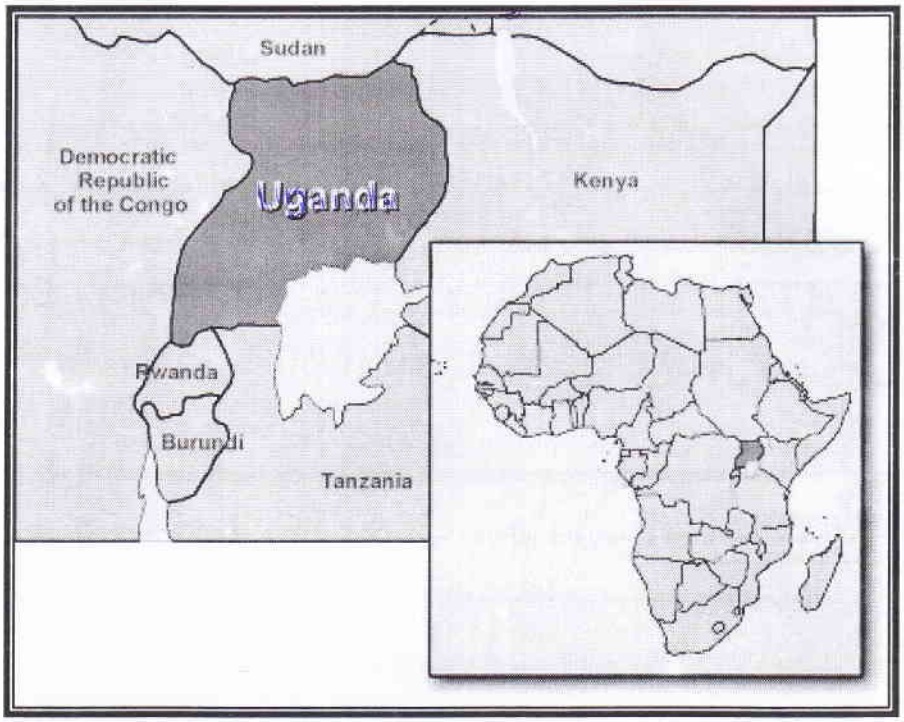


**(شكل ١٥) أماكن ديانة جاندا في أوغندا بشرق أفريقيا**

الآلهة الموسع لأبطال الطبيعة، المشابه لكوزي في نيورو المجاورة. وفي هذا تتباين مع الاعتقاد القائل بإله واحد بشكل أكثر لفتا للانتباه في (إيمانا Imana) في المملكتين الأخريين القريبتين، روندا وبورندي.

وكان اللوبائل الأكثر قوة هم موكاسا Mukasa (إله البحيرة) وكيبوكا Kibuka (إله الحرب)، وموكاسا إله الماء والنماء والشفاء أبقى على الحياة في كل صورها، وكان لطيفاً تماماً. وفي تباين واضح، كان كيبوكا كثيراً ما يتطلب قرابين بشرية. وكان لجميع اللوبائل معابد رئيسية وثانوية (كيجوا kiggwa) وكل معبد له كاهن (موكابونا mukabona) ووسيط (ماندوا mmandwa). وكان للمقابر الملكية (ميزرو masiro) وسيط mmandwa ولم يكن لها كاهن، ويبدو أن الملك الميت كابكا يوجد في مكان ما بين أرواح الأسلاف ميزيمو ولوبائل مدفن أبطال الطبيعة.

## ٦ـ ديانة دوجون:

للدوجون Dogon في مالي وفولتا العليا (شكل١٦) علم ديني معقد ومعظمه سري للغاية، ويمثل أحد المجتمعات الدينية المعقدة في أفريقيا. والاعتقاد الأساسي في ازدواجية Amma أمّا، الإله الخالق وmommo مومو الوحدة الكاملة للكون، الموجود في الأصل داخل بيضة ضخمة. وهناك توأميه أساسية ذكر/ أنثى في علاقة (أما/ نومو) يرمز لها بشكل دائم في العلاقات المتعاقبة داخل نومو. وعلى ذلك فالصورة الصحيحة لنومو هي زوج من التوأم من جنس مخالف.

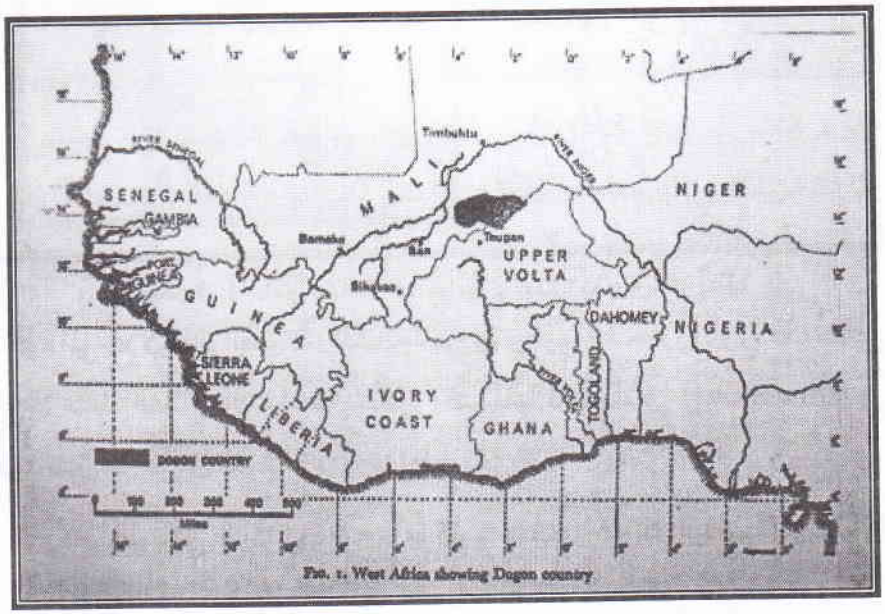

FIG. 1. West Africa showing Dogon country

(شكل١٦) أماكن إقامة الدوجون في مالي وفولتا العليا بغرب أفريقيا

والحياة الاجتماعية كلها فريدة عن غيرها من حيث سبل الزراعة وشكل القرى والعزب، والبيوت، كما أن حياة شيخ القرية يجري ترتيبها بحيث تجسد تعقيدات الاعتقاد الكوني، حيث تنشأ القرى في صورة أزواج، وتحفظ في ثماني حجرات بثمانية أنواع من الذرة الصغيرة الحب، ويحتوي المنزل الذي يقيم فيه شيخ القرية، (hogon) هوجون، ثمانية أحجار لهوجونات الماضي وثمانية

أحجار لهوجونات المستقبل. ويحكم الهوجون، الكاهن الأعلى للأما وخليفة لجميع جوانب الحياة من خلال وجوده الطقوسي، ويمثل كرمز إنساني للنومو الكوني.

### ٧ـ ديانة إيجبو:

يقدر عدد الإيجبو Igbo بحوالي ١٢ مليون نسمة، وهم جماعات من الشعوب الزراعية التي تقطن جنوب شرقي نيجيريا (شكل١٧) ، ويرتبطون بقرابة اللغة والثقافة، ولا يرتبطون ببعضهم من الناحية السياسية. ويبدو أن دينهم يتصف بمعظم السمات المشتركة في كافة أرجاء أفريقيا مثل توقير أرواح

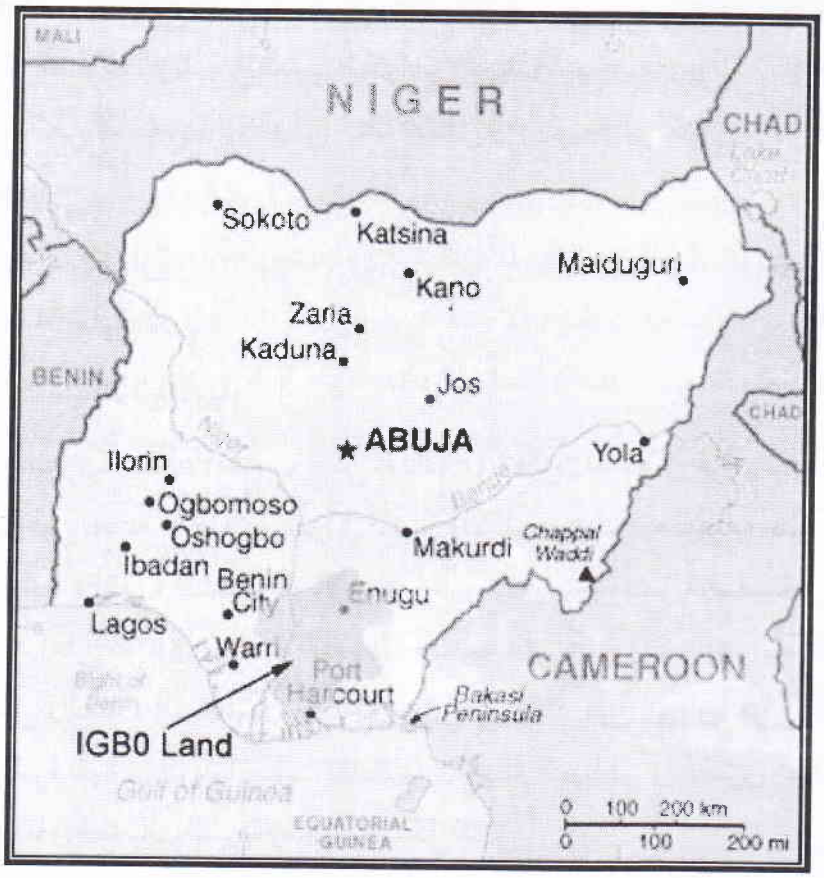


(شكل١٧) أماكن ديانة إيجبو في نيجيريا بغرب أفريقيا

السلف وعددا من آلهة الطبيعة وكذلك روح أصلية سامية واحدة هى «شكوو» أو «تشينكي». ومع ذلك فله سمات خاصة وأمور غامضة. ومن الجدير بالملاحظة أن الإيجبو كانوا على اتصال بالمسيحية لمدة تزيد على ١٥٠ عاماً، ويعدون حالياً من أكثر الشعوب الأفريقية النصرانية. ونتيجة لذلك هناك درجة غير مفهومة من الاختلاف في تفسير العقيدة قبل المسيحية.

ومن بين السمات الخاصة للإيجبو – على الرغم من أن الشعوب المجاورة لهم تشاركهم فيها- سمتين ظاهرتين. الأولى، مكانة الأم الأرض (ألا) Ala. وغالباً ما تنسب أعراف أخلاقية كلية إليها، مثل الخصوبة البشرية والزراعية. وتصاحب الأرواح السلفية بشكل خاص (ألا). فهي تظهر أنها مساوية على الأقل لتشوكو، وقد تمثل تعبيراً مبكراً من السيادة التوحيدية. والسمة الخاصة الثانية هي الـ تشي Chi، وهي كيان غامض وخاص يعطي كل إنسان مصيراً محدداً.

ويعد توشوكو Chukwu الخالق ذو القدرة، إلها ساميا يعد كل شئ من الرعايا المخلوقين.

### ٨ـ ديانة اليوروبا:

اليوروبا Yoruba شعب يصل تعداده ١٠ ملايين نسمة في غرب نيجيريا، ولهم دين يختلف اختلافاً كبيرا في المدينة والإقليم. ويمكن وصفه بأنه عديد من الأديان. والشيء المشترك هو الاعتقاد المعبر عنه بصورة بشرية أساسية في إله واحد أعلى هو أوورن (سيد السماء)، وتقدمه على غيره واضحاً في الأسطورة والمثل والصلاة الشخصية بين الحين والآخر. ويعد دين اليوروبا من الأديان المنتشرة بقوة في أفريقيا حاليا. فقد تبنى المجتمع الصناعي والحضري عبادات أوريشا والجمعيات السرية والكهانة بشكل كامل.

### ٩ـ ديانة مندي:

يعتقد أتباع ديانة مندي Mende في سيراليون sierra leone وليبيريا LIBE-RIA (شكل١٨) أنّ النجيو Ngewo هو خالق العالم وجميع الأرواح. ومعنى الكلمة غير معلوم؛ والاسم المبكر هو ليف « المرتفع» وأحياناً ما توصف الأرض بأنها زوجته. ويمارس المندي عبادة الأسلاف بطريقة معقدة تتضمن طقوس القبر بعد الجنازة والقرابين الروتينية الأخرى. ومع ذلك، فإن الكثير من ديانة مندي يرتبط بالجمعيات السرية الكبرى التي تسيطر على مجالات عديدة من الحياة. ولكل من هذه الجمعيات طقوسها الخاصة بها وتعديات دخول الدين والقرابين. ويتسم دين مندي بإحداث توازن بين عبادة الأسلاف والجمعية السرية وكلاهما خاضع للنجيو البعيد لكنه الموجود أبداً.

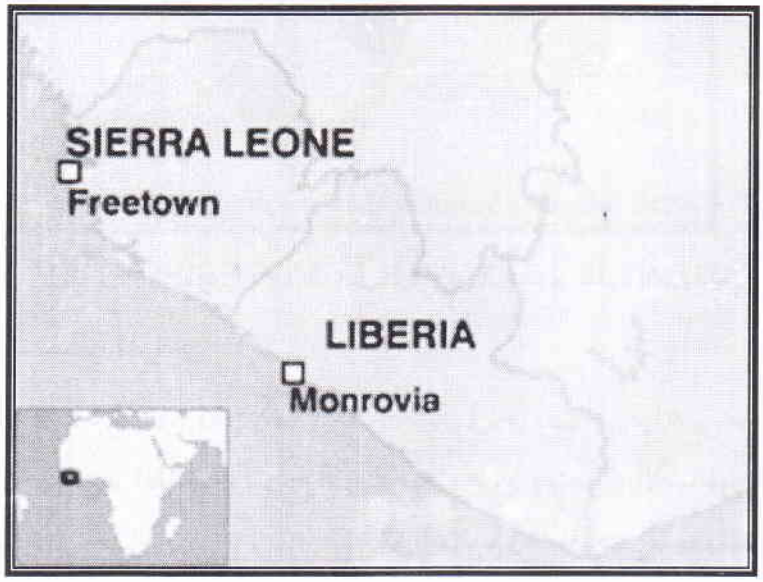


(شكل١٨) أماكن ديانة مندي في سيراليون وليبيريا بغرب أفريقيا

### ١٠ـ ديانة البانتو:

تتميز ديانة البانتو Bantu في دول أفريقيا جنوب الصحراء بالسمات البارزة كالتالي: اهتمام كبير بأرواح الأسلاف، الذين يشكلون الحراس الرئيسيين

للأخلاق، والخوف من السحر والاعتقاد في إله واحد. وتظهر المشاركة الواسعة في المعتقدات والممارسات الدينية بين الشعوب المختلفة للبانتو (شكل١٩).

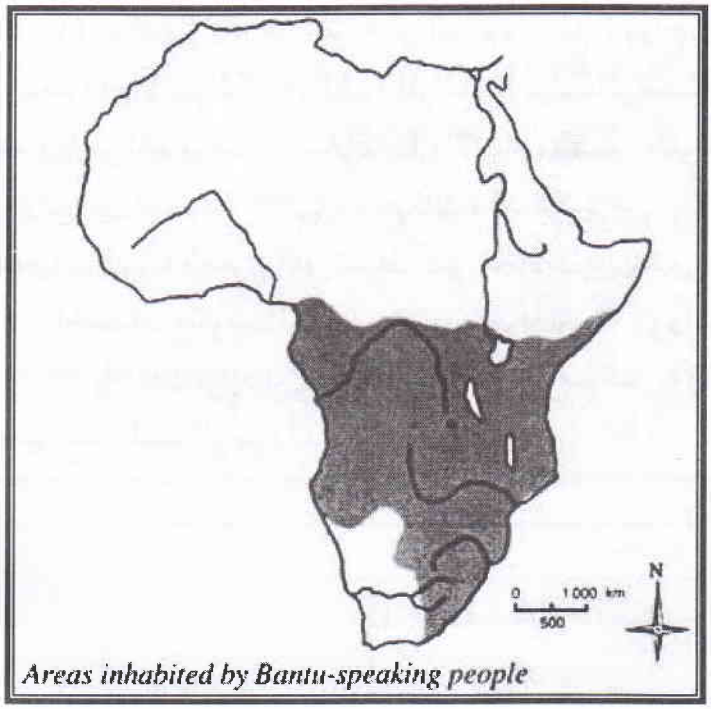


(شكل١٩) أماكن إقامة قبائل البانتو في جنوب قارة أفريقيا

### ١١ـ ديانة لفيدو:

تتركز ديانة لفيدو Lovedu في الترانسفال في جنوب أفريقيا على موجاجي Mujaji ملكتهم المقدسة وأرواح الأسلاف. وهم لا يهتمون بالأساطير الكونية والاعتقاد في خوزوان Khuzwane الخالق اعتقاداً وهميا. فهم لا يصلون له ولا يعدون أسلافهم وسائط. ويعتمد التحكم في الطبيعة وخصوصاً المطر وحياة المجتمع ككل بصورة أساسية على الملكة وصحتها البدنية وسعادتها العاطفية. وهي نفسها لا تعتمد فقط على قواها الباطنية المقدسة بل أيضاً على أدوية مطر خاصة وأرواح الأسلاف الملكيين. وتتطلب قداسة الملكة العزلة وفي النهاية

الموت على يديها، ولكن ليس حياة طقوسية بصورة مستمرة. ويتبع موتها فترة من الاضطراب الاجتماعي والطقوسي.

وفي كل مجتمع الفيدو تتمتع النساء بمكانة مهمة، وهن يقمن بالعديد من الطقوس ولا توجد روح من أرواح الأسلاف أكثر قوة من روح أم الأم. ويرمز المطر إلى الحياة الطيبة والبرودة والإثمار والاعتدال والتصالح الاجتماعي؛ وترمز الحرارة إلى كل ما هو شر وسحر وعرافة وعاطفة وصراع.

### ١٢ـ ديانة مبونا:

تعد مبونا Mbona واحدة من أشهر العبادات المحلية في جنوب شرق أفريقيا، ويقع ضريحها الرئيسي في خولوبيفي Khulubvi بجوار نهر شير shire river في أقصى جنوب مالاوي MALAWI (شكل٢٠) بين شعب مانجانيا. وعلى مدى ٥٠٠ سنة تغيرت طبيعتها وفقا للظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة؛ وكانت وظيفتها الأساسية جلب المطر وقد أضيف لهذه الوظيفة دورها كعبادة رسمية لرئاسة قبيلة لوندو الحاكمة العليا. وإذا كان الضريح يعتمد بشكل فعال على القوة السياسية فإن له أيضاً استقلالا روحياً ومعنوياً معيناً. ومؤسسة الضريح تضم بالإضافة إلى زوجة مبونا والكهنة والوسيط ممثلين للعديد من رؤساء القبائل والرسل

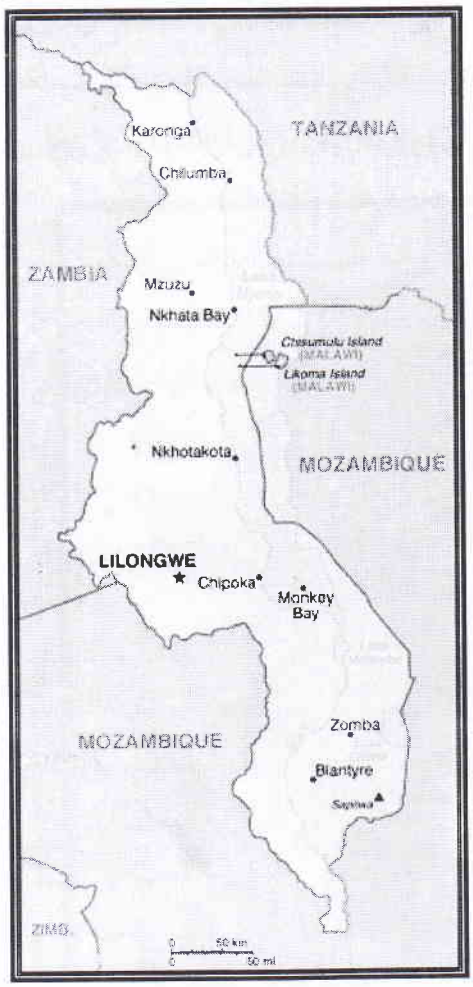


**(شكل٢٠) أماكن ديانة موبونا في مالاوي بجنوب شرق أفريقيا**

يجلبون توسلات من منطقة شاسعة تضم المحيط الهندي بعيدة تماماً عن منطقة مانجانيا. وأقيمت أضرحة أصغر لمبونا في أماكن أخرى لها لاهوتها المختلف.

### ١٣ـ دين شونا:

يعتنق ديانة شونا Shona في زيمبابوي Zimbabwe (شكل٢١) عدد من القبائل، وكان دينها التقليدي ليس متطابقاً ولا ثابتاً. وموتابا شونا Mutapa Shona يعتقدون في إله واحد، يدعى مولونجو MULIUNGU أو أومبي Umbe وفي أرواح الأسلاف، خصوصاً الأرواح (الأكثر قوة) للملوك الموتى. والنمط الحديث ليس واضحاً. يُسمى الإله حاليا مواري MWARI. وعبادته منتشرة في الجنوب حول ضريح كهفي مركزي في ماتونجي بدرجة أكبر من انتشارها في

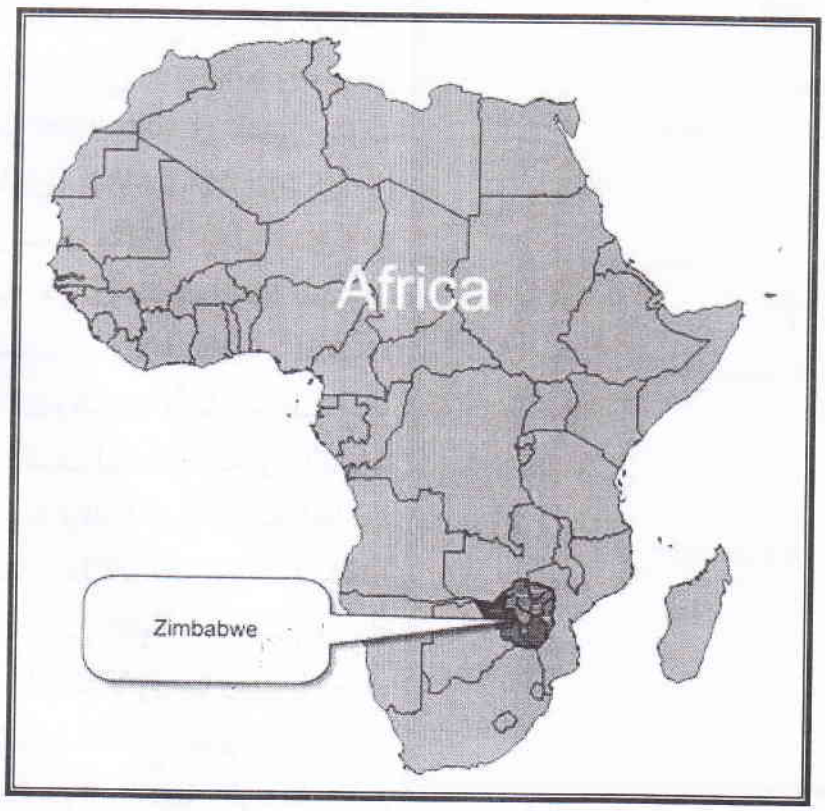


(شكل٢١) أماكن ديانة شونا في زيمبابوي بجنوب أفريقيا

الشمال. وعادة ما يتوجه مصلو الشونا العاديون إلى أسلافهم الموتى، الذين ربما يمرون بهم عبر الأرواح القبلية إلى الإله. وهناك تسلسل هرمي لأرواح الأسلاف الأكثر قوة، وهم من الملوك الموتى. ويؤخذ اسم الروح من الوسيط بحيث يصبح الاثنان معروفين تقريباً في التقليد الشعبي. وهم صناع المطر الذي يرتبط ببركة مقدسة.

### ١٤ - ديانة الزولو:

كان الزولو Zulu في جنوب أفريقيا (شكل٢٢) محط أنظار المسيحية لفترة طويلة، وقد أصيب نظامهم السياسي بأضرار شديدة في القرن التاسع عشر حتى أنه يصعب بشكل واضح وصف دينهم التقليدي ككل. والبرق والرعد من أفعال الإله، في حين يحدث الأسلاف المرض والمشاكل الأخرى في الحياة. ويحمي الأسلاف الحياة، ويطلبون «الطعام» ويتوسلون بالطقوس والقرابين، ويستخفون

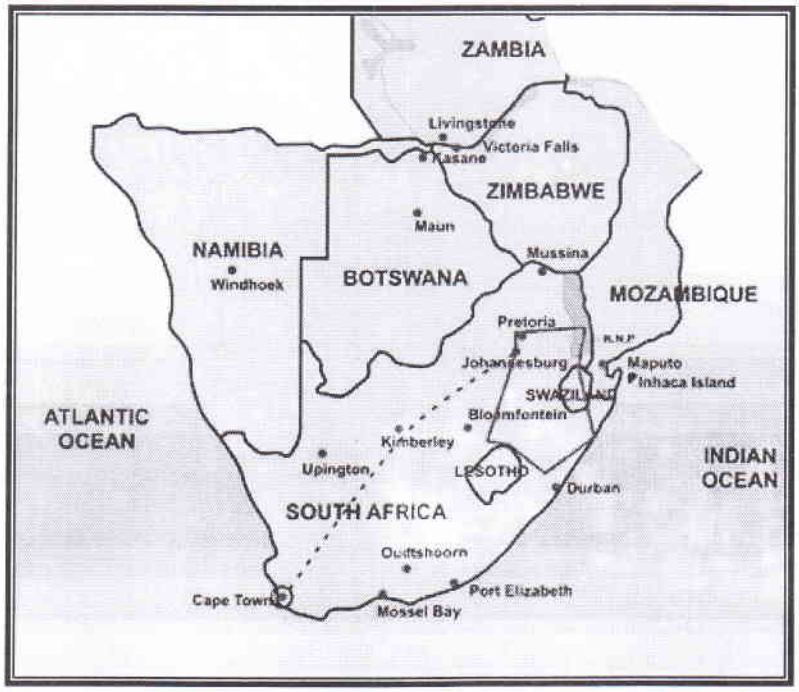


(شكل٢٢) أماكن ديانة مملكة الزولو في جنوب أفريقيا

بالعقاب ويأخذون ممتلكات العرافين. ومعظم العرافين من النساء. وتكشف العرافة عن فكر الأسلاف وتحارب السحر وغالباً ما تعمل كطبيبة تداوي بالأعشاب.

# الفصل الخامس

# الديانات في قارة آسيا

# الفصل الخامس

# الديانات في قارة آسيا

تتعدد الديانات في أسيا ما بين ديانات سماوية وثنوية ووثنية، ولكل أتباعه، ليس على سبيل الأقلية بل على سبيل الكثرة الطاغية، وتفصيل ذلك فيما يلي:

## أولا - الديانات السماوية

### ١ـ الإسلام:

الإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له سبحانه بتوحيده، والإخلاص له والتمسك بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ لأنه المبلغ عن ربه، ولهذا سمي إسلاماً لأن المسلم يسلم أمره لله، ويوحده سبحانه، ويعبده وحده دون ما سواه، وينقاد لأوامره ويدع نواهيه، ويقف عند حدوده، هكذا الإسلام. وله أركان خمسة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع. والشهادتان معناهما: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأن محمدا ﷺ رسوله إلى الناس كافة، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين، وهما أساس الملة، فلا معبود بحق إلا الله وحده، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، كما قال عز وجل: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)(١). وأما شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ فمعناها: أن نشهد - عن يقين وعلم - أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي هو رسول الله حقاً. وأن الله بعثه للناس عامة. إلى الجن والإنس، إلى الذكور والإناث، إلى العرب والعجم، إلى الأغنياء والفقراء، إلى الحاضرة

(١) سورة الحج: ٦٢

والبادية، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تهتدون﴾[1] فهو رسول الله إلى الجميع، من اتبعه فله الجنة، ومن خالف أمره فله النار، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى﴾[2]. فهذه العقيدة الإسلامية العظيمة مضمونها: توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، والإيمان بجميع المرسلين، مع الإيمان بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ. هذه هي العقيدة الإسلامية[3].

والإسلام هو الآن أوسع الديانات السماوية الثلاث انتشارا (شكل٢٣)

ويوضح (جدول٢) الدول الآسيوية ذات الأغلبية المسلمة، والى يتضح من توزيعها أنه كلما ابتعدنا عن المركز (مكة والمدينة) تناقصت نسبة السكان؛ حتى تبلغ أدناها في شمال وشمال شرق القارة.

وغالبية سكان العالم المسلمون يتبعون المذهب السنى ، مقابل ١٠-١٥٪ يتبعون المذهب الشيعى (جدول٣) و(شكل٢٤)، وهم يتركزون بكثافة فى الدول التالية :إيران ، العراق ، البحرين ، أذربيجان، ويتركزون بنسبة أقل فى الدول التالية أفغانستان ، الكويت ، لبنان ، باكستان، المملكة العربية السعودية ، سوريا ، اليمن . أي أن المذهب الشيعي يكاد ينحصر في آسيا فقط.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٣) عبدالكريم زيدان، موجز الأديان في القرآن، ص٧٨

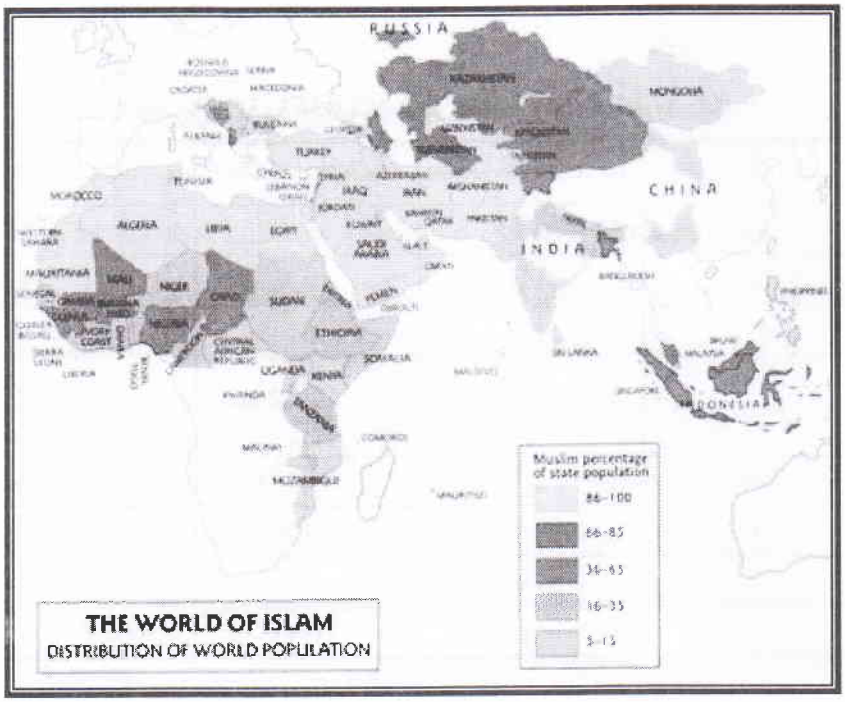


(شكل ٢٣) توزيع نسبة المسلمين في دول العالم الإسلامي

(جدول ٢) الدول ذات الغالبية المسلمة في قارة آسيا (سنة ٢٠١٠)

| الدولة | سكان (مليون) | مسلمون ٪ | الدولة | سكان (مليون) | مسلمون ٪ |
|---|---|---|---|---|---|
| إندونيسيا | ٢٢٨,٠ | ٨٦,١ | باكستان | ١٧٢,٨ | ٩٧ |
| بنغلاديش | ١٦٢,٢ | ٨٩ | إيران | ٧٦,٩ | ٩٨ |
| تركيا | ٧٣,٧ | ٩٩ | العراق | ٣١,٢ | ٩٧ |
| أفغانستان | ٢٨,٣ | ٩٩ | ماليزيا | ٢٧,٧ | ٦٠,٤ |
| السعودية | ٢٧,٦ | ١٠٠ | أوزبكستان | ٢٧,٦ | ٨٨ |
| اليمن | ٢٣,٥ | ٩٩ | سوريا | ٢٢,٥ | ٩٠ |
| كازاخستان | ١٦,٤ | ٧٠,٢ | أذربيجان | ٨,٦ | ٩٣,٤ |
| طاجيكستان | ٧,٢ | ٩٧ | الأردن | ٥,٥ | ٩٥ |
| الإمارات | ٥,٤ | ٧٦ | قرغيزستان | ٥,٣ | ٧٥ |
| تركمانستان | ٥,١ | ٨٩ | لبنان | ٤,١ | ٦٠ |
| الكويت | ٣,٣ | ٨٥ | عمان | ٢,٥ | ٩٣ |
| البحرين | ١,٠ | ٨١ | قطر | ٠,٨ | ٧٧,٥ |

(جدول ٣) توزيع الشيعة في العالم سنة (سنة ٢٠١٠)

| الدولة | السكان (مليون ن) | الشيعة (مليون ن) | % |
|---|---|---|---|
| إيران | ٦٨,٧ | ٦١,٨ | ٩٠ |
| العراق | ٢٧,٨ | ١٧,٤ | ٦٥ |
| السعودية | ٢٧ | ٢,٧ | ١٠ |
| لبنان | ٣,٩ | ١,٧ | ٤٥ |
| الكويت | ٢,٤ | ٠,٧ | ٣٠ |
| البحرين | ٧,٠ | ٥,٠ | ٧٥ |
| سوريا | ١٨,٩ | ٠,١٩ | ١ |
| الإمارات المتحدة | ٥,٤ | ٠,١٦ | ٦ |
| قطر | ٠,٨ | ٠,١٤ | ١٦ |

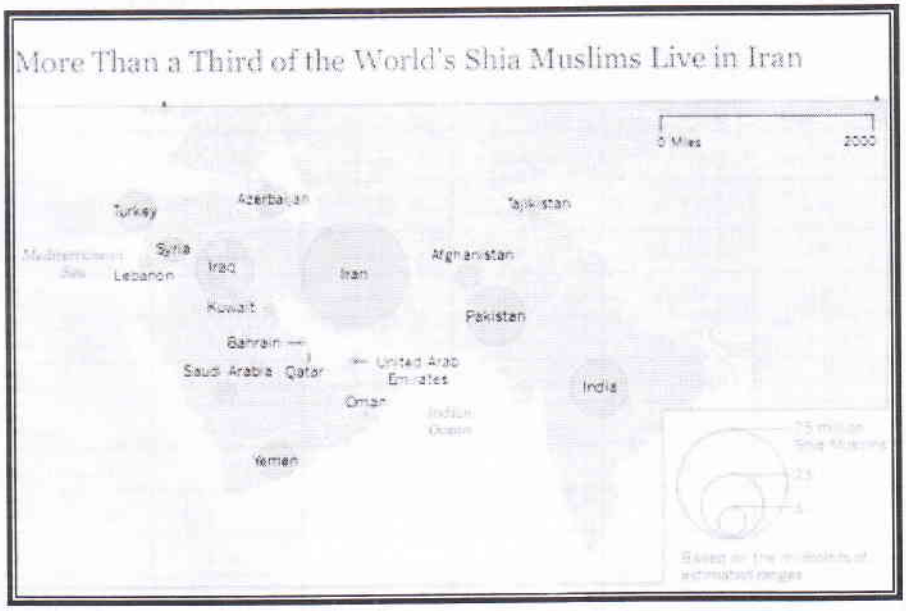


(شكل ٢٤) توزيع المسلمين الشيعة في قارة آسيا

### أ- الإسلام في غربي آسيا:

تدين كل دول غربي آسيا بالإسلام (شكل٢٥)، ويأتي في مقدمتها الدول العربية، حيث أن الحجاز بالمملكة العربية السعودية تعد الموطن الأول للإسلام. ومن ثم انتشر منها إلى بقية القارة ؛ بالتجارة حينا، والعلم والحضارة والفقه والمعاملة حينا، وبالفتوحات حينا آخر.

كما يتركز بهذا الإقليم كل الأماكن المقدسة للمسلمين، سواء عند السنة أو الشيعة.

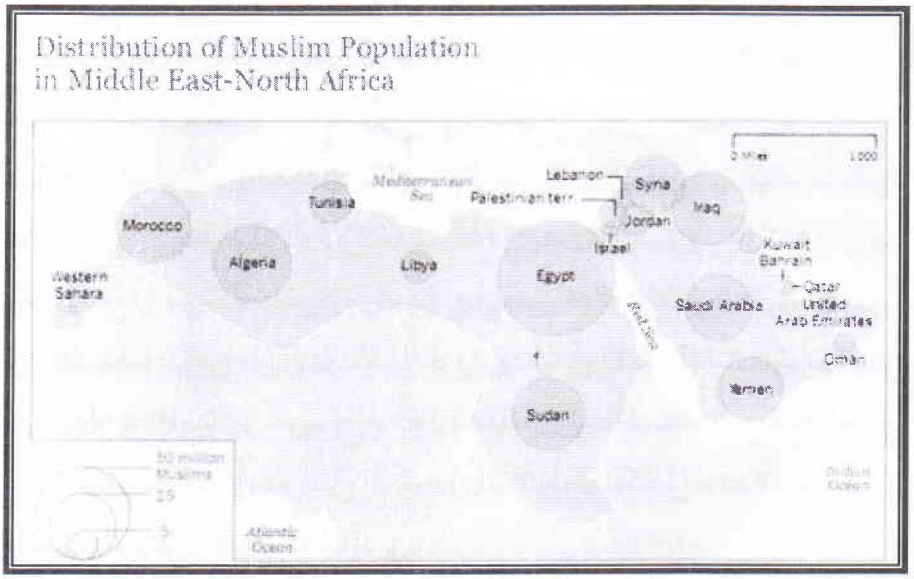


(شكل ٢٥) توزيع المسلمين في الدول العربية

### ب- الإسلام في الكومنولث الروسي:

وفقاً للتقارير الرسمية الإحصائية عام ٢٠١٠ فإنه يوجد حوالي ٣٥ مليون مسلم في روسيا. ومع ذلك، لا يشكل هؤلاء المسلمون جماعة متجانسة واحدة، وإنما يظهر بينهم تنوع جغرافي وعرقي ولغوي واسع النطاق، ومصطلح «تتار» الذي كان يستخدم على نحو غير محكم في روسيا ليشمل كل الشعوب الناطقة

باللغة التركية، وجد أنه يدل في روسيا وسيبيريا الأوربية على صلات عرقية وثقافية اقوى مما تمتلكه هذه الشعوب بالفعل. وقد تشوش استخدام مصطلح «تتار» فيما بعد بإنشاء جمهورية تتارية مستقلة استقلالا ذاتياً داخل الاتحاد الروسي سنة ١٩٢٠، وأصبح اسم «التتار» أيضاً كلقب مميز رسمي لسكان هذه الجمهورية. وتوجد النسب الأكبر من المسلمين في الجمهورية الروسية في الوقت الحاضر في إقليم الفولجا –أورال (في الجمهوريات المستقلة ذاتيا، تتاريا وباشكير والكوفاش)، وفي شمال القوقاز (في جمهوريات داغستان والأنجوش والشيشان وكابردا المستقلة) وبين نصف المليون من الشعوب الناطقة بالتركية في سيبيريا. ومعظم المسلمين الموجودين في روسيا تقريباً على المذهب السني، وتدين الشعوب المسلمة في داغستان بالمذهب الشافعي.

جاء المسلمون في البداية تحت الحكم الروسي بأعداد كبيرة في منتصف القرن السادس عشر بعد سقوط كازان سنة ١٥٥٢ واستراخان في سنة ١٥٥٦ في يد إيفان الرابع (الذي كان يلقب بالمرعب). وفي حين أن العديد من التتار الموجودين في روسيا منحدرين من التتار الذين غزوا روسيا في القرن الثالث عشر، فليس جميعهم من المسلمين، ويرجع دخول المسلمين في داغستان إلى الفتح العربي لبلادهم في القرن الثامن، على الرغم من أن التحول الكامل لهذه الشعوب إلى الإسلام لم يتم إلا في القرن السادس عشر.

وهناك جماعتان مهمتان من المسلمين من الناحية التاريخية، كانوا ذات يوم موجودين داخل أراضي جمهورية روسيا الحالية (التتار الجراكسة وتتار القرم) فقد اختفوا تقريباً نتيجة سياسات القمع الروسية (التي يمكن أن يُطلق عليها الإبادة الجماعية بكل معنى الكلمة) من روسيا الحالية. وهاجر في القرن التاسع عشر ملايين من الجراكسة من شمال غرب القوقاز إلى تركيا وداغستان التي ضمتها روسيا في أوائل القرن التاسع عشر، ذلك الحدث الذي حدد تحول

داغستان من الانحياز مع الجنوب إلى الانحياز مع الشمال، على الرغم من أن شعور الانتماء إلى العالم الإسلامي استمر ينمو بقوة، وانتشرت في داغستان في عشرينات القرن التاسع عشر الطريقة الصوفية النقشبندية. وأتباع هذه الحركة (المريدون) أعلنوا الحرب المقدسة (الجهاد) ضد الغزاة؛ وسعوا إلى تخليص أراضيهم من العناصر الغريبة والمعادية للإسلام، المحلية منها والأجنبية. والحركة الموردية (كما أصبحت معروفة بذلك) انسحقت في النهاية على يد الروس في سنة ١٨٥٩. والحركة الإسلامية الأخرى المهمة التي ارتبطت بالإسلام في روسيا كانت الحركة الجديدة، التي بدأت في منتصف القرن التاسع عشر بين التتار الوافدين من الفولجا – أرال في مدن كازان، ويوفا وأورنبرج وترويستك.

### ج. الإسلام في جنوب آسيا:

الإسلام من الناحية العددية والسياسية مهم جداً في هذه المنطقة: ففي أفغانستان يشكل المسلمون نسبة ١٠٠٪ من تعداد السكان (حسب إحصائيات عام ٢٠١٠، بلغ عددهم ٣٣مليون نسمه)؛ وفي باكستان تصل نسبة المسلمين ٩٧٪ (بلغ عددهم في سنة ٢٠١٠، ١٤٠مليون نسمة) وفي بنجلاديش يصل نسبتهم ٨٠٪ (بلغ تعدادهم ١١٦ مليون نسمة)؛ وفي الهند تصل نسبتهم ١١٪ (١٢٢ مليون نسمة).

وصل الفاتحون العرب إلى السند سنة ٧١١هـ، لكن الإسلام لم ينتشر على نطاق واسع في شمالي الهند إلا في القرن الثالث عشر، وغرس جذورا قوية في جنوب الهند. وإلى أن تحسنت قبضة السيطرة البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر، كانت الطبقة السائدة والهيمنة العسكرية على معظم أجزاء الهند إسلامية، على الرغم من أن أعدادا كبيرة من الفلاحين في وادي الهندوس ووادي الجانج السفلي وجدت أيضاً في الإسلام مهرباً من قسوة النظام الطبقي الهندوسي. وقلص الحكم البريطاني من قوة الطبقات المسلمة مالكة الأراضي،

وأحدث أزمة ثقة في المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولم تعد الأمور إلى وضعها إلى منذ تأسيس دولة باكستان الإسلامية (١٩٤٧) ودولة بنجلاديش (١٩٧١). وفي الهند، كان المسلمون كثرة على وجه الخصوص في أوتار براديش وبيهار وغرب البنجال. وفي الأساس اعتبرت الطبقة المتوسطة من الفلاحين البسطاء والحرفيين أنها غير ممثلة في الحكومة والمصالح العامة الأخرى.

وظل الإسلام في شبه القارة لفترة طويلة متسماً بسلالة قوية من التصوف الصوفي، واستكشف بعض خبرائها الجذور المشتركة للخبرة الدينية مع نظرائهم الهندوس.

### د ـ الإسلام في جنوب شرقي آسيا :

الإسلام من الناحية العددية قويٌّ في شبه الجزيرة وأرخبيل هذه المنطقة، حيث يشكل المسلمون في إندونيسيا نسبة ٩٠٪ من تعداد السكان (وقدر عددهم في عام ٢٠١٠ بحوالي ١٩٠ مليون مسلم)، وفي ماليزيا ٦٥٪ (وقدر عددهم بحوالي ١٢٣ مليون مسلم) مع أقلية ذات شأن في بورما وتايلاند والفلبين (١٠٪ أو أكثر قليلا من تعداد السكان في كل دولة).

وانتقل الإسلام إلى هذه المنطقة عن طريق التجار المسلمين عن طريق الصين، وبحلول القرن الخامس عشر، كانت هناك إمارات إسلامية في مالقا وجاوة وسومطرة وبروناي والسلواسي والموكس والفلبين.

وفي بعض المناطق كان عمل الطرق الصوفية واضحاً، ففي جاوة على وجه الخصوص نشأت بها جماعة من الصوفية. وكان الدين الرسمي في إندونيسيا معتدلاً بشكل قوي، مع تأكيد كبير، على سبيل المثال، على الحج.

وفي مقابل الميول نحو التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة مع الوثنية القديمة أو الأصول الهندو بوذية، فقد كانت على الرغم من كل شيء معارضة

للضغوط الدينية الاجتماعية للحاكم الاستعماري الهولندي. ومن ثم كان الإسلام القوة الموحدة وراء التنظيمات الأهلية ذات الأهداف السياسية والاقتصادية، مثل ساراكات إسلام (١٩١١)، والحركة الأكثر تقليدية وأكاديمية نداء الإسلام (١٩٢٦)، التي أصبحت رؤوس حراب للشعور الوطني ضد الهولنديين. وبعد فترة الاستقلال عام ١٩٤٨، ظل الإسلام عنصراً رئيسياً في الهوية والأيدولوجية الوطنية. ومع ذلك فمن خلال العديد من الطرق احتفظ الإسلام في إندونيسيا بقدر كبير من الميراث الاجتماعي لما قبل الإسلام، الذي ظهر في الإصرار جنباً لجنب مع نظام الشريعة القويم من العادات أو القانون العرفي، مع ممارسات مختلفة جداً في الزواج والإرث في تباين واضح مع الشريعة.

**هـ الإسلام في آسيا الوسطى:**

ظلت آسيا الوسطى أراضي إسلامية منسية، قرابة قرن، وهي الآن الجمهوريات المستقلة في آسيا الوسطى التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي السابق (تركمانستان وأوزباكستان وطاجاكستان وقرغيزستان وكازاخستان)، والتي باستثناء كازاخستان دخلها الإسلام لأنها اندمجت في الإمبراطورية العربية في القرن الثامن، وهي تمثل اليوم واحدا من أكبر التجمعات الإسلامية في العالم (٥١ مليون، تبعاً للإحصاء السوفيتي عام ٢٠٠٩)، أو بتعبير آخر، حيث تتنافس روسيا وتركيا وإيران وأفغانستان على بسط نفوذها عليها.

وجمهورية أذربيجان الحالية المستقلة، أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجمهوريات آسيا الوسطى، ويعيش في أذربيجان حالياً حوالي ١٠ ملايين مسلم (من الشيعة أساساً). وكما هو الحال مع المسلمين في الاتحاد الفيدرالي السوفيتي فإن مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان لا يشكلون مجموعة متجانسة، لكنهم يظهرون تنوعاً ثقافيا وعرقياً كبيراً – فالكازاخيون، على سبيل المثال، كانوا إلى حد بعيد من البدو حتى القرن العشرين، واحتفظوا مع الإسلام بالعديد

من المعتقدات والممارسات الشامانية السابقة على الإسلام. وفي حين أن غالبية المسلمين في هذه الجمهوريات هي جمهوريات ناطقة باللغة التركية، والطاجيك الذي نزحوا إلى أفغانستان يتحدثون شكلاً من أشكال اللغة الفارسية. والغالبية العظمى من المسلمين في آسيا الوسطى من السنة ويتبعون المذهب الحنفي، على الرغم من أنه توجد مجتمعات صغيرة من الشيعة (الذين يضمون حوالي ٩٠,٠٠٠-١٣٠,٠٠٠ من الطائفة الإسماعيلية في المناطق الجبلية من جورنو-باداخشان في جنوب شرق طاجكستان.

وبدءا من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر كانت آسيا الوسطى في الجبهة الأمامية لحضارة إسلامية كبيرة، وكانت مساجد ومدارس بخارى (عاصمة أسرة السامانيين الحاكمة الشهيرة في القرن العاشر) وسمرقند من بين المساجد والمدارس الأكثر شهرة في كل بلاد الإسلام. وظلت هذه المباني التي كانت من أجمل المباني في العالم الإسلامي إلى هذا اليوم تذكرة باقية لسكان هذه المنطقة لمنزلتهم الكبيرة في يوم من الأيام في العالم الإسلامي. والبخاري (٨١٠-٨٧٠م) وابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) هما مجرد اثنين من العديد من العلماء المشهورين الذين كانوا نشطين في هذه المنطقة. وكانت المنطقة أيضاً مركزاً رئيسياً للصوفية، وقد تأسست الطريقة النقشبندية الموجودة على نطاق عالمي في بخارى في القرن الرابع عشر على يد بهاء الدين النقشبندي..

وتسعى هذه الجمهوريات في الوقت الحالي إلى استعادة هويتها الإسلامية، وهي موضع نشاط تبشيري إسلامي كثيف، تعاظم من عدد مختلف من الدول ومن خلال عدد من المنظمات الإسلامية؛ ومع هذا فلا تزال التأثيرات الدنيوية وكذلك الشيوعية قوية، وهي الموروث من العهد السوفيتي وبخاصة في كازاخستان، حيث لا يزال يقيم أعداد كبيرة من ذوي الأعراق الروسية، وفي طاجكستان، حيث لا يزال الزعماء الشيوعيون القدامى في السلطة.

وتظهر تركيا من الدول التي تتنافس لبسط نفوذها على هذه المنطقة، حيث تعمل على إقامة روابط ثقافية واقتصادية قوية مع جمهوريات آسيا الوسطى الجديدة، على الرغم من أن نفوذ إيران، وبخاصة في طاجكستان، ينبغي ألا يهمل شأنه، وهي المنطقة التي ستستمر تمارس فيها سياسات الإسلام لسنوات قادمة.

### و- الإسلام في الصين:

وصل الإسلام إلى ساحل الصين في القرن الثامن الميلادي من خلال جهود التجار المسلمين، غير أن القوة العددية للمسلمين الصينيين المحليين حالياً توجد في الجبال وفي مناطق السهوب وجنوب غربي الصين، مثل كانسو ونينجسيا وشنسي ويونان وتيشكوان، حيث تأسست مجتمعات من المسلمين الصينيين منذ القرن الثالث عشر على الأقل. وفي سنكيانج الإقليم الأقصى غرباً من جمهورية الصين الشعبية، فإن السكان الترك المحليين جمعيهم من المسلمين وربما يكونون أكثر استقراراً، لكن روابطهم الدينية والثقافية مع تركستان الغربية، وجمهوريات آسيا الوسطى في الاتحاد السوفيتي السابق؛ فضلاً عن روابطهم مع الصين نفسها. وغالباً ما كانت الجماعات المسلمة في الصين في حالة ثورة، طوال القرنين الأخيرين، ضد المحاولات الصينية الإمبريالية والشيوعية لفرض دين مركزي أو لفرض نسق ديني معين.

وفي سنة ١٩٣٦ أحصى تعداد الصين ٤٧ مليون مسلم من مجموع السكان البالغ تعدادهم ٤٥٢ مليون نسمة؛ ولم توجد أرقام متاحة خلال الحقبة الشيوعية. ودائماً ما كانت منفصلة عن الروافد الرئيسية للولاء الإسلامي والمعرفة الإسلامية نظراً لبعد المسافة فإن الإسلام في الصين نفسها، في ظل زعمائه الدينيين الأصليين كان عليه أن يتعايش بصعوبة مع الكونفوشوسية وبذلك أصبح بطرق عديدة دينا انتقائياً (يجمع عناصر ثقافية مختلفة) على الأقل حتى الحركة الألفية «للطائفة

الجديدة» المعروفة بالمذهب الجديد New sect في أواخر القرن الثامن عشر وثورات تمرد الميليشيات الإحيائية المسلمة في كانسو وتشيكوان ويونان خلال القرن التاسع عشر. ومنذ قيام الثورة الشيوعية، اضطُهد الإسلام مثل الأديان الأخرى، غير أنه يبدو أن الفترة التالية لماو جاءت ببعض التراخي الرسمي، حتى لو كان لأسباب دبلوماسية؛ وأصبح عدد قليل من المسلمين الصينيين يؤدون فريضة الحج إلى مكة كل عام، وأعادوا فتح المساجد والمدارس على مستوى محدود.

**٢ـ المسيحية:**

وصل بعض المسيحيين المؤمنين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح إلى الهند والصين في القرون الأولى للمسيحية. وكان لهم كنائس مهمة في غرب آسيا (شكل٢٦)، غير أن تنافسهم مع المسيحيين الآخرين قد أضعف شوكتهم أمام الإسلام وتزعزعت المسيحية بشكل دائم في تلك المنطقة وحدث اختراق كبير للهند والصين واليابان من إرساليات التبشير الكاثوليكية من جماعة الرهبان والجزويت في القرن السادس عشر، وقد هلك معظمهم بسبب الاضطهاد. وظهرت موجة جديدة في هذه المناطق من خلال إرساليات التبشير البروتستنتية والجهود المتجددة للكاثوليك في القرن التاسع عشر، وقد كانت هذه الجهود أكثر نجاحاً في مناطق البحار الجنوبية وأقل أماناً في الصين، ولم تكن كثيرا في اليابان وأبدت الثقافات القومية والأديان الرئيسية (الإسلام والهندوسية والبوذية) مقاومة كبيرة للمسيحية في آسيا باستثناء الفلبين وفيتنام، وأظهرت القومية صورة متشددة للمسيحية باعتبارها ديانة غربية غريبة.

والفلبين هي الدولة المسيحية الوحيدة في جنوب شرقي آسيا، وبها أقلية من المسلمين في الجنوب، وأقوام قبليين في التلال. والسواد الأعظم في الفلبين من الكاثوليك الرومان، الذين نصرهم الأسبان بعد سنة ١٥٧٠، عندما انتزعت مانيلا من أيدي المسلمين. وكما هو الحال في أندونيسيا، جاءت الأديان الهندية

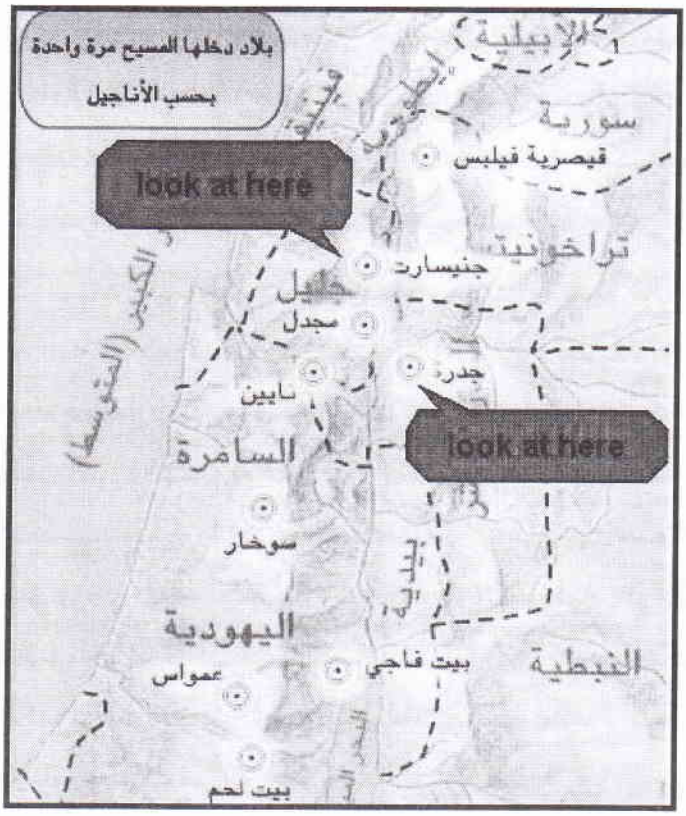


**(شكل٢٦) الأماكن التي دخلها المسيح في فلسطين**

قبل الإسلام، وعلى الرغم من أن توغل الإسلام لم يكن عميقاً كما هو الحال في جزيرة جاوة وجزيرة بالي، فقد ظلت الكلمات السنسكريتية المستعارة في اللغة الرئيسية، التغالوغية.

وفي الصين انقرض النسطوريون الأوائل وإرساليات التبشير الغربية في العصور الوسطى في الصين في القرن الرابع عشر. وبدأ ماتيو ريسي اليسوعي Jesuit Matteo Ricci (١٥٥٢-١٦١٠) تقليداً (اعتبر مذنباً في القرن الثامن عشر) بتكييف المسيحية مع الطقوس الصينية واللغة الدينية. وقد كانت البداية الجديدة سهلة في القرن التاسع عشر من خلال النفوذ السياسي الأوربي. وقد أدى اشتراك المسيحية في هذا النفوذ إلى تفاقم الخوف المرضي التقليدي لدى الصينيين من

الأجانب والنفور الفكري من المسيحية إلى ظهور البوكسر Boxer (وهي الحركة السرية التي حاولت عام ١٩٠٠ طرد الأجانب من الصين وحمل المتنصرين على الارتداد). وقد تضمن عصيان تاي بينج T'ai P'ing (في خمسينيات القرن التاسع عشر) قدرا من التوفيق بين الأديان الصينية والمسيحية.

وكانت السمة المهمة لسياسة التبشير ظهور نظام تعليم عال مسيحي. وسرعان ما أدى مقدم الدولة الشيوعية (١٩٤٩) إلى استبعاد الإرساليات التبشيرية، بالإضافة إلى سياسة حكومية أجبرت الكنائس على أن يكون تدعيمها ذاتيا. وجلبت الثورة الثقافية في عام ١٩٦٦ الاضطهاد غير أنه منذ عام ١٩٨١ بدأ تخفيف التعصب الديني ومزيد من العبادة المفتوحة فشهدت هذه الفترة بقاء المسيحية، بل وزيادة أعداد معتنقيها. وشجعت فترة الاضطهاد على التعاون بين بعض الكنائس لكنها خلقت أيضاً انقسامات حول التعاون مع الحكومة. وقد واجهت الكاثوليكية الرومانية أيضاً اضطرابات بسبب انقطاع الاتصال طويل الأمد مع روما. ومع ذلك لم تكن المسيحية أكثر من نفوذ أقلية في الصين.

وفي اليابان وصل القديس فرانسيس زافير Francis Xavier قادما من لشبونة في البرتغال عن طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي إلى كاجوشيما سنة ١٥٤٩ (شكل٢٧) وتم تنصير العديد وإدخالهم الكاثوليكية الرومانية قبل أن تصدر الأوامر بشكل مفاجئ إلى الإرساليات التبشيرية بمغادرة البلاد سنة ١٥٨٧. بدأت عمليات الاضطهاد في سنة ١٥٩٧ ونجحت سياسة الاستبعاد في تقليص المسيحية، وكان الاستثناء ممثلاً في الجماعات «السرية» في جزيرة كيوشو. وصل أول بروتستنتيون في سنة ١٨٩٥ بعد سنوات قليلة من فتح البلاد مرة أخرى على العالم الخارجي، وكانت الطوائف المسيحية التقليدية ممثلة، وكانت تلفت النظر بصفة خاصة بدعمها للعديد من المدارس والجامعات والمستشفيات. وقبل الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة، ومن أجل إحكام السيطرة ألزمت الحكومة

وبقارة آسيا تتركز الدولة اليهودية الوحيدة على مستوى العالم (إسرائيل) على حساب دولة فلسطين المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ .

## ثانيا - الديانات الوثنية

### ١ـ ديانة الشنتو:

**الشنتو Shinto**: الدين الأصلي في اليابان. وقد أطلق عليه هذا الاسم (من الصينية شين تاو، «طريق الآلهة» way of gods) في القرن الثامن، بعد أن أُدخلت البوذية، وذلك لتمييز الدينيين أحدهما عن الآخر. وأصبح الشنتو سياسيين بحلول القرن الثامن، عندما نسب كتّاب ياماتو Yamato writers أصول إلهية على العائلة الإمبراطورية، وطالبوا بذلك بشرعية الحكم.

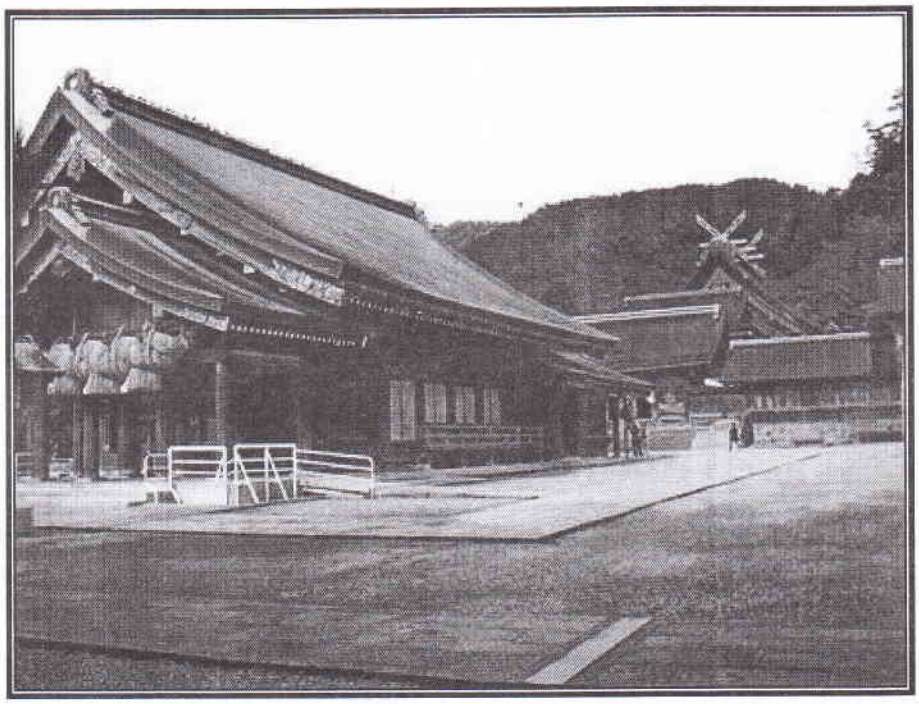

(صورة ٧) أحد مزارات الشنتو في اليابان[١]

(١) المصدر: www.allofan.com/openblog/archive/topic//

والهدف من طقوس الشنتو هو التوسل إلى الكامي KAMI، أي قوى الطبيعية، من أجل المعاملة الخيرة والحماية، وتتكون من التقشف وتقديم القرابين، والصلوات والطهارة. وتجري طقوس الجماعة في أوقات ثابتة خلال السنة، وتتم الزيارات إلى مزارات الشنتو SHINTO SHRINES في مراحل تحدد تقدم الحياة. والكامي KAMI هي القوى الغامضة في الطبيعة التي تصاحبها أساساً سمات طبوغرافية دائمة، في (الجبال المقدسة)، والجروف الصخرية والكهوف والينابيع والأشجار والأحجار. وقد نشأت مجموعة كبيرة من الحكايات الفولكلورية حول هذه البقاع المقدسة. وغالباً ما تشير الحكايات إلى استحواذ الحيوانات، وتشمل على وجه الخصوص الثعالب وكلاب الراكون، والكلاب والقطط التي تسحر الناس. ولا تلعب الأجرام السماوية سوى دور عرضي.

ويؤكد الشنتو على أهمية الطهارة، ولما كان الموت والملوثات الأخرى يجب تجنبها، فإن الشنتو يتعلق أساساً بالحياة والفوائد من هذا العالم، التي ينظر إليها بأنها عطايا إلهية. ومن الناحية الأخلاقية، فما يعتبر خيرا للجماعة يعتبر صحيحا خلقيا، ويتوقع الإخلاص والوفاء. ويمكن التخلص من الانحراف عن طريق الطهارة. وإجراءات الطهارة تجعل المتعبدين ذوي طلعة بهية، ونتيجة لذلك يقبل الكامي دعواتهم. وعادة، يحمي شيخ القرية مزار آلهة القبيلة.

في عهد ميجي Meiji period (١٨٦٨-١٩١٢) قضى مرسوم إمبراطوري بأن تكون ديانة الشنتو هي الديانة الرسمية للدولة، وتأكدت ألوهية الإمبراطور القائمة على مفاهيم كونفوشيوسية من الطاعة للإمبراطور والدولة. وبعد الحرب العالمية الثانية، خسرت الشنتو منزلتها كدين رسمي، ولم تكن عضوية الأضرحة مطلوبة وأصبحت الإسهامات تطوعية.

وهناك أيضاً كتابات عن القوانين المنظمة للدين الطبيعي، وإجراءات طقوس الأضرحة الشنتوية، وقد أخذت الديانة الكثير من الكوزمولوجيا (علم الكون COSMOLOGY) ومن المصادر الصينية.

وتعتبر الأضرحة بجميع الأحجام المختلفة الموجودة في تجاويف الأشجار من السمات اللافتة للنظر في المناظر الطبيعية اليابانية. وأسلوب بناء الضريح له ملامح مميزة، فجميع الأضرحة لها بوابات مقدسة (توري)، بينما تعتمد السمات الأخرى على حجم الضريح والغرض منه. ويوجد بالأضرحة الكبيرة مبنى قربان مثل البوابة وخلفها لا يمر المتعبدون عادة، وردهة رئيسية.

ولاقى حرق الجثث قبولاً إمبراطورياً من قبل الإمبراطورة جيتو Empress Jito، التي أحرق جثمانها سنة ٧٠٤، بعد سنة من موتها. وفي القرون المتعاقبة. انتشرت ممارسة إحراق الجثث على المستوى الاجتماعي والجغرافي. وبعد ذلك، تم استبدال الزجاج والجرار المرمرية المصنوعة من البرونز المطلي بالذهب، كأوعية للرماد من الصناديق الحجرية والأوعية المصنوعة من الطين. وبعد انحدار ممارسة إحراق الجثث في العصور الوسطى، التي قد يكون السبب في ذلك ارتفاع نفقاتها، فمن المألوف حالياً أن يتم إحراق الموتى تحت إشراف بوذي، لكنه لا يسن قانوناً إلا في المناطق المأهولة بالسكان.

### ٢ـ ديانة بياكو شنكوكاي:

بياكو شنكوكاي Byakko Shinkokai: ديانة جديدة في اليابان أسسها جوي ماساهيا Goi Masahisa (١٩١٦-١٩٨٠)، وتحث على الصلاة من أجل السلام في العالم. وتوضح هذه الديانة أن البشر يستمدون أصلهم من الكامي الكوني universal KAMI، وأن لكل شخص أرواح حامية (شجوري) ويسهل توجيه أفكار المرء نحو هذه الحاميات وتوفير المساعدة المطلوبة لهم، مثل استرداد الصحة. والسلام هو ما يرغبه كامي قبل كل شيء آخر بين شعوب العالم. ولهذا السبب فإن الصلاة من أجل سلام العالم تساعد على إحداث الخلاص الشخصي والسلام في العالم. ويجتمع الأعضاء مرة كل أسبوع ليستمعوا إلى رسائل على شريط مسجل التي سجلها جوري قبل وفاته وللصلاة من أجل سلام العالم.

وكناية عن تكريسها لخدمة السلام توزع بياكو شنكوكاي الملصقات وتقيم «أعمدة السلام» التي تحمل كلمات «نرجو أن يحل السلام على الأرض». وقد أجريت أيضاً صلاة سلام عالمية في لوس أنجلوس وباريس وبكين. ويوجد المركز الرئيسي لبياكو شنكوكاي بالقرب من طوكيو في مدينة إتشيكاوا بمنطقة توشيبا. والزعيمة الحالية للديانة ابنة جوي بالتبني سينوجي ماسامي Saionji Masami، ويبلغ عدد أعضاء هذه الديانة بنحو ٦٠٠,٠٠٠ عضو.

### ٣ـ ديانة كوروزوميكيو:

كوروزوميكيو Kurozumikyo هي أقدم الديانات الجديدة في اليابان حيث قام بتأسيسها كاهن شنتوي يدعى كوروزومي ماينتادا Kurozumi Munetada (١٧٨-١٨٥٠). ويرجع أصل الطائفة إلى معايشة كوروزومي لتحول ديني في ١١ نوفمبر ١٨١٤. بعد ذلك مرض كوروزومي بصورة خطيرة وابتهل إلى إلاهة الشمس أماتيراسو-اوميكامي AMATERASU- OMIKAMI وأقسم على أن ينذر نفسه لها بإذعان مطلق. وفي ذلك الوقت أصبح يدرك أن كامي والبشر هم في الأساس شيئاً واحداً، وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأ يبشر بهذا الإيمان. وقام بشفاء فتاة خادمة في منزل كوروزومي بوضع يديه عليها ونفخ الجزء المصاب. وسمع الكثير من الناس عن قدرته الشفائية وأتوا إليه من أجل العلاج. ومن أجل تجميع الجماعات قام بالوعظ بكلمات سماوية وبعد ذلك ساعد الأفراد في حل مشاكلهم المادية. وأصبح البعض مؤمناً وجاء العديد ممن قبلوا التعليم الجديد من طبقة الساموراي. وبعد وفاة كوروزومي تولي أحد تلامذته العمل. ومع نهاية الفترة الإقطاعية (١٨٦٨) بلغ عدد أعضاء الطائفة حوالي ١٠٠ ألف عضو، كان من بينهم عدد من نبلاء البلاط. بيد أنه في اجتماعات الطائفة لم يعترف بالاختلافات في المقام، وكان الجميع في الطائفة في منزلة واحدة.

وقد مُنحت طائفة كوروزومي تفويضاً حكومياً بالوجود كطائفة شنتوية

مستقلة في سنة ١٨٧٦ . ووصل عدد أعضاء كوروزومي عام ٢٠١٠ حوالي ٣٥٠ ألف عضو. ومركز الطائفة الرئيسي في مدينة أوكاياما في منتصف المسافة ما بين كوب وهيروشيما. ومنذ وفاة مؤسسها آلت زعامة الطائفة إلى سلسلة أجيال متعاقبة من أسرة كوروزومي. ولا توقر طائفة الكوروزوميكيو أماتيراسو – أوميكامي ومدفن عظماء كامي التقليدي فحسب بل أيضاً مؤسسها الذي يؤلّه لدرجة العبادة. ويقام مهرجان تكريم لمؤسس الطريقة في شهر إبريل كل عام.

### ٤ـ ديانة شينيوين:

شينيوين Shinnyoen : ديانة يابانية جديدة تتأسس على تقليد بوذي سري وتعتمد على الروحانية، وترجع شينيون بأصلها إلى إيتو تومجي Ito Shinjo (١٩١٢-١٩٦٧). ووصل عدد أعضائها عام ٢٠١٠ حوالي ٨٨٠٠٠ عضو، ولها فروع في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وتايوان ومناطق أخرى.

كان إيتو شنجو مهندس طيران وانحصرت اهتماماته في اللاهوت وقراءة الطالع. وفي الرابع من فبراير ١٩٣٦ كانت زوجته تومجي تتعلم على يد عمتها يوي تامي، تلقت القوة لتعمل كوسيط روحي. ويرجع أصل شينيون إلى هذا التاريخ؛ لأنه منذ ذلك الوقت تأثر شينجو بزوجته وعمتها وصمم على اتباع طريق الدين وأنشأ في نفس السنة منظمة كانت تجتمع في بيتهم. وفي سنة ١٩٤٨ قام بتأسيس ماكوتو كيودان والتي أعيد تسميتها في سنة ١٩٥١ شينيوين.

وفي مركز شينيوين الرئيسي تاشيكيواوا Tachikawa كان لها في موضع الشرف تمثال كبير لبوذا يمارس الاستنارة. والهدف الأسمى للمؤمن بالشينوين أن يكون وسيطاً؛ لأن الوسيط ليست له طبيعة بوذا «مصقولة» فحسب وإنما يكون على اتصال أيضاً بأرواح الأسلاف في العالم. ويعمل الوسيط كمرآة يرى فيها المرء نفسه عن طريق الكلمات التي ينطقها الوسيط عندما يكون في حالة غشوة.

## ٥ـ الديانة الزرادشتية:

دين أتباع النبي الإيراني زرادشت ZOROASTER (سنة ١٢٠٠ق.م). وتاريخ الدين في الفترة السابقة على القرن السادس قبل الميلاد غير معروفة. ومنذ ذلك الحين فصاعداً أصبحت الزرادشتية هي الدين الرسمي للدولة لثلاث إمبراطوريات إيرانية متعاقبة: الأخمينيون Achaemenids (٥٤٩-٣٣١ ق.م) والبارثيون Parthians (القرن الثاني ق.م إلى سنة ٢٢٤ ميلادية) (شكل٢٨)، والساسانيون Sasanins (٢٢٤-٦٤٢م) التي امتدت حدودها إلى ما يعرف الآن بأفغانستان وباكستان وغرباً إلى ما يعرف حالياً بالعراق، وأحيانا إلى فلسطين وما يعرف الآن بتركيا. وتقلصت الزردشتية نتيجة التوسع الإسلامي، وكان العاهل الزرادشتي الأخير هو يزدجرد Yazdegird (المتوفى سنة ٦٥٢ميلادية). ويستخدم التقويم الزرادشتي الحديث الذي يبدأ بحفل تتويجه بالتسمية أنويازدجرد anno Yazdegird.

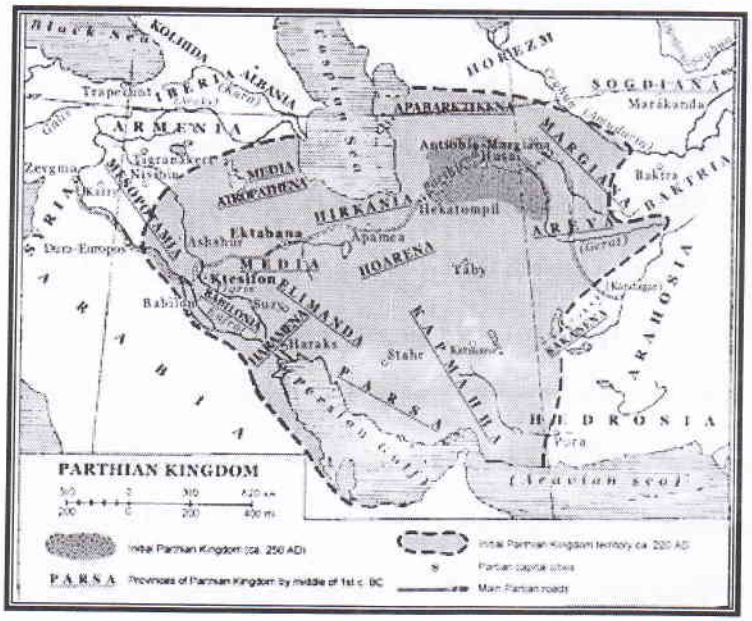


(شكل٢٨) مملكة البارثيين (القرن الثاني ق.م إلى سنة ٢٢٤ ميلادية)

ومنذ نهاية الدولة الزرادشتية اضطهد المسلمون الدين الزرادشتي بقسوة في إيران، حتى أجبرت القلة المؤمنة به على الانزواء إلى القرى البعيدة، وخصوصاً بالقرب من المدن الصحراوية، حيث عاشوا بصفة عامة في فقر مدقع. وقد منحوا حرية أكبر في ظل الأسرة البهلوية PAHALAVI dynasty وقد وعدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحالية على الحفاظ على حقوق الأقليات.

وفي القرن العاشر الميلادي ترك بعض الزرادشتيين إيران بحثاً عن أرض جديدة تكفل لهم الحرية الدينية واستقروا في شمال غرب الهند، حيث يعرفون حاليا بالبارسيين (الفارسيين). والمراكز الرئيسية للزرادشتية حاليا هي الهند وإيران وباكستان وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا، ولا يتجاوز مجموعهم ١٣٠ ألف نسمة.

وتوجد التعاليم الزرادشتية التقليدية في الكتاب المقدس الأفستا، والأدب البهلوي. والسمة الأساسية لكل العبادة تتركز على النار، والطهارة المادية والأخلاقية. وغالباً ما توصف الزرادشتية بالازدواجية بسبب تعاليمها عن إله طيب صحيح، يتعرض للشر. ومع ذلك، فإن جزءا رئيسياً من هذا الدين المتفائل يرى أن الشر سوف يهزم في النهاية. ولا توجد فكرة ثنائية الجسد والروح لأن كل من العالم الروحاني والمادي هما من صنع (بنداهيشان BUNDAHISHN) الله. وعلى ذلك فالبشر عليهم واجب ديني بالاهتمام بكل من السمات المادية والروحية لوجودهم. إنه الدين الذي يغرس في الذهن القيم الأخلاقية العالية. وبمجرد أن يدخل المؤمن الدين ينبغي أن يحارب الشيطان بكل أشكاله.

وللزرادشتية أهمية تاريخية كبيرة بسبب وضعها الجغرافي المتشعب على الطرق بين الشرق والغرب وأيضاً بسبب تأثيرها العظيم على اليهودية والمسيحية والإسلام، خصوصاً بالنسبة للمعتقدات عن الجنة والنار والنشور ويوم الحساب. ويعتقد أيضاً أنها ألهمت اعتقاد بقدوم مخلص في الهندوسية والبوذية.

وثمة مباني تعرف بأنها أبراج الصمت؛ مبنى في الزرادشتية يلقى فيه الميت لكي تلتهم لحمه آكلات الجيفة (كالنسور مثلاً). وعلى ما يبدو في العصور القديمة أن الجثث كانت تلقى في مكان بعيد غير محاط بجدران. وفي العقيدة الزرادشتية يعد الموت من أسلحة (الشيطان) الأساسية، حيث يكون موقع الجسد الميت هو المكان الذي يوجد فيه الشيطان بقوة. ولكي تدفن جثة الميت أو تحرق أو تلقى في البحر فإنها تلوث المخلوقات المقدسة في الأرض والنار والماء. وتصدر تعليمات دينية صارمة للتعامل مع الجثث.

وفي هذه الأيام، ينقل البارسيون الجثة بسرعة إلى أراض داكسما المقدسة. وهناك تغسل، ويصلي عليها كاهن ويوجد كلب ونار مقدسة تمنع قوى الشر من التقدم نحوها، ويحمل الجثة حاملوا الجثث في موكب جنائزي، حيث يمشون أزواجاً كما يفعل الحزاني لحماية أنفسهم من شر الشيطان، الذي يتعاظم تأثيره أثناء الموت، وهو انتصاره الظاهري. وبعد حضور الحزانى الجنازة يجب عليهم أيضاً الاستحمام ليخلصوا أنفسهم من عدوى التلوث. وبشكل نموذجي، لا يحتفل الزرادشتيون بذكرى الميت من خلال إنفاقهم ببذخ على إنشاء المقابر، لكنهم يقدمون صدقات خيرية يعلن عنها، أو طقوس اليوم الرابع إحياء لذكرى المتوفى. ومن هذا الميراث ومن خلال الهبات الكثيرة في أزمنة أخرى اكتسب الزرادشتيون سمعة طيبة من العطاء الخيري، وخصوصاً في الأعمال الطبية والتعليمية من أجل التخفيف عن الفقراء.

وثمة جماعة من الفارسيين المنحدرين من جماعة صغيرة من الزرادشتيين الذين غادروا موطنهم الإيراني للفرار من الحكم الإسلامي والبحث عن منطقة تكفل لهم الحرية الدينية. وقد استقروا في شمال غرب الهند (كوجرات) في سنة ٩٣٦ ميلادية. وفي ظل أوربيين وبخاصة البريطانيين، نص دستور من القرن السابع عشر فصاعداً على أن ينتقل البارسيون بأعداد كبيرة إلى الميناء الجديد

والعاصمة التجارية المتنامية بومباي الواقعة في غربي الهند. وفي القرن التاسع عشر حصلوا على ثراء وقوة بما لا يتناسب مع أعدادهم.

وفي سنة ١٩٤٧ سنة مع استقلال الهند وصل عددهم حوالي ١١٢٠٠٠ نسمة في الهند ووصلت نسبتهم ٦١٪ في مدينة واحدة مثل بومباي. وأظهرت الإحصائيات في عقد الثمانينيات من القرن العشرين أن أعدادهم أخذت في التناقص بمعدل ٢٠٪ لكل عقد، وبنسبة متزايدة في ممباي، وما يزيد على ٩٠٪ من السكان المقيمين في المناطق الحضرية. والمجتمع البارسي حالياً في الهند، هو المركز الرئيسي للزرادشتية. وأدت فرص العمل بالتجارة في الإمبراطورية البريطانية إلى رحيل البارسيين واستقرارهم في دول مختلفة، ولذا توجد حالياً مجتمعات صغيرة في أستراليا (سيدني وملبورن) وسنغافورة وهونج كونج وباكستان (كراتشي) وإنجلترا (لندن) وكندا (ترونتو ومونتريال وفانكوفر) والولايات المتحدة الأمريكية (في حوالي ١٧ مدينة وخصوصاً نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس). وأجبرت المجتمعات في عدن وشرق أفريقيا على الرحيل في حقبة الستينيات والسبعينيات، على الرغم من بقاء جماعات صغيرة جداً في نيروبي ومومباسا وفي دوريان بجنوب أفريقيا.

كان معظم المهاجرين البارسيين حرفيين مهرة. وقد نشأ عن الأعداد المتزايدة في مناطق الشتات والوضع الاجتماعي لهذه الأعداد نفوذ متزايد على القادة المحليين في الإصلاح الديني والاجتماعي. وبصورة نموذجية جادلوا بأن العقائد والممارسات في «الدولة القديمة» لا تتلاءم بالضرورة في «العالم الجديد».

والمنظمة الزرادشتية العالمية (W Z O) تأسست في لندن في سنة ١٩٨٠، واتحاد الزرادشتيين في أمريكا الشمالية (FEZANA)، الذي تكون في السابق في مؤتمر بمدينة ترونتو سنة ١٩٨٨. ويهتم الأخير من بين أشياء أخرى بتطوير تعليم وممارسة طقوسية تفيد الشباب المولودين في بيئة غريبة.

## ٦ـ الديانة البالية:

ديانة بالي Balinese هي الهندوسية من الناحية الرسمية (جزيرة من جزر إندونيسيا) Indonesia (شكل٢٩) ، غير أن هذه الديانة تضم إليها ممارسات ومعتقدات محلية يطلق عليها الباليون أجاما ترثا Agama Tirtha (دين الماء المقدس) وتبرز أهمية الماء المقدس في طقوسهم. ويبارك الماء كاهن برهمي ويتلو عليه التعاويذ السنسكريتية[١]، وهذا الكاهن ينذر نفسه لشيفا أو في حالات قليلة لبوذا، ولا تستبعد النساء تماماً من هذا الدور. ويعمل كاهن القرية في طقوس المعبد، ويتلقى قرابين الطعام والزهور من أجل الآلهة. وتقام طقوس موسمية لزراعة الأرز في المناطق المروية. ويحاط المعبد البالي بجدران ولا يغطى بسقف، وتدور هناك معارك طقوسية بين قوى الخير وقوى الشر، التي تنتهي عادة بتسوية متوازنة. وإحراق جثث الموتى.

(شكل ٢٩) جزيرة بالي في أندونيسيا بجنوب شرقي آسيا

(١) اللغة السنسكريتية أقدم اللغات الهندية، والأساس لكثير من لغات الهند الحديثة كالأردية والهندية. وتنتمي السنسكريتية إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية التي تضم اللغة الإنجليزية والألمانية واللاتينية والفارسية

### ٧ـ ديانة الباتاك:

الباتاكيون Batak: مجموعة قبائل إندونيسية في شمال سومطرة (شكل٢٩) وحالياً معظمهم من المسيحيين مع أقلية مسلمة. والباتاك معروفون على المستوى الدولي بأنهم أكلة لحوم البشر، لديهم نصوص مكتوبة وديانة تأثرت بعض الشيء بالهند. ويعتقدون بوجود كون ذي ثلاث طبقات: الناس في العالم الأوسط، والتنين المقيد في ناجا بادوها dragon Naga Padoha في العالم السفلي والآلهة gods في العالم العلوي، وخصوصاً الخالق الملا يادي Mula Jadi وأبناؤه الثلاثة، ويتضمن الكون صراعا بين العالم العلوي والعالم السفلي. وتوجد بشجرة العالم العلوي أوراق منقوش عليها مصائر الناس (مثل الفقر والثراء والحزن) وتأخذ كل روح ورقة من أوراق الشجرة كنصيب لها. وللكاهن كتب سحرية ويمارس الشفاء والعرافة.

### ٨ـ الديانة الجاوية:

ديانة جاوة JAVA (وهي إحدى جزر إندونيسيا) (شكل٢٩) الإسلام السني على المذهب الشافعي، بينما يمكن تبين بقايا من الهندوسية والبوذية المبكرة مع سمات من أديان طبيعية تتعلق بالزراعة والأرواح المحلية. والمذكرات الراسخة عن الحقبة الهندية للتاريخ الديني لجاوة هي الآثار الباقية الشاهدة لوسط جاوة (القرن الثامن / التاسع) ومنها المعابد الثلاثة في برامبانان (المهداة إلى الثلاثي الهندوسي برهما – فشنو – شيفا) التي صُور عليها عدد لا يحصى من المناظر من حياة بوذا. وقبل أن يسبب الإسلام سقوط إمبراطورية جاوة ماجباهيت Ma-japahit في القرن السادس عشر، كان شيفا وبوذا جنباً يعبدان إلى جنب أو حتى معاً.

## ثالثا ـ الحركات والجماعات الدينية:

### ١ـ جماعة مندييون:

جماعة مندايان Mandaeans: جماعة دينية وصل عددها عام ٢٠١٠ حوالي ١٥٠٠٠ نسمة، يعيشون جنوبي العراق وإقليم خوزستان في إيران، ويعيش عدد كبير منهم أيضاً في بغداد، حيث يعمل البعض منهم بصناعة المشغولات الفضة التقليدية. وهم يعتبرون آخر من يمثل الغنوسطية (مذهب العرفان) التي ازدهرت في أرجاء بلدان الشرق الأوسط خلال القرن الأول الميلادي وتطلق المجتمعات الجديدة على نفسها مصطلح المندية mandayye، أي «غنوسطيين» أو النصورية nasorayye «أي الحريصين أو الملتزمين»، بينما يطلق عليهم صوبي subbi، أي «المعمدانيين» بالعربية. وتكتب كتاباتهم باللغة المندية التي تنتمي إلى المجموعة الآرامية الشرقية، وبخط متميز يرتبط بالطريقة النبطية في الكتابة.

والجنزا Ginza أي «الكنز» الذي يعتبرونه كتابهم المقدس، أعيد تنقيحه في القرن السابع عن مجموعة كتابات في موضوعات متفرقة لمصادر مبكرة، حتى يعاملهم المسلمون معاملة «أهل الكتاب». وينقسم الجنزا إلى جزئين رئيسيين: يتكون الجنزا الأيمن من أطروحات لاهوتية وكونية وأخلاقية، تنتهي بتاريخ (تنبؤي) للعالم؛ والجنزا الأيسر الأصغر، يسمى أيضاً «كتاب الأرواح»، ويحتوي على ترنيمات وأغاني عن مصير الروح. ويضم «كتاب يوحنا» الأساطير والخرافات عن تعاليم يوحنا المعمداني. ويحتوي الكواستا أو كتاب الصلوات العقائدي على الطقوس المستخدمة في احتفالات مثل العماد وصعود الروح. وتحتوي آداب أخرى على طقوس الزواج.

ويحتفل الكهنة وكافة الجمهور بارتداء لباس الطقوس الأبيض الذي يسمى رستا، الذي يعتبر رمز لباس ملائكة السماء. ويجري العماد، وهو من أهم

الطقوس المنديوية القديمة كل يوم أحد وفي مناسبات خاصة (الزواج، وبعد ولادة طفل وعند الوفاة) في بركة مندي التي تقع جنوب كوخ مندي، وهو كوخ تمارس فيه طقوس المندية، يبنى بالقرب من الأنهار أو القنوات. ودائماً ما تتم طقوس العماد في ماء جار أو نظيف، لأن هذه الجداول تنساب نحو عالم النور بأنهاره السماوية.

ويظهر دين المندين في مصطلحاته الفنية ولغته المجازية ارتباطات واضحة بين المسيحية المبكرة والطوائف المعمدانية اليهودية في منطقة شرق الأردن، التي يحتمل أن يكون قد نشأ فيها. وغالباً ما كان يسمى المنديون «مسيحيو القديس يوحنا المعمداني» غير أن هذه التسمية الخاطئة قد نشأت من الإرساليات التبشيرية البرتغالية في القرن السابع عشر. وعمد يوحنا المعمداني كل من يسوع ومندا الحياة، لكنه لم يكن شخصية أساسية في عبادة المندين، إلى أن أضفى الإسلام عليه منزلة النبي (زكريا عليه السلام).

### ٢ـ حركة أنانيكيو:

أنانيكيو Ananaikyo حركة دينية يابانية جديدة، نشأت على تعاليم الشنتو وقام بتأسيسها ناكنو يونسيوك Nakano Yonosuke (١٨٨٧-١٩٤٧) في سنة ١٩٤٩، ويقع مقرها الرئيسي في مدينة شيميزو Shimizu جنوب جبل فوجي، ويصل عدد أعضائها حوالي ١٠٠,٠٠٠ عضو. وناكانو الذي كان ذات يوم مقاول بناء ناجح، تأثر بأوموتو Omoto في سنة ١٩٢١، وترك عالم المقاولات وانضم إلى أموتو، وأصبح مبشراً متحمساً، وكرس ثمانية أعوام من حياته لتدريب روحاني يسمى ريجاكو reigaku. ويعتقد أتباع أنانيكيو أن التأثيرات الفلكية يمكن أن تساعد الناس على حل مشاكلهم الدنيوية. وتعتبر المنظمة فريدة في إنشائها للمراصد في مواقع عديدة في اليابان لدراسة الأجرام السماوية وتفسير تأثيراتها.

### ٣ـ منظمتا ماهيكاري:

منظمتا الماهيكاري Mahikari الكبيرتان (النور الحقيقي TRUE LIGHT) هما سيكاي ماهيكاري بونمي كيودان Sekai Mahikari Bunmei وسوكيو ماهيكاري Sukyo Mahikari. ويبلغ أعضاء المنظمة الأولى ٧٥،٠٠٠ عضو، وعدد أعضاء المنظمة الثانية ٨٠٠،٠٠٠ عضو. ويرجع تاريخ كلتا المنظمتين إلى المعلم الياباني أوكادا كوتاما Okada Kotama (١٩٠١-١٩٧٤). وفي سنة ١٩٥٩ حدثت لأوكادا تجربة إلهامية. فقد تم تحذيره بأن الوقت قد حان لتغيير العالم من حضارة مادية إلى حضارة روحانية، ولكن لما كان الناس أنانيين جداً في إقرار الحاجة إلى التغيير، فإن الكامي سوف يطهر العالم بالنار. ومع ذلك فقد قدم الكامي أيضاً طريقة للخلاص: تأثير النور. وكانت رسالة أوكادا السماح لأشعة النور الحقيقي بالنفاذ خلال كف يده؛ وبذلك يطهر أرواح الناس وينظف العالم من الدناسة.

والكامي KAMI، الذي يعبده أتباع ماهيكاري هو سو-نو- أوكامي، ومهمتهم الأساسية أن يكونوا مثالاً من أوكادا بأن يسمحوا للنور المطهر بأن ينساب من كف اليد إلى روح الشخص العليل. وأقنع تأثير النور الناس بوجود الروح وبوجود الكامي وأعطاهم القوة لاحتمال تعميد النار وتمكينهم من أن يصبحوا «البذور البشرية» للحضارة الجديدة الحقيقية المقبلة.

وقد اندمجت سيكاي ماهيكاري بونمي كيودان بصورة شرعية في سنة ١٩٦٣، وأحد الأشخاص الذين ارتبطوا بها في ذلك الوقت هو سيكيجوتشي ساكي Sekiguchi Sakae (١٩٠٩-) الذي علا شأنه وأصبح زعيماً أعلى وعندما توفى أوكادا كوتاما طالب بحقه في أن يكون خليفته. وقد نازعته هذا المطلب ابنة مؤسس المنظمة بالتبني أوكادا كيشو (١٩٢٩-) ونجم عن النزاع قضية بالمحكمة وجاء الحكم في صالح سيجوتشي. وقد قام الذي انشقوا عن المنظمة بتأسيس سيوكو ماهيكاري في سنة ١٩٧.

### ٤ـ حركات طقوس شحنة السفينة:

طقوس شحنة السفينة Cargo Cults: الاسم الذي أطلق على المئات من الحركات الجديدة، وهي توجد بصفة أساسية في ميلانيزيا، ولا تقتصر عليها فقط وتتوقع نظاماً جديداً من المساواة مع البيض، وأن يتحقق إنجاز بشري بصورة روحانية، ويتمثل بوصول شحنة من بضائع غريبة، إما عن طريق سفينة أو طائرة، ربما تكون مصحوبة بعودة الأسلاف. وقد تنشأ أرصفة السفن ومهابط الطائرات وأحواش التخزين، ولاستعجال الحدث تحل الطقوس الجديدة والسلوك محل العادات التقليدية والاقتصاد. وتشكل التبعات الاجتماعية مشكلة للحكومات والكنائس، غير أن معظم الحركات قصيرة الأمد، على الرغم من أن تفكير الشحن (يعتمد على الطقوس والأشياء الخارقة للطبيعة) له جذور عميقة في الثقافات الميلانيزية. فقد شهدت جايا الإيريانية أكثر من ٧٠حركة منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، وكانت أقدم الحركات التي شهدتها بابوا Papua ما يسمى «جنون فيلالا» Vailala madness منذ سنة ١٩١٩، في حين تضم مناطق أخرى عبادات مامبو Mambu cults من سنة ١٩٣٧، وحركة يانجورو بايالیوان Yali-wan's Yangoru movement منذ سنة ١٩٧١ في فانواتو. ولما كانت عبادات الشحن تسعى للقبول في الأمم المتحضرة، فإنها مالت إلى أن تتطور في صورة كنائس مستقلة أو تظهر نشاطات اقتصادية أكثر واقعية، ولا تزال أيديولوجية طقوس الشحن سريعة الانتشار وربما تكون الأساس الذي تقوم عليه حركات مرتبطة بفكرة عيد الحصاد، وهذه الحركات إما أن تظهر بشكل تلقائي أو تحفزها زيارات إحيائيين مغتربين وتظل معظمها داخل الكنائس الأقدم، الكاثوليكية والبروتستنتية.

### ٥ـ طائفة الدروز:

الدروز (Druses Druzes): طائفية مسلمة، توجد حالياً في المناطق الجبلية

# الفصل السادس

## الهندوسية والبوذية والسيخ

# الفصل السادس

# الهندوسية والبوذية والسيخ

لما كانت الهندوسية والبوذية والسيخية هى أكبر الديانات غير السماوية في آسيا فإنا نعرض لها عرضا خاصا في هذا الفصل كما يلي:

## أولا – الهندوسية:

يعد وادي السند موقع حضارة هندية مبكرة يرجع تاريخها على الأقل إلى سنة ٢٥٠٠ق.م.، وتوحي المكتشفات في هذين الموقعين بأن العديد من سمات الهندوسية الحديثة قد نشأت في النهاية من هذه الفترة المبكر. والأمثلة الأكثر وضوحاً هي: شيوع عبادة الإلاهة الأم، إله الاستيلاد، ويبدو متأملاً في جلسة بوذية يشبه بقوة شيفا، وعبادة شجرة التين الهندي، والعبادات الشعبية المتمركزة محلياً بصورة عامة على الطبيعة، والدور الكبير الذي تلعبه الحيوانات خاصة الثور على الرغم من أنه ليس بقرة. وقد فسرت الدلالة الأثرية على وجود الحمامات الكبيرة واحتمال القيام بطقوس مائية، ومع ذلك، فإلى أن يتم تفسير النصوص المتعلقة بهذه الحضارة فلابد أن تظل النظريات حول المعتقدات الدينية مجرد تخمينات إلى حد بعيد.

**والهندوسية** Hinduism: اسم يطلق على تراث ديني شديد التنوع نشأ في الهند (شكل ٣١) على مدى الثلاث آلاف سنة الأخيرة، ويمثل حالياً عقائد وممارسات ما يزيد على ٨٠٠ مليون هندوسي يعيش أغلبهم في الهند ويمثلون ٨٠٪ من مجموع السكان. والتنوع هو المدخل لفهم الحياة الدينية للهندوس لأن الهندوسية ليست وحدة، وليست لها مؤسس ولا عقيدة واحدة ولا كتاب ديني

واحد يقبله الجميع، ولا قانون أخلاقي واحد أو نظام لاهوتي واحد، ولا مفهوم موحد للإله ترتكز عليه. وإنما هي مجموعة تقاليد تضم قدراً هائلاً من الأوضاع الدينية، يشمل العبادات المحلية الصغيرة التي قد يقتصر معرفتها على عدد قليل من القرى، إلى طوائف كبرى مثل الفشنوية، والشيفية التي لها ملايين الأتباع، ويمكن اعتبار كل من الأساطير الكثيرة والمعابد والأيقونات واللاهوتات دينا في حد ذاتها. وهناك افتراضات معينة تؤيد هذا التنوع وتشكل مفاهيم إطارية مماثلة شاملة. أول هذه التركيبات هي ذارما DHARMA، وهي مفهوم مرتبط بالطبقة يعني الواجب، والدين، والسلوك الصحيح لطبقة بعينها. ويشار إلى الهندوسية أحيانا بأنها ذارما هندوسية، أو ذارما الهندوس.

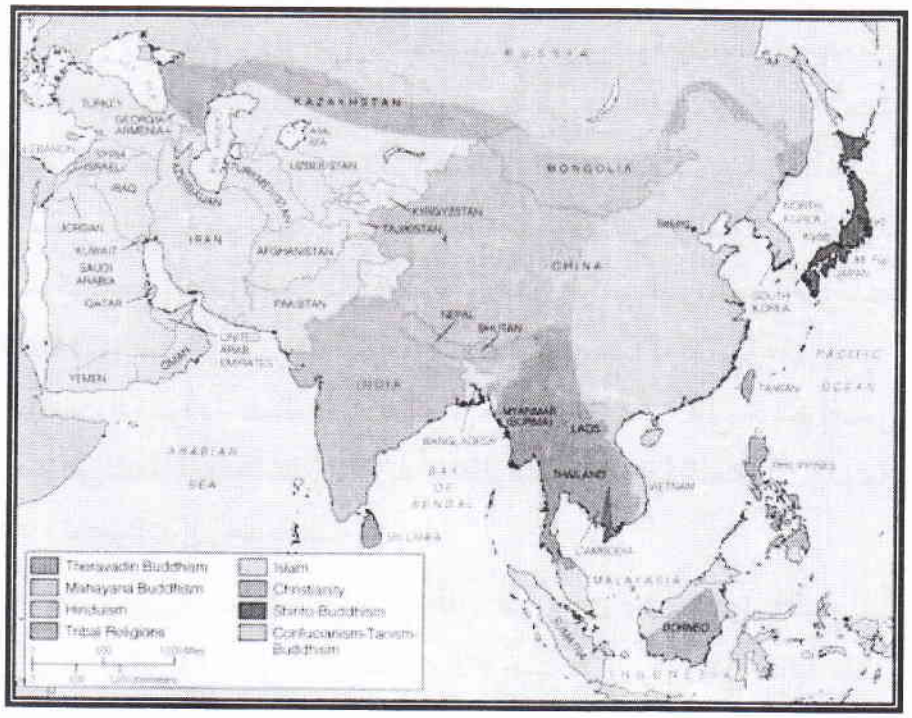


(شكل ٣١) توزيع الديانات في قارة آسيا

**وبراهما**: Brahma إله مهم في الهندوسية، فهو العضو الأول من الثالوث الذي يخلق العالم من جديد في كل دورة من دورات العالم. واسمه يدل على المطلق غير المشروط، ويرتبط الاسم أيضاً بالكهنة البرهميين وبالنصوص التي تنظم طقوسهم.

ويتميز براهما في الفن برءوسه الأربعة المناظرة للاتجاهات الأربعة والفيدات الأربع. وغالباً ما يظهر كرجل بدين ملتح عجوز لكنه موفور النشاط مع أنه في فن جنوب الهند قد يكون شاباً ووسيما مثل الآلهة الآخرين. ويمسك مسبحة الصلاة وقارورة الماء لكاهن برهمي أو نصوص الفيدات من ورق سعف النخيل. ورمز حيوانه هو الأوزة المقدسة. وعلى الرغم أن فكرة براهما كإله خالق ليست مقبولة الآن فإنه أصبح لقباً لكل طائفة الآلهة ذات المكانة العالية.

يلتقي الهندوسُ على تقديسِ البقرةِ، وأنواعٍ من الزواحفِ كالأفاعي، وأنواعٍ من الحيواناتِ كالقردةِ، ولها تماثيلُ في المعابدِ والمنازلِ والميادين ولها حقّ الانتقالِ إلى أيِّ مكان، ولا يجوزُ للهندوسيِّ أنْ يمسَّها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنتْ بطقوسٍ دينيّة.

ويعتبر الهندوس ذبح البقرة Cow جريمة خطيرة، وتشير أرثا- شاسترا إلى أن ذبح البقر جرم يعاقب مرتكبه بالموت، غير أن هذا ربما يشير فقط إلى بقرة ملكية. وعلى الرغم من ذلك، فإن توقير البقرة (التي تعتبر منتجاتها الخمسة: اللبن وخثارة اللبن والزبد والبول والروث من المطهرات) قد نما بشكل منتظم لدرجة أن غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨) اعتبر البقرة جزءاً من جوهر الهندوسية.

### ١- انتشار الديانة

بدأ تقليد الهندوسية بوصول الآريين -الهنود إلى الهند منذ حوالي ٣٥٠٠سنة، وتأتي الهندوسية الكلاسيكية في الفترة من سنة ٥٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠ ميلادية، حيث تعتبر الملحمتين الهنديتين العظيمتين، الرامايانا -RAMA

YANA والماهابارتا MAHABHARATA من المصادر الموسوعية الثرية في هذه الفترة. وتتسم الفترة بتغير في الاهتمام الديني الأساسي من موكشا، الهروب من العالم، إلى ذارما الحياة الصحيحة في هذا العالم، وشهدت ظهور كتب الشريعة الدينية، التي وضعت القواعد التي تؤسس طبقات المجتمع: البراهمة، الكهنة، والمعلمون؛ الكاشتاريات، أي الحكام والمحاربون؛ فيشايا، أي التجار والمزارعون؛ والشودرات، أي الخدم. وجاءت في المقدمة عبادات موحدة جديدة مع ظهور الإله الموفق بين الديانات، فشنو، واستحوذ على العبادات الموجودة باعتبارها أفاتاراته، وشيفا يعتبر أيضاً موفق بين الديانات، بينما بدأ أخيراً في فترة عبادات الإلاهة يزدهر. وكان لظهور هذه العبادات الموحدة أن أصبح هناك تطوراً ثرياً لمنهجية وإنشاء المعابد مع صنع الأيقونات.

وتمتد الهندوسية الوسطى أو الوسيطة من سنة ٥٠٠ ميلادية إلى حوالي سنة ١٨٥٠. وتتسم بالانتشار في كل مجال تقريباً. وعلى المستوى الاجتماعي كان هناك انتشار كبير للطبقات الاجتماعية. وظهرت طوائف جديدة عديدة وشعراء تكريسيين شديدي البراعة باستخدام لغات عامية حديثة مثل اللغة الهندية والبنجالية والمارثية التي جعلت الملايين لأول مرة على اتصال مباشر بالتقاليد الكتابية الدينية.

وظهر منذ القرن الرابع عشر تقليد السانتاس SANTAS الذي يعتبر أنصاره في الأساس من الطبقات الاجتماعية الوضيعة، ورفض نظام الطبقات وكل صور الدين الخارجي ووعظ بشكل من الديانة الباطنية التي تقوم على الحاجة إلى إدراك ثابت وحب الله الذي كان بدون صفات. ومن منتصف القرن التاسع عشر تعرضت الهندوسية لاختبار ذاتي عظيم عندما واجهت الثقافة الغربية والمسيحية، وكانت النتيجة إحياء واستجابة أصبحت بعدها الهندوسية أكثر إدراكاً بذاتها وأكثر ثقة عندما طالبت بمكانها بين الديانات العالمية الأخرى الكبرى.

وأطلق المسلمون الفاتحون اسم هندوس Hindusعلى سكان الأراضي الواقعة وراء نهر السند، وهم المسلمون الذين دخلوا الهند من الشمال الغربي في القرن الثامن الميلادي. وعلى ذلك يصف المصطلح في الأساس سكان الهند. وبعض هؤلاء السكان (أقل من ٢٠٪ في سنة ١٩٧١) اتبعوا تقاليد دينية (معظمها غريب على الهند) التي تجعل مشايعها يميزون أنفسهم باستخدام مصطلحات مثل مسلم، مسيحي، سيخي، إلخ. وهؤلاء الذين لا يسمون أنفسهم بطريقة محددة يشكلون السكان الهندوس في كل من الهند والمناطق الموجودة في أماكن أخرى التي هاجر إليها الهنود. واتبع الهندوس عددا من الديانات المختلفة: دورجا DURGA، كالي KALI، كرشنا KRISHNA، راما RAMA، شيفا SHIVA، فشنو VISHNU، والعديد من الديانات الأخرى. والسمة المميزة للديانات الهندوسية هي تعدد الآلهة من الإناث (ديفي). وتصل نسبة الهندوس في الهند حوالي ٨٢,٦٤٪ من مجموع السكان عام ٢٠١٠. انظر موقع معبدي شيفا وكافا (شكل٣٢).

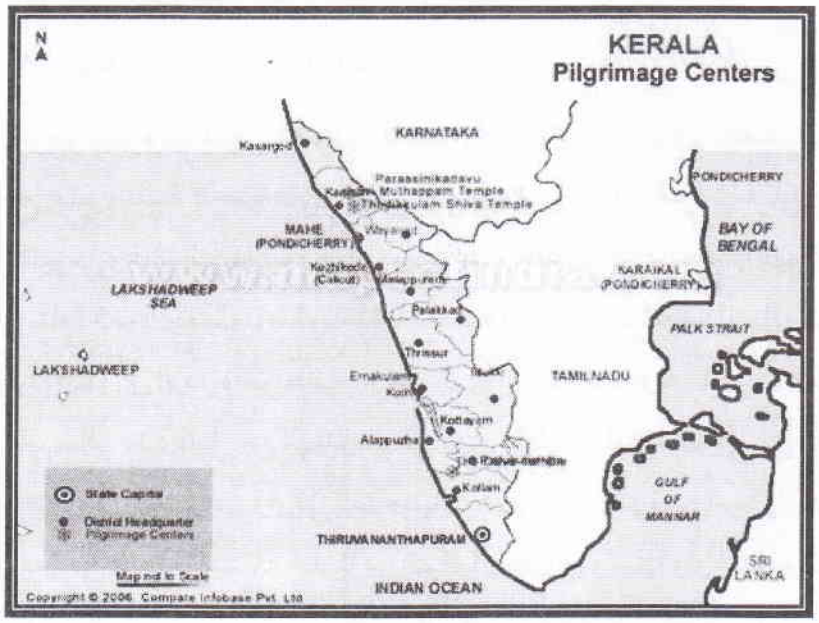


(شكل ٣٢) موقع معبدي شيفا وكافا الهندوسيين في الهند

وكان الدين الهندوسي بأشكاله المختلفة عنصرا مهماً في ثقافات جنوب شرق آسيا حتى القرن الثالث عشر على الأقل ولا يزال يحتفظ بوجود معترف به في مناطق معينة. ويمكن إرجاع أثر عملية التشبع بالهندوسية على القرن الأول الميلادي على الأقل مع استحداث أسلوب النسب الهندوسي الذي يتطلب كاهنا برهميا، وعلاوة على ذلك فإن الانتشار شرقا من الهند لعبادات فشنو وشيفا وأساليب وأشكال الفنون المصاحبة كان تواصلا لعملية الانتشار الجغرافي التي كانت مستمرة داخل الهند منذ بداية الألف سنة الأولى ق.م. على الأقل. وبهذه الطريقة فما يطلق عليه حاليا بورما وتايلاند ولاوس وكمبوديا وسومطرة وجاوة كانت جميعها مناطق انتشرت فيها الديانة الهندوسية بشكل بارز. وقد كانت كمبوديا التي كان يطلق عليها فيما مضى مملكة الخمير مركزاً مهما للثقافة الهندوسية حتى القرن الثالث عشر الميلادي عندما أصبحت البوذية الديانة السائدة. ولا تزال تحتفظ تايلاند بمجتمع صغير من البراهمة في العاصمة بانجكوك من أجل الواجبات الطقوسية والعبادية الأساسية.

### ٢- الهندوسية في الدول الغربية:

هاجر الهنود الهندوس وهنود الديانات الأخرى إلى الغرب في منتصف القرن التاسع عشر، تلبية لاحتياجات العمل الاستعماري. وقد ذهبوا في البداية إلى موريشيوس وغيانا البريطانية (جيانا) وترينداد وجنوب أفريقيا وغيانا الهولندية (سورينام) كعمال يعملون بعقود مؤقتة محددة المدة ثم ذهبوا بعد ذلك إلى شرق أفريقيا للعمل في الإدارة البريطانية، وكعمال في الإنشاءات. وبعد الحرب العالمية الثانية، سافر عدد قليل من الهندوس من ذوي المهارات المتوسطة إلى بريطانيا، وتبع هؤلاء في الستينيات وأوائل السبعينيات هجرات مباشرة من آسيا ولاجئين آسيويين من الدول المستقلة حديثا من تنزانيا ومالاوي وكينيا وأوغندا. وانتقل الهندوس السوريناميين في نفس الفترة إلى هولندا، وهاجر المهنيون الهنود إلى

الولايات المتحدة وكندا. وفي حقبة الثمانينيات استقرت جماعات أيضاً في أستراليا ونيوزيلندا، وهناك حوالي ٤ ملايين شخص من أصل هندي يعيشون حاليا في هذه البلدان بما فيهم الهندوس والسيخ واليانيون، وعدد قليل من الديانات الأخرى. وتختلف أصولهم العرقية واللغوية تبعاً لموطن ديانتهم، على الرغم من أن عددا كبيرا منهم يتحدث الإنجليزية. (شكل٣٣)

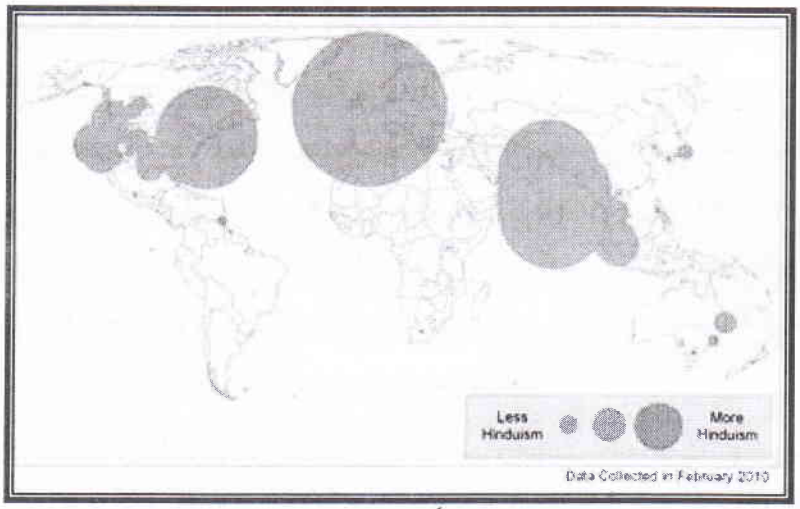


**(شكل ٣٣) توزيع الهندوس في العالم**

والهندوس الذين استقروا خارج الهند قاموا بعبور «المياه السوداء» وخالفوا التعاليم الهندوسية في الطهارة الطقوسية، وتركوا الأرض المقدسة في بهارات Bharat بالهند، واستجابوا لهذا الابتعاد عن الوطن عن طريق إنشاء ممارسات ومؤسسات دينية مماثلة. وفي شرق أفريقيا وبريطانيا، حيث تمت سلسلة هجرات للعائلات ذات الصلة، فقد شمل هذا مسائل الطبقة المنغلقة. وكان الزواج اللحمي وإنشاء جمعيات الطبقة الاجتماعية المنغلقة من الملامح الأساسية. وفي كل الدول، ظل دور البراهما مهما بالنسبة لطوقس يوجا المعبد والعبادة ودورة الحياة. بيد أنه في سورينام والكاريبي، تمت الممارسات البراهمانية المبكرة للمعتقدات الهندوسية، وكان للبراهمانيين تأثير كبير في أوجه عديدة من الحياة

الدينية. وفي دول أخرى، كان يدير غالبية المنظمات الدينية بما فيها لجان إدارة المعابد أشخاص علمانيون مهرة ومتحمسون. وقد نظموا مشروعات إنشاء المعابد وبرامج العبادة والأعمال المسكونية والاجتماعات الطائفية والجماعات الشبابية والنسائية وأنشطة زيادة الدخل، وزيارات الزعماء الروحانيين وتوظيف البراهمانيين. والبراهمانيون الذين جاءوا من الهند للعمل في خدمة المعابد لفترات محدودة كانوا يعملون أيضا كهنة عاديين. وفي الولايات المتحدة يوجد صلة قوية بمؤسسات الحج في الهند.

وقد اختلف نمط المعابد الهندوسية اختلافا كبيرا. وفي بعض الدول، تحولت بعض المباني القائمة مثل المدارس والكنائس. وفي بلدان أخرى، تكيفت الأنماط المحلية مع المعابد الجديدة، فقد كانت عمارة الكنائس المسيحية لها تأثير كبير في ترينداد. وفي الولايات المتحدة، أنشأت المعابد بالأنماط التقليدية في شمال وجنوب الهند باستخدام مواد وخبرات مستوردة.

والمنظمات المسكونية تلك التي يعتقد أنها وحدت الجماعات الهندوسية إما على مستوى البلاد أو على أساس عالمي، قد ركزت على موضوعات مثل التعليم الهندوسي، وبناء المعابد، وزيادة الدخل والروابط مع الهند، وتمثيل الجماعة ومشاركة الإيمان الباطني. وقد انتشرت الجمعيات الهندوسية في الكاريبي وفي شرقي وجنوبي أفريقيا، وقد سعت نحو توحيد الهندوس المحليين. وفي ترينداد أسست المذاهب ودربت الكهنة ومثلت المصالح الهندوسية في السياسات الوطنية. وقد سعى المجلس القومي للمعابد الهندوسية للعمل كمنظمة محتوية للهندوس في بريطانيا.

وفي مؤتمر دولي في الدنمرك في عام ١٩٨٥، شُدد عل أهمية الهوية والمصالح الداخلية والخارجية للهندوس في مناطق الشتات. وبصفة عامة، فإنه يشجع الأعضاء على أن يكونوا نشطين كرسل لهندوس الهند، وكذلك تمثيل الهندوسية محليا وقوميا.

وحلقة أخرى بين الهند والجماعات الهندوسية في الشتات، هي الرجال المقدسون (وأحيانا نساء) الذين سافروا للتدريس ولفتح المعابد، ولإدخال التلاميذ والاهتمام بأتباعهم. وبعض هذه الشخصيات لم تؤثر على الهندوس الهنود فحسب بل أثرت أيضا على الغربيين برسالتهم عن الميراث الروحاني للهند. وهؤلاء أصبحوا مشهورين ليس فقط في الولايات المتحدة ولكن في جميع أنحاء أوربا وفي أفريقيا.

### ٣- نظام الطوائف الاجتماعية:

هذا النظام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين والمجتمع الهندوسي، فالمنزلة الاجتماعية يرثها المرء عند مولده، سواء كانت منزلة رفيعة أم وضيعة. وقد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمهنة أو حرفة معينة؛ فهناك منزلة جامعي القمامة وهناك منزلة النساجين والخزافين والمشغولات الحديدية والمشغولات الجلدية وهكذا، وكل أصحاب هذه المهن من ذوي المكانة الوضيعة، ويعتبر الهندوس ذوي المنزلة الرفيعة أن بعض هذه المهن ملوثة من الناحية الطقوسية. وتصل قائمة الطبقات إلى العديد من المئات، وتتنوع تنوعاً كبيرا ليس فقط من دين إلى آخر في الهند ولكن أيضاً من قرية إلى أخرى. وغالباً ما ينطبق هذا الوضع على البرهميين (طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس)، ومع بعض الطبقات الاجتماعية الوضيعة.

ونتيجة لذلك فإن نظام الطبقات الاجتماعية يتخذ طبيعة دينية في أن:

(١) منصب الكاهن يعتبر حقاً قاصراً على طبقة البراهميين

(٢) تفوق البراهميين على كل الطبقات الاجتماعية الأخرى يعتبر مبررا من الناحية الدينية في كل نصوص الفيدا المقدسة

(٣) نظرية الكرما، أي قانون السبب والنتيجة الأخلاقي، ينظر إليه على أنه يقدم تفسيراً عن سبب ولادة بعض الناس في منزلة اجتماعية رفيعة وولادة آخرين في منزلة وضيعة

(٤) وأن التمييز بين الطبقات الاجتماعية «الطاهرة» و«النجسة» (أو الطبقات الاجتماعية التي تعتبر نجسة من الناحية الطقوسية والطبقات غير الملوثة يعتبر إلى حد ما مفهوما دينياً.

والطبقات في المجتمع الهندوسيِّ معروفة منذُ أنْ وصلَ الآريّونَ إلى الهندِ، ولا طريقَ لإزالتها لأنَّها تقسيماتٌ أبديةٌ من خلقِ الله (كما يعتقدونَ). وقد وردت الطبقاتُ في قوانينِ (منو)[1] (manw) على النحوِ التالي:

(١) البراهمة (al-brahma): وهم الذينَ خلقهم الإلهُ براهما من فمِهِ، منهم المعلّمُ، والكاهنُ، والقاضي، وإليهم يلجأُ الجميعُ في حالاتِ الزواجِ والوفاةِ ولا يجوزُ تقديمُ القاربينُ إلا في حضرتِهم.

(٢) الكاشتريا (al-kasshtirya): وهم الذينَ خلقَهم الإلهُ من ذراعيهِ، يتعلّمونَ ويقدّمونَ القرابينَ، ويحملونَ السلاحَ للدفاعِ.

(٣) الويش (al-wesh): وهم الذينَ خلقَهم الإلهُ من فخذِهِ، يزرعونَ ويتاجرونَ ويجمعونَ المالَ وينفقونَ على المعاهدِ الدينيةِ.

(٤) الشودرا (al-showdra): وهم الذينَ خلقَهم الإلهُ من رجليهِ، وهم مع الزنوجِ الأصليينَ يشكّلونَ طبقة المنبوذينَ، وعملهم مقصورٌ على خدمةِ الطوائفِ الثلاث السابقة الشريفةِ ويمتهنونَ المهنَ القذرة، ولا يسمحُ لهم التقرّبُ من الأماكنِ المقدّسةِ في الهندوسيّةِ، ثمَّ إنَّ الجميع يلتقونَ على الخضوعِ لهذا النظامِ الطبقيِّ بدافعٍ دينيٍّ.

والبراهمة Brahmas: أكثر الطبقات الاجتماعية الهندوسية الأربع منزلة. والوظائف التقليدية للبراهمة هي نقل التعاليم المقدسة السنسكريتية (فيدا) وأداء

---

(١) قوانين (منو) (manw): وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد الذي تمثَّلَ في (الجينية، والبوذية)، وهذه القوانين، عبارة عن شرح للويدات بين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها.

طقوس القرابين الكهنوتية. ولا يسمح إلا للبرهميين بالقيام بهذه الطقوس، وفقط نيابة عن أعضاء الطبقات الثلاث الأولى. والبراهمة حظوا بمنزلة عظيمة حيث يجب على الطبقات الثلاث الأدنى أن تتبع تعاليم البراهمة. وقد اعتبر قتل برهمي واحد من أكبر الخطايا. وكان الملك في المجتمع الهندوسي القديم حاكما مطلقاً باستثناء أنه لم يكن سيدا على البرهمي ولا يستطيع أن يستولي على ثروته. ويقال في علم الكونيات الهندوسي أن البرهمي عند بدء الخليقة قد خرج من رأس برهما.

وقد أصبحت طبقة البراهمة التي سادت المجتمع الهندوسي طوال عدة قرون في القرن العشرين هدفاً لهجوم حركات معادية للبرهميين ومن طبقات اجتماعية أدنى. وفي الهند الحديثة يتمثل البرهميون في أصحاب الأراضي ورجال السياسة والموظفون والمعلمون.

### ٤- التطورات الحديثة في الهندوسية:

بدءاً من النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت التغيرات الكبيرة التي تحدث في الهند مرتبطة بالتطورات داخل التقليد الديني شديد التنوع للهندوسية الذي استمر حتى يومنا هذا. وكانت العوامل التي حرضت على هذا التغيير معقدة وتفوق الحصر: الحكم البريطاني والتوسع في الاتصالات ووصول الأخبار المطبوعة وتطوير اللغات العامية الحديثة واستخدام اللغة الإنجليزية والتعليم الغربي وتحدي المسيحية وإرسالياتها التبشيرية ونمو الوعي السياسي والاجتماعي والقومية وضغط الأحداث الداخلية والدولية التي نشأت عن الاستقلال وتكوين دولة باكستان وتجربة الهندوس المقيمين في الخارج في مناطق شتات كثيرة. كانت هذه بعض العوامل الخارجية المهمة في التغيير؛ غير أن الاستجابات المتنوعة التي حدثت داخل الهندوسية هي التي أحدثت التحول إلى دين عالمي مصّر على دعواه.

وكان هناك اثنان من الاتجاهات المتضافرة للتغير: الأول، الذي تلقى الاهتمام الأكبر في الكتابات الغربية، هو النهضة الهندوسية ونشوء الهندوسية الجديدة التي بدأها رام موهان روي Ram Mohan Roy (١٧٧٢-١٨٣٢) في البنغال؛ والآخر: هو إعادة الحيوية وتأصيل التقليد الموجود في العديد من اتجاهاته التي يمكن اعتبارها الإصلاح الديني. وكان تعليمه غربياً وتأثر كثيراً بالمسيحية: فقد دافع عن منهج الوحدانية ورفض عبادة الأوثان والتناسخ، وأثار حملة ضد ساتي، وتضحية الأرامل بأنفسهن في المحرقة الجنائزية للزوج، وبالنسبة للتعليم الغربي جعل النساء والرجال على قدم المساواة. وقد اتبع نهج طاغور أبو الشعر، وبعد ذلك سار على نهج كيشاب تشاندرا سن Keshab Chandra Sen، وتحت زعامته قاد حملة ضد زواج الأطفال والزواج بين الطبقات الاجتماعية، وطالب بإعادة زواج الأرامل وتعليم النساء. ولم يكن له تأثير كبير في وضعه اللاهوتي مثل دوره في التمحيص الذاتي وفي يقظة الضمير الاجتماعي الهندوسي. وقد كان مهتماً بالرفاهة الاجتماعي بالتساوي

وكانت الشخصيات الرئيسية الأخرى في النهضة الهندوسية هم أوروبندو، الذي بدأ إعداد الهند للزعامة الروحانية في العالم في سنة ١٩١٠، وشيفاناندا، الزاهد الهندوسي، الذي أسس في سنة ١٩٣٦ مجتمع الحياة المقدسة، التي تعتبر حاليا من المنظمات واسعة الانتشار، وأنتجت العديد من الأعمال ذات الصفة التطورية الأخلاقية. بينما كان ماهتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨) الذي اعتبر نفسه تابعاً من أتباع ساناتانا ذراما، هو الذي سعى إلى تحرير روح الهند من الشرور قبل تحرير البلاد من البريطانيين. وفي طريقة غير عادية احتضن شعب الهند وألهمهم بروحانيته العميقة في عملية جعلت الوعي الهندوسي والهوية الذاتية في مستوى جديد من النضج. وكانت هناك العديد من أصوات النهضة الأخرى مثل راذاكريشنان، الرئيس الأول للهند، غير أن غاندي وحده أثر على تحقيق القيم الروحانية الهندوسية على مستوى مدهش. وبجانب النهضة سارت حركة

إصلاحية دينية مضادة جاءت بحياة جديدة وتمحيص ذاتي وإعادة تحديد هوية داخل التقاليد الموجودة. وتشكلت العديد من المنظمات على مستويات مختلفة في الدفاع عن الهندوسية.

وفي النهاية توجد حالياً حركة هندوسية عالمية تكرس نفسها لتعريف وتمثيل الهندوسية ذات الثراء الروحي والديني الكبير في المجتمع الهندوسي المنتشر في مناطق الشتات لتحقيق المطلب الروحاني للعالم.

## ثانيا - البوذية

البوذيةBuddhism هى التعاليم الدينية والفلسفية التي جاء بها بوذا. وقد كان بوذا[1] الذي عاش في شمال الهند في القرن الخامس قبل الحقبة المسيحية جزءاً من حركة هندية قديمة أوسع قام بها الزهاد المشردون الجائلون والرجال المقدسون. ولم تكن هذه الحركة موحدة وإنما كان لها ميول مختلفة كالزهد؛ والتأمل، في حين توجد مفاهيم مشتركة مع الهندوسية والأديان الهندية الأخرى مثل اليانية، مما أدى إلى اعتبار البوذية تشعبا من الهندوسية، وهو تصور خاطئ؛ فما يقصد به بشكل عام بمصطلح «الهندوسية» هو تركيب أتى في وقت لاحق من الأفكار الدينية الهندية، كانت البوذية إحدى تأثيراتها الشكلية، لكن البوذية ليست فرعاً من الهندوسية.

وخلال فترة حياة بوذا ظهر عدد كبير من الأنصار ركزوا على مجتمع هدي يدعمه مجتمع علماني، وخلال فترة حكم الإمبراطور أشوكا (القرن الثالث قبل الحقبة المسيحية) أصبحت البوذية ديانة هندية رئيسية وتوطدت دعائمها تباعاً في أرجاء شبه القارة الهندية وما وراءها.

(١) لومبيني Lumbini:: مسقط رأس بوذا، وتقع حالياً بالقرب من حدود نيبال. ويقال أن أمه أنجبته في تجويف شجرة سال؛ وغالبا ما يصور هذا المنظر في الفن البوذي. والموقع محدد بعمود من الأحجار أقامه الإمبراطور أشوكا الذي سجل عليه زيارته في القرن الثالث ق.م. ويعد حالياً أحد مراكز الحج البوذية الرئيسية، ويجذب إليه الحجاج من كافة بقاع العالم البوذي. وقد مات في بالي (كاسيا الحديثة) في شمالي الهند. وغالبا ما يصور الحدث في الفن البوذي ببوذا وهو راقد على جانبه الأيمن (رقود الأسد) بين شجرتين من أشجار السال.

وكانت التعاليم الأقدم تعالج مشكلة الألام الكونية؛ وتفسر نظاما مميزا من التدريب الأخلاقي والتوسطي والفكري يستهدف إحداث معرفة فائقة تحرر الفرد من الاهتمامات الذاتية. ويشكل هذا التوجيه الرئيسي الأساس في كل ممارسات البوذية؛ ويفهم معظم التنوع الكبير في التعاليم من نفس التعاليم البوذية كما تتلاءم مع هذا الإطار. وبقدرٍ ما لا تتضمن البوذية الاعتقاد في إله فرد كلي القدرة حيث تعتبر المعرفة البوذية بالعالم معرفة ملحدة؛ ومع ذلك فإن الاعتقاد في إله أو ذوات إنسانية أسمى من أنواع مختلفة تعتبر جزءاً مهما من كل تعاليم البوذية

وبعد أن لعبت البوذية دوراً أساسيا في تشكيل الثقافة الهندية حوالي خمسة عشر قرناً فإنها اختفت بالفعل من الهند. وفي القرون الأولى كانت البوذية توطد نفسها خارج حدود الهند في آسيا الوسطى والصين. وبحلول القرن السادس وصلت البوذية إلى اليابان، بينما شاهد القرن السابع بدايات البوذية في التبت. وفي كل هذه المناطق طورت البوذية أشكالاً ثقافية متميزة. ويوجد حالياً ثلاثة تعاليم أساسية قائمة من البوذية. توجد التعاليم «الجنوبية» أو الثيرفادا في سريلانكا والدول العديدة في جنوب شرق آسيا؛ وتوجد التعاليم «الشرقية» في الصين وفيتنام وكوريا واليابان. أما التعاليم «الشمالية» ففي التبت ومنغوليا (شكل٢). وداخل كل من هذا التعاليم الرئيسية توجد مذاهب عديدة لها تعاليم متميزة. وعلى مدى المائة سنة الأخيرة تأسست العديد من الأشكال البوذية المختلفة في الغرب.

### ١ـ الانتشار:

بحلول القرن الثاني عشر استعادت بوذية ثيرفادا THERAVADA BUD-DHISM وضعها السيادي السابق بين السكان الناطقين باللغة السنهالية في جزيرة سيلان. وعلى الرغم من هجرة القرون الوسطى للهندوس الناطقين بلغة التاميل

والهيمنة السياسية المتأخرة للدول الأوربية التبشيرية المختلفة ظلت البوذية ديانة غالبية السنهالا في دولة سري لانكا الحديثة. وكانت البوذية السنهالية التقليدية ترتبط ارتباطا وثيقا بالملكية والقومية السنهالية ووجدت في علاقة معقدة مع عبادات ديفا مختلفة على المستوى المحلي. وقد شهد القرن الأخير تحت تأثير علماني أوربي وثيوصوفي ظهور حداثة بوذية. وكان ينظر إلى عبادات ديفا والممارسات الطقوسية التقليدية على أنها إفساد للبوذية النقية الأصلية. وظهرت ميول إصلاحية قوية وتفسير أكثر عقلانية تأسس نوعاً على أعمال ثقافة القرن الثامن عشر المتأخرة، كانت تؤكد الطبيعة العلمية والمعقولة للبوذية. وقد أدى هذا إلى بعض الإحياء للنشاط التبشيري البوذي وميول الحداثة المؤثرة في الدول البوذية الأخرى. وظلت المواقف التقليدية سائدة في بوذية القرية مع ميول تحديثية انتشرت بين المثقفين الغربيين؛ وكان هناك أوضاع متوسطة عديدة.

وتعتبر البوذية الديانة التي يعتنقها ١٣٠ مليون نسمة، والغالبية العظمى من السكان في منطقة تضم دول بورما وكمبوديا ولاوس وتايلاند وتمتد إلى أجزاء من بنجلاديش وأسام في الغرب ومناطق من فيتنام في الشرق. ودخلت البوذية بشكل تقليدي في المنطقة عن طريق بعثات التبشير التي قام الإمبراطور أشوكا (القرن الثالث ق.م.)، ومع نهاية الجزء الأخير من الألفية الأولى، يحتمل أن تكون قد تفرقت أشكال عديدة من كل من البوذية والهندوسية في جميع أنحاء المنطقة، مع تركيزات محلية تقتصر بشكل أكبر على أسر حاكمة معينة.

وقد كانت البوذية مهمة فعلاً في ولاية بيو في شري كاشترا وأراضي مون في دافارافاتي، ربما في شكل تأثر بالمراكز البوذية في جنوب الهند. وفي بداية القرن الحادي عشر ظهرت تأثيرات جديدة من سيلان (سري لانكا) في أراضي مون في رامانا وسرعان ما أدت إلى تبنيهم النشط للمملكة البورمية المتكونة حديثا التي كانت على علاقة وثيقة مع سيلان. وخلال النصف الأول من الألفية الثانية

أوجد هذا الشكل من البوذية نفسه كدين رئيسي في المنطقة، وترك فقط بقية قليلة من الأشكال الأخرى للبوذية والهندوسية. وقد تبنتها بشكل مماثل التايون القادمون والماهيون السابقون والخمير الهندوس الموجودون في كمبوديا.

وفي تايلاند، مع غياب الحكم الاستعماري، استمرت العلاقات الوثيقة مع الدولة. وتركزت المصالح خاصة على أشكال محددة تماماً من الممارسة الزهدية، مع حركة إصلاحية قوية. وكانت للحداثة البوذية في سريلانكا وحتى اليابان بعض التأثير وظل التأمل الهادئ باقياً.

### ٢ـ البوذية في وسط آسيا:

وصلت إرساليات التنصير إلى الصين خلال القرن الأول للحقبة المسيحية. وظهر ذلك الوقت أن الأديرة قد تأسست في الهند وانتقلت إلى شمالي أفغانستان وسنكيانج (تركستان الصينية) على طول الطرق التجارية التي تنتهي بالقرب من تن-هوانج. وكان يسكن المنطقة خلال الألفية الأولى شعوب من الناطقين باللغات الإيرانية الوسطى. والبوذية بمصاحبتها للتعاليم الدينية الأخرى كانت ترسخ أقدامها في المنطقة حتى بعد وصول الإسلام. وقد حافظت الظروف المناخية المحلية على المواد المكتوبة والصور الزيتية، التي أسهمت إلى حد كبير في معرفتنا بالبوذية القديمة وكذلك الديانة المانوية والمسيحية النسطورية واللغات وثقافة شرق إيران.

وهناك عدة أساطير صينية عن دخول البوذية إلى الصين في العصور القديمة جداً، إذ دخلت البوذية إلى الصين عبر الطرق التجارية من وسط آسيا، وتعتبر الرابطة الوثيقة بين البوذية والطاوية المحدثة سمة مميزه للبوذية الأولى في الصين. فقد أدت إلى تفسير وترجمة المصطلحات البوذية الرئيسية وتفسير وترجمة المصطلحات الطاوية، وإلى تطوير طريقة تبسيط التعاليم البوذية.

كان شيه كاو Shih kao معلما بوذيا مهما في الصين، وصل إلى لو يانج في سنة

١٤٨ وأسس بصورة نشطة ما أصبح يعرف بمذهب ذيانا Dhyana School الذي أكد على قواعد التأمل. وكانت إحدى ترجماته الأولى مجموعة أحكام عن انتباه النفس. وكان الاهتمام الآخر بالبوذية ينعكس من خلال مذهب براجنا PRAJNA School، المبني على تفسير كمال الحكمة، وقد تأثر هذا المذهب بشدة بفكر الطاويه المحدثة.

وأسس هوي يوان Hui Yuan (٣٤٤-٤١٦) أكثر الشخصيات البوذية البارزة في عصره ديراً شهيراً في لو شان Lu Shan، وكانت الفترة ما بين القرنين الخامس والثامن هي زمن تطوير ونشر مذاهب بوذية كبرى وحركات شعبية. وفي عهد أسرة صونج (٩٦٠-١١٢٦) غربت شمس البوذية، وبقي مذهب تشآن وتشينج تآو المذهبين الوحيدين النشطين والشعبيين.

### ٣ـ البوذية في اليابان:

اختارت اليابان البوذية واستخدمتها في تكملة الديانة الشنتوية الأصلية. ويسجل المجيء الرسمي للبوذية في سنة ٥٥٢ ميلادية كهدية للإمبراطور كيمي Emperor Kimmei لبعض الأشياء البوذية من مملكة جنوب غرب كوريا. ولما كانت البوذية مرتبطة بمعرفة القراءة والكتابة وصور التقدم الثقافي الأخرى فقد برهنت على أنها ديانة لا تقاوم. وفي صراع عائلي قوي دمرت سوجا أسرة المونونوب في معركة ٥٨٧، وضمنت مستقبل البوذية. وكان الإمبراطور يومي Emperor Yomei (٥٠٧-٥٨٦) أول حاكم يعتنق البوذية.

وتم دعوة المعماريين والمبلطين وصناع قوالب البرونز والنحاتين لبناء وتزيين المعابد. وعَلَّم الكوريون اليابانيين كيف يقرءون السوترات الصينية the Chinese sutras (الكتب المقدسة)، وجعلوا الصينيين الأساس لكل المصطلحات البوذية.

وتعرف علماء الآثار والمؤرخون على حوالي ٩٠٠ معبد مع نهاية القرن الثامن بما فيها المعابد الإقليمية التي أمر بإقامتها الإمبراطور شومو Emperor SHOMU

في ٦٦ إقليم في عام ٧٤١، وهو مرسوم عال كان من تأثيره أن أصبحت البوذية الدين الرسمي للبلاد. وكان لمعابد العاصمة نارا (٧١٠-٨٤) أن جمعت الثراء والقوة الهائلة بحيث سيطرت على السياسة القومية لدرجة أن الإمبراطور كامو Emperor KAMMU قام بنقل العاصمة إلى موقع آخر ومن ثم غير بدرجة كبيرة مجرى التاريخ البوذي.

وقد عمل التداخل المتزايد للأفكار والممارسات البوذية والشنتوية إلى صبح البوذية بصبغة أهلية والتي بدونها ربما لم تكن البوذية إلا ديانة الطبقة المثقفة العليا في البلاد. وأصبحت البوذية مسئولة عن شؤون الموتى، وانتشرت عبادة أميدا انتشاراً واسعاً حتى كانت لها الغلبة في الفترة من القرن العاشر إلى الثاني عشر. وكانت الفترة الأصعب للبوذية في بداية عصر ميجي Meiji era (١٨٦٨-١٩١٢). عندما اعتبر رجل الدين معوقاً لعملية التحديث وكانت تستغل الشنتو في أغراض وطنية. وقد هدمت المعابد وأجبر العديد من الكهنة على الخروج منها. وتحول بعض الكهنة طواعية لأن يصبحوا موظفين في أضرحة الشنتو حيث تم رسم العديد منهم في كلتا الديانتين.

وعلى الرغم من الانقسام الخطير حالياً إلى طوائف واتحادات أصغر، تحظى البوذية ومعابدها حالياً بتأثير على الاقتصاد الياباني، والبعض يجني الفوائد المالية من الجنائز البوذية الشرعية. وهؤلاء ذوي الكنوز التاريخية عندما كانت «الهبات» مطلوبة عند الدخول أصبح لهم ثروات جديد ونفوذ سياسي مساير لها.

### ٤- البوذية في الدول الغربية:

تطور بعض الاهتمام بالبوذية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وقد نشأ إلى حد ما نتيجة للجهود الاستعمارية والتبشيرية، ونتيجة ميول أكاديمية وفكرية.

وقد جاء القرن العشرين بالحركة البوذية إلى أوروبا على نطاق ضيق،

وخصوصاً في المملكة المتحدة. وقد كان هذا مصاحباً لتحديث بوذية الثيرفادا التي تطورت في سيلان والتي أكدت على الممارسة الفكرية والعملية للبوذية. وبعد الهبوط الذي حدث في الفترة بين الحروب، فقد استعاد هذا الميل بعض الثبات واستمر يمارس نفوذه. ونشأ عن ذلك رواج محدود في الولايات المتحدة، ارتبط بحركة بيتنك beatnik movement. وظل جزء صغير من الممارسين الملتزمين لفترة طويلة. وبداية من ستينيات القرن العشرين، نجح اللاجئون التبتيون في تأسيس مراكز بوذية في عدد من الدول الأوروبية؛ وقد استفادت هذه المراكز بدرجة كبيرة من الاهتمام بالتأمل والروحانية خلال حقبة سبعينيات القرن العشرين. وتأسس عدد من الأديرة في أوروبا والدول الناطقة بالإنجليزية. وشهد عقدا السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين زيادة ملحوظة في عدد الجماعات البوذية الصغيرة في العالم الغربي.

## ثالثا ـ السيخ

السيخ Sikh (التلميذ) هو الشخص التابع للمعلم الروحي ناناك GURU NANAK وخلفائه (المعلمون الروحانيون) والسيخي ذلك الشخص الذي يؤمن بأكال بوراك AKAL PURAKH، والمعلمين الروحانيين العشرة وتعاليمهم، والشعائر التي بدأها المعلم الروحي العاشر، وينبغي ألا يؤمن بأي دين آخر.

### ١ـ تاريخ السيخ:

يبدأ تاريخ السيخ بجورو (المعلم GURU) ناناك (ولد ١٤٦٩). وفي البنجاب ظلت الجماعة المتنامية من أتباعه غير واضحة، غير أن العداوة المنغولية (المغول) قد ظهرت مبكراً في القرن السابع عشر، وفي النهاية أدت إلى صراع علني في بداية القرن الثامن عشر. وفي أعقاب موت آخر جورو سنة ١٨٠٧ تحالف العديد من السيخ مع التمرد الذي فجره باندا أحد تلاميذه. وأعدم باندا في سنة ١٧١٦، واستمرت القوات المنغولية تغير على السيخ سنوات طويلة، غير أنه

في منتصف القرن تغيرت الأقدار بتفكك سلطان المغول. وظهرت جماعات من ميليشات السيخ تسمى مسلس misls، وعجلت بانهيار المغول وأعاقت الغزوات الأفغانية (١٧٤٧-١٧٦٩). وقاد النجاح إلى كفاح مضن إلى أن خرجت في النهاية شوكرشاكيا مسل منتصرة مع نهاية القرن. وأصبح قائدها رانجيت سنج Ran-jit singh مهراجا البنجاب وحكم بلا منازع حتى وفاته في سنة ١٨٣٩. ومع ذلك فقد صاحب النجاح السياسي ضعف التقاليد الدينية السابقة، وبعد ضم البريطانيين للبنجاب في سنة ١٨٤٩، توقع العديد الزوال النهائي للبانث. وجاء الإحياء بعد ذلك، مع ظهور حركة سابها سنج ذات النفوذ، وبشرت بعودة القيم خالصا القديمة ودعمت الإعجاب بها عن طريق سلسلة من الأنشطة الاجتماعية والفكرية.

وخلال القرن العشرين تحول الاهتمام بصورة أكبر إلى النفوذ السياسي. وفي بداية القرن كان هذا النفوذ السياسي موجها نحو ضمان سيطرة البانث على الجوردوارات. ومن هذه الحملة في عشرينيات القرن العشرين، برز أكالي دال AKALI DAL كحزب سياسي سيخي قوي، وهي القوة التي ظل محتفظاً بها حتى السنوات الأخيرة. وعند الاستقلال في سنة ١٩٤٧، وجد السيخ أن خط الحدود بين الهند والباكستان يمر بالبنجاب، وهاجر السيخ الموجودون في باكستان إلى الهند حيث بدأ البانث سلسلة من القلاقل أدت إلى المطالبة بـ(بنجاب مستقلة)، وهي المسألة التي ظلت مضطربة.

وتعتبر الشجاعة العنيدة إحدى المبدأين الرئيسين اللذين يستشهد بهما في الدفاع عن إيمان السيخ؛ والمبدأ الآخر هو الاستشهاد. ويرفع السيخ الأتقياء الشهداء إلى مرتبة الإعجاب الشديد، وينظرون إليهم باعتبارهم مثالا للطاعة الكامنة للجورو وكأمثلة لامعة لكل من يأتي من بعدهم. وهناك شهيدان من الجورو، أرجان وتيج باهادور باعتبارهما الابنين الأصغرين لجوبند سنج اللذين

وئدا وهما أحياء. وينظر إلى موت دب سنج Dip Singh أثناء القرن الثامن عشر على أنه قمة الاستشهاد. وفي السنوات الأخيرة اعتبر مقتل جرانيل سنج بندرانوال أثناء هجوم الجيش الهندي سنة ١٩٨٤ على المعبد الذهبي بأنه استشهاد عظيم أيضاً.

وفي سنة ١٩٧٣، أعطى الحزب السياسي السيخي رأياً مطالباً بحكم ذاتي أكبر للبنجاب. وتدهورت العلاقات مع الحكومة الهندية، وفي يونيو ١٩٨٤ هاجم الجيش الهندي المعبد الذهبي (هارماندير صاحب -HARMANDIR SA HIB)، حيث تحصنت مجموعة من السيخ المتطرفين، وقتلوا قائدهم جرانايل سنج بنرانوال. وفي محاولة للانتقام، قاموا باغتيال رئيسة وزراء الهند السيدة أنديرا غاندي. وعلى الرغم من أن السيخ حاليا باءوا بخيبة أمل من سياسة الحكومة. ومع ذلك، فإن منحوا حكماً ذاتياً أكبر فيبدو أنهم لن يكونوا قانعين بأن تظل ولاية البنجاب داخل الهند.

### ٢- حركات السيخ الإصلاحية:

الهزيمة التي لحقت بسيخ البانث سنة ١٨٤٩ جعلتهم يواجهون مستقبلا مظلما. وعلى الرغم من أن البريطانيين المنتصرين جندوا فيما بعد العديد من جنود السيخ، فإن مسألة هوية السيخ وحتى بقائهم أصبحت حرجة. وكان الرد الأخير حركة الساباسنج (اتحاد السيخ). وفي سنة ١٨٧٣، تشكل سنج سابا في أرمستار، وتبعته اتحادات أخرى في مناطق مأهولة بالسيخ، وتدعم جميعها بشكل عام سياسة إصلاحية مع تأكيد قوي على استعادة القيم المميزة للسيخ. وطبقت هذه السياسة من خلال الأدب والتعليم والجمعيات الدينية والتبشير والمناظرة الشعبية. ومع ذلك سرعان ما حدث انقسام بين أمرتسار ولاهور، إذ كان كل منهما تدعمه جماعته الخاصة من السابا الأصغر. وعلى الرغم من أن الوحدة المؤقتة تحققت سنة ١٩٠٢.

### ٣- نظام الطبقات الاجتماعية عند السيخ:

الطبقة الاجتماعية من حيث المنزلة أو الامتياز مرفوض بشكل واضح عند السيخ. فقد أنكره ناناك NANAK، وأكد المعلمون اللاحقون (الجورو) على رسالته، وأكده النظام الطقوسي، فعند المعمودية، يجب أن يشرب الجميع من نفس الماء؛ وفي كل الجوردوارات يجلس الجميع معاً، ويتلقون نفس التعاليم ويأكلون من نفس الطعام. ومع ذلك احتفظت البانث PANTH بنظام الطبقة الاجتماعية المغلقة كنظام اجتماعي. وكان المعلمون (الجورو) يتزوجون وفقاً لنظام الطبقة الاجتماعية ويوافقون على زواج أولادهم بالمثل. وظل هذا التقليد قائماً بالفعل، وكانت النتيجة أن أصبح كل هندي من السيخ منتمياً إلى طبقة اجتماعية معينة. والغالبية المطلقة من الجاتيين JATS هم أعضاء في الطبقة المغلقة السائدة في ريف البنجاب.

### ٤- السيخ في مناطق الشتات:

كان السيخ المهاجرون حتى أواخر القرن التاسع عشر أساسا من التجار الذين استقروا في أماكن متفرقة من الهند أو البلاد المجاورة جهة الغرب. وقد اتسع هذا النطاق بصورة جوهرية عن طريق الجيش البريطاني. وبدأ الجنود السيخ المتمركزون في سنغافورة وهونج كونج في النزوح من البنجاب إلى هذه البلدان، وسرعان ما وصل عدد قليل منهم إلى أستراليا ونيوزلندا وفيجي.

ووجد الآخرين في تلك الأثناء فرص عمل على طول ساحل أمريكا الشمالية، ووجد أنصاف المهرة من الحرفيين عملاً في مد خطوط السكك الحديدية في شرق أفريقيا. وفي بداية القرن العشرين، أغلقت أمامهم فرص العمل هذه. وعندما بدأوا العودة إلى البنجاب مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية خرجوا من الهند والباكستان وهاجروا إلى بريطانيا، غير أن أعدادا كبيرة منهم سافرت إلى أمريكا الشمالية. وبحلول عام ١٩٧٨، كان هناك ما يقرب من

٢٥٠٠٠ سيخي في بريطانيا. وفي بداية التسعينيات من القرن العشرين، وصل عددهم نحو نصف المليون. وهناك أيضا تجمعات كبيرة تزيد عن ٢٠٠،٠٠٠ في الولايات المتحدة وكندا.

وتأسست في الولايات المتحدة سنة ١٩٧١ حركة ذارما السيخ. وتعرف الحركة من خلال فرعها التعليمي المسمى (المنظمة المقدسة السعيدة القوية Healthy Happy Holy Organization)، ويصل عدد أعضائها حالياً نحو ١٥،٠٠٠ عضو غربي متفرقين في ١٧ دولة. وداخل مجتمع السيخ الكبير يتميز أعضاؤها بثيابهم البيضاء (التي تشتمل على العمامة للرجال والقبعة للنساء) ونظامهم اليوجي الدقيق والتأمل. وتتميز الحركة أيضاً برجال دين مُرسّمين، ويمارس أعضاؤها التأمل.

# الفصل السابع

# الأديان في الأمريكتين

# الفصل السابع

## الأديان في الأمريكتين

كان الدين ممثلاً على تربة أمريكا الشمالية منذ آلاف السنين كما يستدل على ذلك من المكتشفات الأثرية، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود الأمريكيين الأصليين المنحدرين من قوم عبروا الممر البري المعروف حالياً بسيبيريا. وكان الأوربيون الذين قدموا إلى أمريكا في القرن السادس عشر ينظرون إلى المعرفة الروحانية وممارسات الأمريكيين الأصليين على أنها أفكار هدامة، وأطلقوا على السكان الأصليين اسم الهنود واعتبروهم من الهمج البدائيين. ولم يكن قبل زمن متأخر في القرن العشرين أن امتدح عدد غير قليل من الرومانسيين معتقدات وسلوك الأمريكيين الأصليين بصورة إيجابية. وفي العقود الأخيرة، بفضل حركات التعبير الذاتي الأمريكية من جانب، والبحث عن بدائل للتأثير الأوربي في مسائل الروح من جانب آخر وجدت الطقوس الهندية وتفسيرها اهتماماً إيجابياً بشكل متزايد.

بدءاً من سنة ١٤٩٢، بعد اكتشافات كولومبوس لما عرف بالعالم الجديد وحتى سنة ١٦٠٧ كانت الأشكال السائدة من المسيحية الأوربية هي الكاثوليكية الرومانية في العالم الجديد وفي النهاية على تراب ما أصبح يعرف بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد جاءت الكاثوليكية مع المستكشفين والغزاة وإرساليات التبشير من شبه الجزيرة الأيبيرية، وخصوصاً من أسبانيا. أسس الأسبان الإرساليات فيما يعرف حالياً بجنوب غرب الولايات المتحدة وفي فلوريدا. وكان لقدوم البريطانيين للاستيطان الدائم في فيرجينيا في سنة ١٦٠٧ وفي نيو إنجلند بعد سنة

١٦٢٠ و١٦٣٠ وبدايات المستعمرات أن أقام بأكثر من أي شيء آخر بالإعداد لكيان وتأثير أقوى للتظاهر بالتدين الأمريكي. ففي المستعمرات الشمالية تأسست الأبرشيات بالقانون، وأصبحت الأسقفية البروتستانتية مسوغة شرعاً بشكل رسمي في المستعمرات الجنوبية. حيث أصبح الشعب القادم من بريطانيا العظمى يضم العديد من الطوائف المشيخية الإسكتلندية- الأيرلندية ولهم السيادة أيضاً في المستعمرات الوسطى لكنها لم تؤسس هناك بشكل رسمي – وكان عليهم أيضاً أن يشاركوا بنسلفانيا والتي كانت في الأصل مستعمرة تسكنها طائفة الكويكرز والبروتستانت من القارة الأوربية، والعديد منهم لوثريون يتحدثون الألمانية وإصلاحيون. ولم تبدأ ميريلاند إلا ولفترة وجيزة فقط، وقد استقرت تحت الرعاية الكاثوليكية. وقدِم الكاثوليك الفرنسيون سنة ١٦٠٨ وأسسوا فرنسا الجديدة التي تعرف حاليا بكندا. وقد قاموا باستكشاف المناطق الداخلية لما يعرف بالولايات المتحدة حالياً لكن لم يكن لهم وجود قوي بالمقارنة بقطاعات السكان الكاثوليك التي وصلت في القرن التاسع عشر من أماكن متفرقة من أوربا.

وبدأ وصول الأفارقة في سنة ١٦١٩، وكان معظمهم من العبيد. ولما كان الجدل لا يزال قائماً حول الدرجة التي احتفظ بها الأفارقة بمعرفتهم وممارساتهم الروحانية، فقد طرأ على هم تغيراً كبيراً. وعلى مر القرون تحول معظمهم إلى المسيحية، وقد سيطر المعمدانيون BAPTISTS والميثولوديون METHOD-ISTS فترة طويلة على كنائس «الرجال الأحرار» قبل الحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥) وعلى الطوائف الأفريقية الأمريكية المنعزلة بدرجة كبيرة منذ ذلك الحين. وعلى مدى السنوات، وجدت أعداد من الحركات الدينية غير المسيحية بجانب هذه الجماعات البروتستانتية بالدرجة الأولى والتي قدمت من منطقة الكاريبي، ومنذ منتصف القرن العشرين انجذبت أعداد كبيرة من السود إلى

جماعة أمة الإسلام NATION OF ISLAM (المسلمون السود) والجماعات الإسلامية الأخرى. وعندما أجري التصويت ثبت أن حوالي ٨٪ من الأمريكيين يعتنقون «الديانة الأفريقية الأمريكية».

وقدم اليهود في سنة ١٦٥٤، أولاً إلى إمستردام الجديدة (نيويورك) وقد كانوا قلة وبعد ذلك أصبح لهم وجود واضح. وبعد المذابح التي حدثت في أوربا الشرقية بدأت تصل هجرات كبيرة من اليهود بعد سنة ١٨٨١. ويشكل اليهود نسبة ٢-٣٪ من مجموع الشعب الأمريكي غير أن نفوذهم يفوق أعدادهم.

وبعد الثورة الأمريكية وتطوير الدستور الأمريكي، أصبح من الواضح أن كان على الأمة الأمريكية أن تستبدل الثلاث عشرة مستعمرة. فلن يجرؤ الكونجرس أن يحاول اختيار الكنيسة الرسمية أو الديانة التي ستكون لها الصدارة. ومنع أول تعديل للدستور وجود كنيسة رسمية كما أنه حمى الممارسة الحرة للدين. ومنذ فترة الدستور وأول تعديل (١٧٨٧-١٧٨٩) أصبحت الولايات المتحدة مجالاً مفتوحاً للمنافسة أمام جميع الجماعات الدينية. وقد جاء البعض كجماعات مهاجرة بكنائسهم الخاصة بهم (شكل٣٤)؛ وطور آخرون أنماطا جديدة من أديان أقدم؛ ولا يزالون يشاركون في الحركات الدينية الجديدة.

وقد وجد علماء الاجتماع أن ٢٥٪ من الشعب الأمريكي يدينون بالكاثوليكية الرومانية (شكل٣٥)، وأقل من ١٠٪ ليست لهم ديانة أو أفضلية دينية، وحوالي ٨٪ يسجلون ضمن قائمة «آخرين» حيث كان الدين المفضل لديهم (الأرثوذكسية الشرقية، المارونية، الديانات الآسيوية وما شابه). وهذا يجعل حوالي نصف الشعب الأمريكي يدينون بالبروتستانتية.

ويبرز مفهوم (دين الولاء للولايات المتحدة)؛ ويمكن أن يعني دين الولاء للولايات المتحدة مجرد عاطفة وطنية، لكنه يكتسب في مناسبات عديدة صبغة دينية. وغالباً ما تأتي القومية الحديثة برموز (أعلام، نصب تذكارية، طقوس،

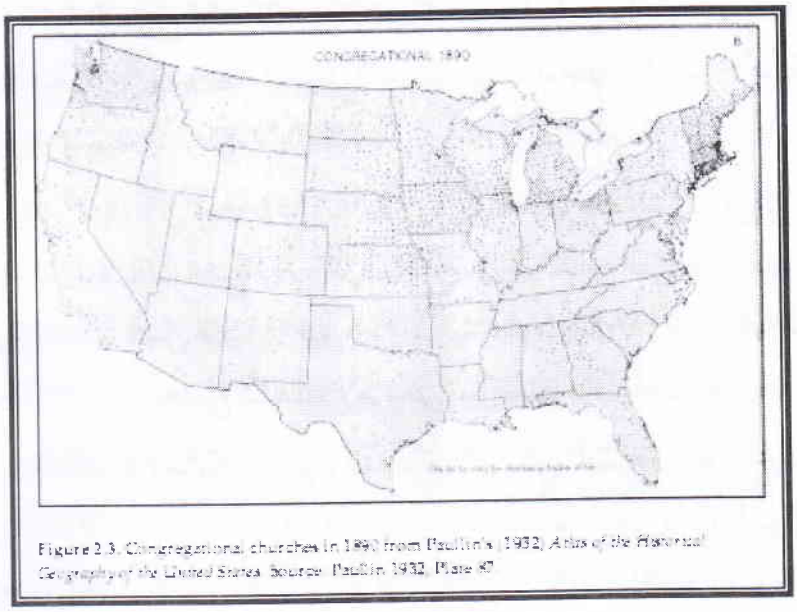


Figure 2.3. Congregational churches in 1890 from Paullin's 1932 *Atlas of the Historical Geography of the United States*. Source: Paullin 1932, Plate 87.

(شكل ٣٤) توزيع تجمع الكنائس في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠

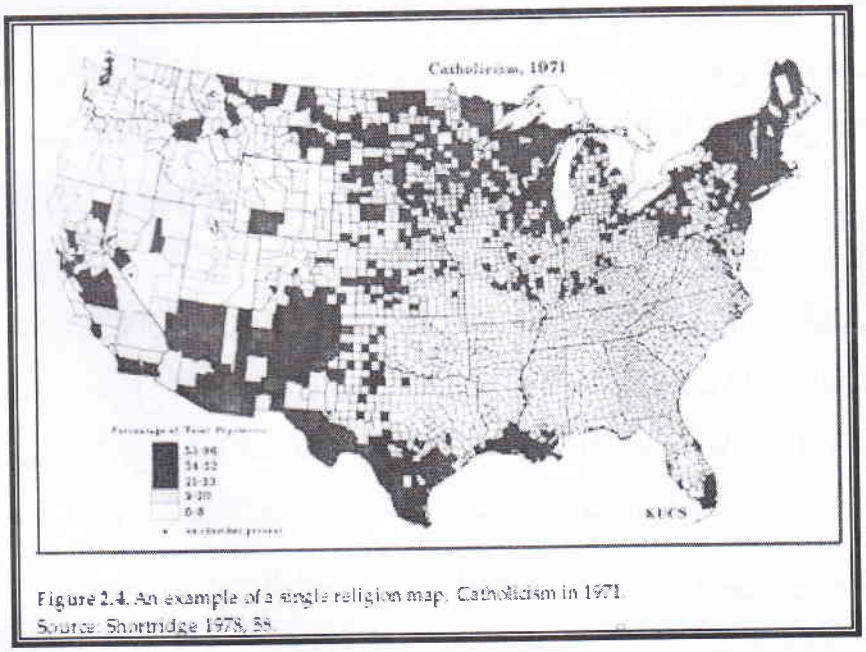


Figure 2.4. An example of a single religion map: Catholicism in 1971.
Source: Shortridge 1978, 58.

(شكل٣٥) توزيع الكاثوليك في الولايات المتحدة سنة ١٩٧١

وعود، ألحان عسكرية) تقلد أو تحاكي الطقوس الدينية. ونظراً للتنوع الكبير في الجماعات الدينية في أمريكا، فلا يوجد لأحد منها القوة لكي يقدم مجموعة واحدة من الرموز لكل واحد منها، وأغلبية الأمريكيين وفقاً لنتائج صناديق الاقتراع يستجيبون بشكل محبب لارتفاع الأمة ذاتها إلى نوع من المكانة الروحانية. وترجع جذور الولاء للولايات المتحدة كعاطفة أو تعبير ديني إلى المستعمرين الإنجليز، الذين اقتنعوا بأن جهودهم مثالية.

واختار المؤسسون لغة «المصير الواضح» والإحساس بأنه ينبغي أن يكون للولايات المتحدة رسالة، وقد كانت لها بالفعل رسالة واتجاه مفضل يرفع من قدرها، ورفع قدرها أيضاً ارتباط قوى الاتحاد الظافر بالهدف المقدس في الحرب الأهلية. والحرب والصراع السياسي الشديد والشك الموالي أو أحيانا الدعم الإيجابي للقضايا، أدى بالشعب إلى توكيد أسلوب الحياة الأمريكية كإيمان معمول به، حتى وإن ظلوا نشطين في الكنائس، وفي هذه الحالة، الولاء إلى أمريكا وطنهم.

## أولا ـ الديانات السماوية:

### أ- الإسلام:

لا يعرف على وجه التحديد متى وضع المسلمون أقدامهم في الأمريكتين، ولا يمكن القطع بأية درجة من اليقين ما إذا كان الفاتحون العرب قبل عصر كولومبوس قد قاموا برحلات عبر المحيط. ويعتقد أن بعض المسلمين قد وصلوا إلى العالم الجديد من أسبانيا في باكورة الاستكشاف الأوربي، لكنهم لم يتركوا أثراً باقياً لتاريخ الإسلام في الأمريكتين. بيد أنه خلال الأربعة قرون الأخيرة، كانت هناك حركتان كبيرتان للمسلمين في المنطقة، ظهرت الأولى نتيجة تجارة الرقيق، والنزوح الجماعي للعمالة المتعاقدة على العمل، والأخرى نتيجة للهجرة من أجزاء عديدة من مناطق العالم الإسلامي، والتي بدأت في منتصف القرن

التاسع عشر. وقد جلبت تجارة العبيد عبر الأطلنطي بدءاً من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر مسلمين من قبائل أفريقية عديدة اعتنقت الإسلام (اليوروبا والفولاني والهوسا) إلى منطقة الكاريبي والمستعمرات الأمريكية، وبخاصة البرازيل، التي كان يستعمرها البرتغاليون.

وفي حين يبدو أن الإسلام قد حضر مع المنحدرين من العبيد القادمين للأمريكتين، فإن هذه السمة من الخلفية الأفريقية – الأمريكية قد ثبت أنها رمز قوي في العصور الحديثة، حيث ارتبط اعتناق الإسلام بالنعرة السوداء، وبموروث أفريقي في مناسبات عديدة في الولايات المتحدة، كما حدث داخل حركة «المسلمين السود». وفي القرن التاسع عشر، جلب البريطانيون والهولنديون عمالاً للخدمة في مستعمراتهم، وقد جاء العديد من هؤلاء العمال من بلدان إسلامية في آسيا، وخصوصاً إندونيسيا والهند. وواصل الإسلام تقدمه بين العديد من هذه الجماعات، على سبيل المثال في سورينام وغيانا وترينداد وتوباجو. وقد بدأ نمط الهجرة في منتصف القرن التاسع عشر، في البداية من بلدان الشرق الأوسط، ثم من أجزاء عديدة أخرى من العالم الإسلامي.

كان العديد من العرب المهاجرين من المسيحيين، غير أن قدراً كبيراً من العرب الذين هاجروا إلى الأرجنتين والبرازيل وكندا والولايات المتحدة كانوا من المسلمين. وبني أول مسجد في الولايات المتحدة في أوائل سنة ١٩١٥. وفي الفترة التالية للحرب العالمية الثانية تزايدت هجرة المسلمين، ويعد السكان المهاجرون حالياً من أصول شتى. وبلغ عدد المسلمين في أمريكا اللاتينية ١،٧ مليون نسمة، وفي أمريكا الشمالية نحو ٣،١ مليون نسمة سنة ٢٠١٠ (شكل٣٦).

ويتبع غالبية المسلمين في الأمريكتين المذهب السني. وقد أصبح الشيعة القادمون من إيران جماعة أكثر بروزاً في الولايات المتحدة في الفترة التي تلت عهد الخوميني. وقد أصبح الإسماعيليون أيضا من أتباع أغا خان عنصراً مهماً

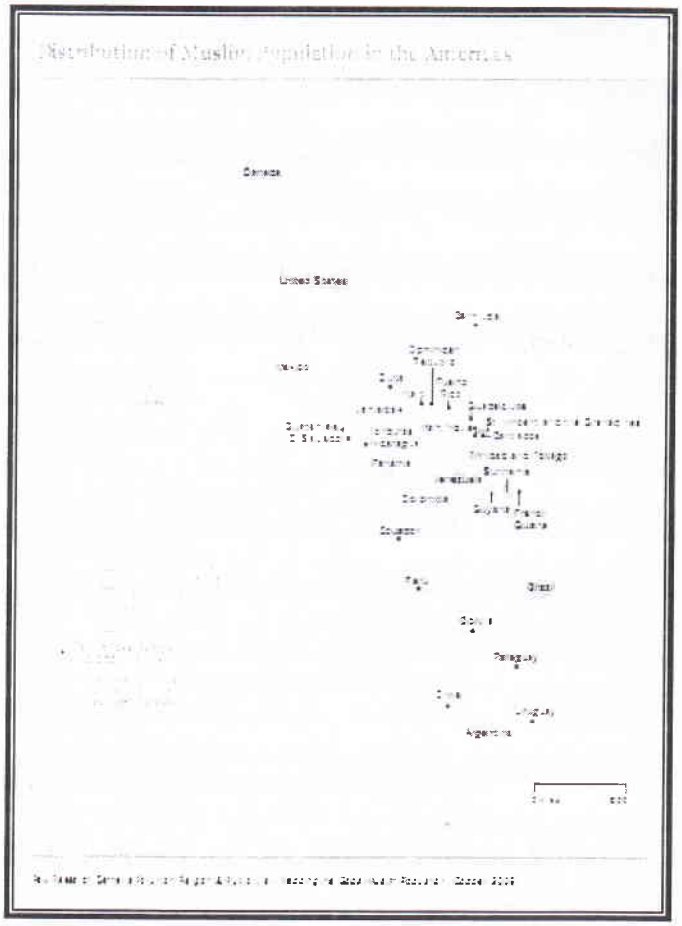


**(شكل٣٦) توزيع المسلمين في الأمريكتين**

من السكان المسلمين في أعقاب طردهم من أوغندا في السبعينيات، وبعد ذلك من خلال الهجرة المستمرة من شرق أفريقيا بصفة عامة.

وينقسم المسلمون على أنفسهم بشكل واضح في الأمريكتين في العديد من الموضوعات والممارسات الدينية. ويظهر هذا الاختلاف بصفة وخصوصاً في الوضع بين الجيل الثاني والثالث للمسلمين الأمريكيين والمهاجرين الأكثر حداثة. فالجيل الأول يميل نحو إيجاد هوية إسلامية داخل البيئة الأوسع من المجتمع ويستوعبه بالقدر الذي يشعر بأنه أساسي والجمع ما بين مثاليات الإسلام

بشكل أقرب وبين «الدين المدني»، وخصوصاً في الولايات المتحدة. وتميل الفئة الأخيرة إلى تأثرها بدرجة كبيرة بتيارات الفكر الإسلامي الحديث. وكثيراً ما كان الأئمة مهاجرين جدد من منطقة الشرق الأوسط، نظراً للاحتياج إلى وسائل التدريب الديني في الأمريكتين، ولرغبة دول مثل السعودية في تمويل وظائفهم. وقد أدى هذا إلى إثارة حفيظة الاختلافات الدينية بين الجماعات المتطبعة ثقافياً والجماعات المهاجرة، ومرارا ما يشكوا المتطبعون ثقافيا من أن الدين الذي يوعظ به لا يناسب الحياة العصرية.

وفي الولايات المتحدة وكندا ظهرت الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية Islamic Society of North America في سنة ١٩٨١ كمظلة جامعة تضم تحتها عددا كبيراً من الجماعات المسلمة ذات المصالح الخاصة. وتشرف هذه الجمعية على المؤتمرات والاجتماعات السنوية، وتقدم مناهج التعليم الإسلامي، وتضع ضوابط للحفاظ على التقاليد الإسلامية.

### ب- الطوائف الدينية المسيحية الأمريكية:

يعد الكاثوليك الرومان من أكبر الطوائف الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعتنق الكاثوليكية ربع الشعب الأمريكي، في حين أن ما يزيد على ٥٨ مليون أمريكي مسجل في قرابة ٢٠,٠٠٠ أبرشية. ويشارك الكاثوليك الأمريكيين في الإيمان الكاثوليكي الروماني. وما أن تم تسجيل الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا كإرسالية سنة ١٩٠٨، كان يميل الكاثوليك في أمريكا إلى الاعتماد على إشارات من أوروبا. وكان يخدم الكنيسة الكاثوليكية جماعات من الرجال والنساء المتدينين يقومون بإنشاء مدارس أبراشية متميزة في أمريكا؛ واتضح أن هذه المدارس هي الوسيلة الرئيسية للحفاظ على الولاء للكاثوليك، في الوقت الذي اتخذت المدارس الحكومية في الغالب مظهراً بروتستانتيا، لكنها بقيت قوية في هذا الوقت حتى تغيرت المدارس الحكومية. وأسست هذه الجماعات

الدينية أيضاً كليات وجامعات في منظومة كاملة، بمساعدة علمانية وبمشاركة غير كاثوليكية، بل واستمرت في الحفاظ على مؤسساتها التعليمية تلك. وبسبب الهجرات القادمة من العديد من الأمم أظهرت الكاثوليكية الأمريكية تنوعاً كبيراً من الاختلافات العرقية الداخلية، أدى بعضها إلى منافسات ومظاهر استياء في إدارة الكنيسة.

وهاجرت إلى الولايات المتحدة أعداد من الأوربيين الشرقيين أقل من الأوربيين الغربيين، ويصل عدد الأرثوذكس اليونانيين قرابة مليوني شخص، وهناك مجموعة كبيرة من الأرثوذكس الروس، بالإضافة إلى عدد من الكنائس الأرثوذكسية الأصغر (مثل الكنيسة الأرمنية والصربية). وقد اتجهوا إلى الإبقاء على الطقوس الدينية باللغات الأوربية المختلفة، وكان الشعور إزاءهم أنهم تقليديون في حياة الكنيسة، في حين أصبحوا مشاركين بالكامل في المواطنة الأمريكية والحياة المسكونية المسيحية.

ويقدر جماعات البروتستانت بنحو ٦٠٪ من السكان؛ في حين أن آلاف من الأمريكيين الأفارقة يوجدون إلى حد كبير في طوائف دينية بيضاء. وقد ميَّز الفصل العنصري هذه الطوائف المنحدرة من المهاجرين القادمين من أوروبا. وفي حين يوجد قرابة ٢٠٠ طائفة بروتستانتية في الكتاب السنوي للكنائس الأمريكية والكندية، فإن معظم الأعضاء يمكن أن يروا في مجموعات أو تجمعات طائفية عديدة. والثلاثي الأكثر تحرراً، هم الأسقفيون، وكنيسة المسيح المتحدة والمشيخانيون؛ وكانت هذه الطوائف في العصور الاستعمارية هي الطوائف السائدة، لكنه يقدر حالياً بأن هناك مجموعه ٨ أو٩ ملايين عضو بالغ، بالإضافة إلى عدد غير محدود من «المناصرين للطوائف» غير الأعضاء. وفي العصور الحديثة، واجهت هذه الطوائف نقصاً في عدد الأعضاء. والأسقفيون هم أعضاء الطائفة الإنجيلية، وفي الحياة الثقافية، يفوق تأثيرهم أعدادهم، وهم منتشرون في

جميع أنحاء البلاد، ولا توجد لهم منطقة سيادة خاصة بهم كالتي كانت لهم في فيرجينيا وكارولينا الشمالية والجنوبية في العهود الاستعمارية. ومثل الكنائس البروتستانتية الليبرالية أنجبت الكنيسة عددا غير متكافئ من رؤساء الولايات المتحدة، وقضاة المحكمة العليا، ورجال لهم تأثير كبير في التجارة.

وتعكس المسيحية الكندية أصولها الاستعمارية، فقد جلب الاستعمار الفرنسي في القرن السابع عشر إرساليات الجزويت إلى الهنود الحمر المعادين للبروتستانتية. وجلب الغزو عن طريق بريطانيا أشكالاً عديدة من البروتستانتية. وتوقف التأسيس المبكر للإنجليكانية في أراضي الكنيسة عندما تزايدت الطوائف الدينية الأخرى. وأدمجت الكنيسة المتحدة في كندا الميثودية والإبراشانية والمشيخانية. وظل للكاثوليكية الرومانية طابعاً محافظاً قوياً في الأقاليم الفرنسية كجزء من هويتها الثقافية.

هناك ما يزيد على ٣٠٠ مليون من سكان أمريكا اللاتينية حالياً وما يزيد عل ٩٠٪ يدينون بالولاء للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ونتيجة لذلك فإن ما يزيد عل ثلث كاثوليك العالم يقطنون الدول اللاتينية في جنوب ووسط وشمال أمريكا. وقد نشأ عن غزو أمريكا الذي بدأه كولومبس سنة ١٤٩٢ تحويل جبري للسكان الأصليين للمسيحية، ومحاولة التخلص من ثقافتهم ودينهم. وقد تعزز إلحاق القارة إلى روما بإدخالها في الكاثوليكية بصورة أكبر من خلال استعمار أسبانيا لمعظم القارة. وحققت الدول العديدة التي تشكل أمريكا اللاتينية حالياً استقلالها السياسي خلال القرن التاسع عشر. وقد أدت الطبيعة غير الإكليريكية للحركات الجمهورية إلى عزلة مؤقتة بين الكنيسة والدولة بينما شهد القرن العشرين قوى سياسية تسعى نحو تسخير النفوذ الشعبي المستمر للكنيسة لدعم نظم السلطة بما فيها الدكتاتوريات العسكرية. بيد أنه في الجزء الأخير من القرن العشرين تحدى ظهور لاهوت التحرر هذا التحالف الوثيق بين

الكنيسة والدولة بد م للتغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أتى من جذور المجتمعات المسيحية (الأولى) ومن أعضاء الطوائف الدينية، ومن رجال الدين الراديكاليين. وكان التأثير المسيحي المكبر على الأرقاء عن طريق الاستعمار الأسباني والإرساليات.

### ج. اليهود في أمريكا الشمالية:

كان أول مستوطنون يهود في قارة أمريكا الشمالية هم يهود شرقيون من أصول أيبيرية انتقلوا إلى أمستردام الجديدة (التي سميت فيما بعد نيويورك) في سنة ١٦٥٤، وكانوا قد استقروا في الأصل في أمريكا الجنوبية. وفيما بعد انتقلوا إلى أمريكا الشمالية، وانضم المهاجرون اليهود الألمان ويهود شرق أوروبا تباعاً إلى المستوطنين السافاردي Sefardi الأصليين، وتزايدت أعداد السكان بدرجة كبيرة مع تدفق اللاجئين بسبب الاضطهاد في روسيا وبولندا في أواخر القرن التاسع عشر.

ويصل تعداد السكان اليهود في أمريكا الشمالية حالياً ما يزيد على ستة ملايين، وحوالي ٣٠٠,٠٠٠ نسمة في كندا. وتوجد بالولايات المتحدة أعلى نسبة من السكان اليهود في العالم. وتنقسم الحياة الدينية لليهود في أمريكا الشمالية إلى ثلاثة تيارات رئيسية: الأرثوذكسيون (الأصوليون)، والمحافظون، والإصلاحيون. ويتكون الأثوذكس من مجموعة منوعة من الطوائف المستقلة بالإضافة إلى جماعة كبيرة منظمة من اليهود الأرثوذكس المحدثين الذين تعد مؤسستهم التعليمية الرئيسية بجامعة يشيفا Yeshiva University (تأسست سنة ١٨٩٧) في نيويورك. والمعهد اللاهوتي الحبري، والمعهد اللاهوتي اليهودي لتخريج رجال الدين (١٨٨٧) في نيويورك.

## ثانيا ـ الديانات الوثنية:

خلال فترة تمتد لأكثر من ٢٥ ألف سنة، منذ بدء عبور الهجرات الأولى عبر معبر بيرنج البري إلى وقتنا الحاضر، أظهرت أديان السكان الأوائل في أمريكا الشمالية تنوعاً هائلا من الأشكال، فقد تنوعت هذه الأديان بدءاً من طقوس صيد بسيطة إلى شعائر التقويم المتقنة قائمة على اقتصاديات زراعية ثابتة، وإلى طقوس عبادة مرتبطة بالصيد والحرب لقبائل البدو في السهول، وعلى الظواهر الأكثر حداثة التي تضم رقصة الأرواح والبيوتية PEYOUTISM والعبادات التوفيقية التي تحمل التأثير المسيحي.

وكان للتنوع الكبير في المعتقدات والممارسات والندرة النسبية للبيانات الأثرية والغياب شبه الكامل للسجلات التاريخية والانقراض الفعلي للعديد من القبائل وتأثير جهود التبشير والاتجاه العام نحو التطبع الثقافي أن جعل العالم أمام مهمة شبه مستحيلة من التنظيم الجديد والتعميم. ومع ذلك تؤكد معظم الأديان الأمريكية الهندية على وجود قوة عليا، ومصدر إلهي للكون. وتعد الكائنات الخيّرة في هذا العالم، وإمكانية الاتصال البشري بالقوى الغيبية خلال الرؤى والطقوس وقدرة البشر على اكتساب وتوجيه القوى الغيبية لأغراضهم على درجة الأهمية على السواء. وعد طبيعة «الأسرار المقدسة» في العالم المادي والعلاقة المتبادلة الأساسية للإنسان والإله والحيوان من الموضوعات الأساسية في الأديان الأمريكية الهندية. وتؤكد معظم الجماعات على قابلية البشر للتلاؤم مع هذه الحياة من خلال سلوك يتماشى مع العلاقات الأساسية، بالإضافة إلى احتمال وجود حياة بعد الموت. وتسعى الشعائر الفردية والجماعية على إيضاح أهمية الأنماط الطبيعية (مثل حركات الحيوانات، والتغييرات السماوية والموسمية، ونوايا عالم ما وراء الطبيعة) من أجل توصيل أو تأثير أو العمل وفقاً للحقائق المقدسة.

وتتضمن أديان أمريكا الوسطى الأديان التقاليد الدينية التي تطورت في وسط وجنوبي المكسيك وشبه جزيرة يوكاتان والسلفادور وجواتيمالا وأجزاء من هندوراس ونيكاراجوا وكوستاريكا ما بين سنة ٢٣٠٠ق.م. و١٥٢١ ميلادية. وشاركت حضارات التولتية والمايانية والهواستية والمكسيكية والأزتكية في سمات دينية وثقافية مثل: المراكز الاحتفالية التذكارية والتقاويم الشمسية والطقوس المعقدة والكوزمولوجيا المصممة على أساس الاتجاهات الرئيسية الأربعة والمركز (سيمانهويك CEMANHUAC) الذي يقطنه مجمع الآلهة المعقد.

وانتشرت هذه التقاليد الدينية في مدن رئيسية مثل تيوتيهيواكان، وإلتيجان، وتيكال، ومونت ألبان، وتشولوليان، وتولا (توليان)، وتشيشن إتزا وتينوتشتتلان، حيث نظم الكهنة والحكام المقدسون حياة مجتمع منظم حول المراكز الطقوسية الكبيرة التي ربطت المجتمع بالعالم فوق الطبيعي والسلطة الشرعية من الجماعات الطليعية. وبصفة عامة تكونت هذه المراكز الطقوسية من معابد الأهرامات والقصور والساحات الاحتفالية وأماكن التسوق وساحات الكرة والهضاب المسطحة. وقد كانت تقام الطقوس التقويمية المتقنة التي كانت تبلغ ذروتها بالقرابين البشرية بالآخرين أو عن طريق التضحية بالذات داخل هذه الأفنية الاحتفالية.

وربما تكون ثقافات أمريكا الجنوبية أكثر من ثقافات أي منطقة أخرى في العالم استغلالا للنباتات بطريقة دينية تحدث شرر رؤى مضيئة. وتعد نباتات السعوطات من النباتات البارزة المسببة للهلوسة. وقد استخدم الشامانيون على وجه الخصوص السعوطات المسببة للهلوسة للرجم بالغيب، ولفض الخلافات ولعمل السحر، والتعرف على مناطق الصيد والقنص والشفاء الأمراض. ونباتات النقع من النباتات المعروفة في كل من البيئات القبلية والحضرية. وبالإضافة إلى

ذلك، فالتبغ والمشروبات المخمرة وعددا من النباتات المنبهة (الفلفل والكوكا والجورنا) والمخدرات (دانورا) تعد من النباتات الرئيسية في الطقوس الدينية.

وتشتهر قارة أمريكا الجنوبية بتنوعها اللغوي الهائل (إذ قدر أن بها حوالي ١٥٠٠ لغة مختلفة سواء أكانت موجودة أم منقرضة) والعصور القديمة التي شغلتها والمدى الهائل لتكويناتها الثقافية والاجتماعية (من مجتمعات صيد وقنص صغيرة في حوض الأمازون إلى الدول الإمبراطورية في الإنديز). وبالمثل أبرزت الحيوات الدينية في أمريكا الجنوبية تنوعاً هائلاً من الأشكال، وبعد خمسة قرون من الاتصال بالأوربيين انكمشت هذه البانوراما بدرجة كبيرة أو تعدلت، وبمعلومية النقص النسبي للدراسات التاريخية والمقارنة التفصيلية للأديان فمن الصعوبة بمكان أن نعطي صورة كاملة عن الكل حاليا.

وتؤكد أساطير الخلق على الأصل الإلهي للكون من خلال فترات زمنية متضاعفة. وتتراوح علاقة البشرية بالسماء من خلال الكهنة والشامان حيث التضرع إلى الاتحاد الباطني باللاهوت أو المعركة الطقوسية أو الاحتفال بالمهرجانات التي تقام بشكل ديني. والحياة الطقوسية في بعض الحالات تجدد الصلات بالقوة المبدعة الإلهية وفي حالات أخرى تكون وسيلة لإحداث المستقبل. وتعد الموسيقى الطقوسية والأغاني والترنيمات الرموز العظيمة للثقافة وهي تعبر عن التغير والإنتاج خلال الزمن وأعمال الخلق. وتعطي أهمية هائلة لغموض وقوة الموت على أنه مكمل للوجود البشري. وبالنسبة للعديد من الثقافات تستهل الأخلاق حالة حياتية من التحول الثابت والانسلاخ. وغالباً ما تعبر الحركات الألفية والنبوئية عن هذه المعضلة الموروثة من عصور قديمة والمسعى نحو الخلود. وبينما مدت المسيحية جذورها بعمق في القارة، راح أهالي البلاد يعيدون تشكيلها مراراً وراحوا يدمجوها في بِنىً سابقة.

وهناك عبادات اليوربا التقليدية؛ وكاندومبل، وتندمج فيها عناصر

كاثوليكية وغرب أفريقية؛ مع إسهامات أفريقية من البانتو والأرواح الهندية المحلية وممارسات الشفاء؛ وتستمد أومباندا UMBANDA من كل ما سبق الروحانية الأوربية والإيمان بالقوى الخفية وإخضاعها للسيطرة البشرية لتشكل مركباً على المستوى القومي يشارك أتباعه الكاثوليكية الرومانية المأثورة من جيل لجيل.

في جميع أرجاء قارة أمريكا الجنوبية تركز الحركات الدينية جل اهتمامها على الأنبياء والاعتقاد في النهاية الوشيكة للعالم وجنة موعودة. ومن بين الحركات البارزة الجوراني في الساحل الجنوبي والغربي، وتوكانو وأوروواك في شمال غرب الأمازون، وتيكونا في سولوموي العليا وشعوب الكاريبي من غينيا البريطانية وشمالي البرازيل، وشعوب جي وتمبرا في شمال شرق البرازيل، وتوبا موسكو في الأرجنتين، وتشاكو وكامبا شرقي بيرو. وبخلاف الحركات الحقيقية كانت نظريات نشوء الكون لدى الشعوب العديدة المختلفة تتضمن بذور توقعات الألفية. وقد تكون الحركات حينئذ نتيجة – ليس فقط – ضغوط خارجية لموقف الاتصال ولكن أيضاً نتيجة المعضلات الداخلية الموجودة في العمليات الخاصة بنشأة الكون. وغالباً ما تجسد رؤى النهاية نظريات انتقادية عن التاريخ تفسر خواص معينة من الوجود بمرور الزمن وتتنبأ بالدمار العنيف كشرط سابق ضروري للخلق الجديد.

وتتضمن السمات التي كانت مشتركة بين الحركات عبر القارة على: اندماج الرمزية المسيحية في الأيديولوجيات، والعزلة السياسية والاقتصادية، وتوقع كارثة وشيكة الحدوث وإعادة إنشاء دولة موعودة، والتوقف الكامل للأمور الروتينية العادية، والتجرد من الملابس الأجنبية أو البضائع أو الأغذية، ومواصلة الرقص والقيام بالمهرجانات المستمرة كعلامة مميزة على الدخول في العهد الجديد، والأحلام والرؤى، ووفرة الأعاجيب، وتجسد الآلهة في شكل

مادي أو بشري، وسمو القوى السماوية، وارتداد الأرض المتحولة إلى التحكم الطبيعي، والقيود الشديدة على المؤمنين، وتحول الأجساد التي تصبح أجساد المؤمنين صحيحة ومنيعة ومخلدة.

وأنشأت السلالات المنحدرة من الأفارقة العبيد في الكاريبي وأمريكا الجنوبية حركات جديدة، تتراوح ما بين إحياء الأديان القبلية القديمة بدرجات مختلفة من التأثر بالمسيحية إلى كنائس مسيحية مستقلة. وأشهر ما يعرف منها الوودو VOODOO في هايتي وجمهورية الدومينكان، وتجمع الشانجو Shango في جرينادا وترينداد وسانت لوشيا والبرازيل وما بين عناصر أفريقية وكاثوليكية. وقياساً على ذلك سانيريا Saneria في كوبا وعبادة ماريا ليونزا Maria Lionza في فنزويلا. وتتركز عبادتي كومينا Cumina وكونفينس CONVINCE في جامايكا على أرواح الأسلاف مع بعض مضامين مسيحية. وقد طورت الجماعات الثلاث من زنوج الأدغال: الساراماكا Saramaka والديوكا Djuka والبوني Boni التي تعيش داخل سورينام وغينيا الفرنسية عبادات خاصة بها مع بعض اقتباسات من المسيحية. وقد جلب هذا التأثير أنبياء مصلحين مثل وينسي Wensi في سنة ١٩٣٦، وأكالالي Akalali منذ سنة ١٩٧٢ الذي قام فيما بعد بإصلاح عبادة جآن تاتا أو ماسا يهوه، التي تعد في حد ذاتها شكلاً أكثر مسيحية منذ ثمانينيات القرن العشرين. وظهر عدد مشابه من الحركات في العبادات الأفرو- برازيلية في الساحل البرازيلي.

وتضم الحركات التوفيقية المشابهة للنوع الأكثر إحيائي من المسيحية: التجديديون، وهو مصطلح عام في جامايكا يطلق على بوكو-مانيا -POCO MANIA، وكنيسة الرب الإحيائية، إلخ، بالإضافة إلى الهزازين -SHAK ERS في سانت فينسينت والمعمدانيين الروحانيين في ترينداد. وفي غيانا تأثر الكهنة بشدة بالكتب الدينية العبرية وبالأشكال الدينية اليهودية أيضاً، مثل

بيت إسرائيل House of Israel وعبادات «العودة إلى أفريقيا» العديدة والتي من أشهرها الراستافاريون RASTAFARIANS في جاميكا. ويقدم استحواذ الروح التقليدي خلفية متجانسة روحاً وطبعاً عن النمو الكبير في الأشكال المرتبطة بالمسيحية في غرب الإنديز، وتأثر بعض الغربيين بشدة بالديانة المحلية. وهناك أيضاً العديد من الكنائس المسيحية القائمة على التعاليم الأرثوذكسية، وقد انتقلت كل أنواع كنائس جاميكا السوداء مع المهاجرين إلى بريطانيا.

### ١ـ ديانات جزر الهند الغربية:

على مدار تطور اقتصاد المستعمرات في جزر الكاريبي (شكل٣٧) كان توفير الأيدي العاملة المتزايدة والاحتفاظ بها يمثل مشكلة من الناحية الاقتصادية، وحتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان العمال العبيد يوفرون القدر الأكبر من متطلبات المستعمرات، وهم الذين كانوا يُجلبون من غرب أفريقيا. انتقل بعض هؤلاء العبيد مع أسيادهم من دول أخرى في الأمريكتين. وعندما ألغت بريطانيا نظام (الرق) سنة ١٨٣٣، اعتق العبيد، وأصبح من الضروري إيجاد عمالة رخيصة من مصادر أخرى، حيث أصبح توظيف العبيد المحررين أمراً مكلفاً. في حين بدأ بعضهم يعمل بصورة مستقلة. وقد كانت المشكلة في ترينداد وجيانا وجامايكا مستفحلة؛ ففي البداية، تم جلب العمالة من سكان جزر صغيرة في شرقي الكاريبي، مثل جرينادا، ولم تكن أعدادهم كافية. وكانت العمالة الوافدة من مستعمرات الولايات المتحدة وبريطانيا غير مرضية؛ لأن القليل منهم من كانت لديه الرغبة في العمل بنفس الصعوبة التي كانت لازمة للعمل في مزارع قصب السكر. وقد بذلت محاولات لاستيراد عمال من فرنسا وألمانيا والبرتغال، لكنها وجهت بسوء حظ مشابه. وكان جزء من المشكلة هو اعتقاد عام بأن الأفارقة فقط أو من هم من أصل أفريقي هم الذين يمكنهم تحمل ظروف العمل في المناطق الاستوائية.

(شكل٣٧) جزر الهند الغربية في أمريكا الوسطى

وفشلت جماعة مهاجرة صغيرة من الصين؛ لأن الصينيين كانوا متحمسين للعمل بالتجارة وتركوا المستعمرات إلى تجار التجزئة. وبدا أن الهند سوف تكون المورد الوافر للعمالة المدربة زراعياً، وابتدئ في إجراء نظام عقود استخدام العمالة من الهند. وكان سيكفل للهنود القادمين للعمل في منطقة الكاريبي أجور مجزية، على الرغم من أن هذه الأجور لن يتم إنفاقها غلا في متاجر المستعمرة. وبعد فترة من العمل، خمس سنوات في البداية، ويمكن مدها إلى عشر سنوات، كان يمكن لهؤلاء الهنود المرشحين للعمل العودة إلى موطنهم الهند والحصول على بدل سفر مدفوع الأجر. كانت السنوات من ١٨٤٤-١٩١٧ هي الفترة الرئيسية للهجرة. وبحلول عام ١٨٦٠، فما كان ينظر إليه في الأصل على أنه إجراء مؤقت، أصبح في النهاية تدفقاً منتظماً من العمالة، وبحلول عام ١٨٧١ كان الهنود يشكلون نسبة ٢٥,١٪ من السكان: فقد كان هناك ٢٧ ألفا في ترينداد وحدها. وكان لا يزال معظمهم يعملون في الأراضي والأطيان، وكان من حصل

منهم على عقود عمل يشكل نسبة ٤٠٪. وظلت الغالبية العظمى من العمالة في منطقة الكاريبي بأجور منخفضة.

وبدا من الواضح أن الحياة العنصرية والدينية وأخيراً السياسية في هذا الجزء من الكاريبي قد تغيرت، في حين لم تعترف السلطات الاستعمارية بهذه التغيرات. جاءت الغالبية العظمى من الهنود من كلكتا، وكان عدد أقل منهم من مدراس (في الهند)، وعرفوا (بأهل مدراس)، وكان من جاء مؤخراً من العمالة أقل قدرة على العمل. كان هناك عدد قليل من المسلمين، وكانت الغالبية العظمى من المهاجرين من الهندوس وكانوا يستطيعون ممارسة طقوس، وكان لمعظم الطبقات الاجتماعية معابده، ومارس البراهمة طقوسهم التي كانوا يمارسونها في الهند. كان هناك عدد أقل من المسلمين، وكانت الجماعة الأقلية من طائفة الشيعة، وبدءاً من خمسينيات القرن التاسع عشر، كانوا يحتفلون بالحسين إحياء لذكرى حفيد الرسول محمد ﷺ.

وتلاحم الهندوس مع المسلمين السنة بشكل حماسي، لذا طوروا شيئاً، له صفة المهرجان الهندي. وعلى الرغم من أن ديانة الهنود وثقافتهم أسهمت في مكانتهم الوضيعة، فلم يكونوا «أحراراً» ولم تكن السلطات الاستعمارية تعترف بالزواج ما بين الهندوس والمسلمين حتى عام ١٩٤٥، وكانت عقود الزواج تسجل بدلاً من ذلك في ترينداد. ولهذا السبب، فحتى عام ١٩٤٥، كان أطفال الهنود يولدون غير شرعيين من الناحية الرسمية. وعلى الرغم من نطاق الديانات الكاريبية الأفريقية، فقد اعتبرت المجتمعات السوداء نفسها مجتمعات أرفع مقاماً ومسيحية. وكان ينظر إلى الهندوس بأنهم أناس قذرين وغير متحضرين، وكان ينظر إلى المسلمين أنهم أكثر سلبية. وقاوم الهندوس والمسلمون عمليات التنصير، على الرغم من الاعتداءات التي قامت بها الكنائس البروتستنتية بصفة خاصة في جنوب شرق ترينداد. وأوجد استقلال الهند سنة ١٩٤٧ فخراً كبيراً في المجتمع، وأوحى للهنود بإمكانيات هوية جديدة.

واللافت للنظر في جزر الهند الغربية من ثقافة الهند هو بقاء نظام الحمية والعادات والمهرجانات والأسماء الهندية، وتتجنب العائلات الهندوسية الزواج بين أبناء العمومة مهما تباعدوا، بينما يسمح المسلمون بذلك. وحمل المسلمون معهم القرآن، بينما احتفظ الهندوس بنكهة نظام الطبقات الاجتماعية، وفي حين كان المسلمون يؤمنون بمبدأ المساواة أمام الله، فقد نشأ شكل من أشكال التسلسل الهرمي الاجتماعي الإسلامي في ترينداد.

ويدين معظم الهنود المسيحين بالبروتستنتية أو الكاثوليكية، لكنهم ربما أبقوا على قدر كبير من الاحترام للمعتقدات الإسلامية والهندوسية. وتعتبر بعض الكنائس في جنوب ترينداد في الأساس كنائس هندية. وفي يوم الجمعة الحزينة Good Friday (السابقة لعيد الفصح)، يزين الهندوس مريم العذراء في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالسوار الذي في رءوسهم، ويطلبون منها المساعدة على شفائهم من المرض، ويشكرونها على الخدمات التي قدمتها لهم، ويحتفلون بأعياد الكريسماس.

وفي البيوت الهندوسية استمر الحفاظ على التقليد الفيدي، ويمكن تمييز بيتهم من الخارج ببيارق الصلاة، وفي مواقع الدفن الهندوسية. ويحتفل بديفالي Divali، وهو المهرجان الهندوسي للنور كعطلة قومية. وتضاء عقود من البامبو، بالعديد من الشموع، مع الرقص والطبول.

### ٢ـ الديانة الكاريبية:

تشترك الشعوب الكاريبية التي تقطن شمال أمريكا الجنوبية في بعض موضوعات أساطيرها وعلومها الكونية وشامانيتها[١]، فدمار العالم الناجم عن

(١) الشامان Shaman: شخص يعتقد أن لديه قدرات تأتي من الاتصال المباشر بما وراء الطبيعة وغالبها من الأحلام أو الإيحاءات. وقد جاء هذا المصطلح من كلمة منغولية، ولكن يوجد لبعض الشعوب في مناطق عديدة شامانات يعتقدون بأنهم يُبعدون الأرواح الشريرة أو يجلبون الحظ خاصة الشفاء بمعالجة الناس من الأمراض. ويوجد شامانات بين الإسكيمو والماووريين والبولينيزيين وغيرهم، وللهنود الحمر الأمريكيين نفس المعتقدات.

الطوفان ينهي العالم البدائي ويحدث تمييزاً للأنواع. وغالباً، ما يأتي الطوفان بعد سقوط شجرة الحياة العظيمة في مركز العالم. وعلى نحو بديل، تسبب الحياة المائية الطوفان، ويحدث قتل هذه الوحوش أشكالاً مستقلة من الحياة. وتحيي الطقوس الأساسية في الحياة الدينية الكاريبية ذكرى هذه الأحداث الأسطورية. والماواري Mawari، الموجودة على نطاق واسع في الكونيات الكاريبية هي كائنات فوق طبيعية ترتبط بطرق مختلفة بالحيات المائية أو الشعب الحيواني أو النمر البدائي أو أرواح الجبال التي لا يراها إلى الشامانيون. وعلى نحو متكرر، فإن أساطير سيد الكون، أو مصدر الضياء والخير تقاوم كائناً شريراً محتالا، يجلب الموت والظلام وسوء الحظ للعالم. وتُولِي أهمية كبيرة لاستعمال الرموز الصوتية في الممارسة الشامانية.

### ٣ـ ديانة الدريدز:

يوجد بجزيرة دومينكا[١] Dominica نسبة عالية من البطالة، فحوالي ٦٠٪ من الأراضي في أيدي المزارعين أو الشركات، ومستوى فرص التعليم بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب قليلة جداً. ويعبر المفزعون Dreads عن عزلتهم بارتداء خصلات الصوف «خصلات صوف المفزعين»، وعن طريق سلوك منحرف بشكل عام يظهر في تحد السلطات المدنية باستخدام العقاقير وإساءة استخدامها. ويعني الفزع القوة داخل الإنسان. ويعد المفزعون في جزيرة دومينكا أن دومنيكا مدينة كبيرة منغمسة في الترف والإثم. ويعتقد بعض المفزعين أن هيلاسيلاسي[٢] Haile Selassie كان ولا يزال إلها، بينما يعتقد الآخرون أن من واجبهم افتداء الدومنيكا. ويرتدي المؤمنون من النباتيين لباساً بسيطاً ويعد الحشيش القربان المقدس الأساسي.

---

(١) دومينيكا دولة في جزيرة دومينيكا على البحر الكاريبي، وتقع على مسافة ٥١٥ كم شمال الشاطئ الفنزويلي

(٢) هيلا سيلاسي (١٨٩٢ - ١٩٧٥) هو آخر الأباطرة الأثيوبيين. نصب ملكا عام ١٩٢٨، ثم إمبراطورا عام ١٩٣٠. أقصي عن ملكه عام ١٩٧٤ إثر ثورة شيوعية قادها منغستو هيلا ميريام.

### ٤ـ الديانة الأراواكية:

تنتشر الشعوب المتحدثة باللغة الأراواكية في شمال وشمال غرب قارة أمريكا الجنوبية (شكل٣٨)، وفي ديانة بانيوا Baniwa تتغلب قوى خلاص الخالق على قوى الشر البدائية. ويعد ابن الخالق، كيواي – وهو كائن فوق طبيعي الذي يعد جسده مصدراً للموسيقى المقدسة – ممثلاً للقوى السلفية، ويُتوسل به حاليا في الطقوس التعبدية. وقد اعتبر الشامانيون الأكثر قوة والمتخصصون في الترانيم – وهم الشخصيات الرئيسية في الحياة الدينية – منقذين كالخالق.

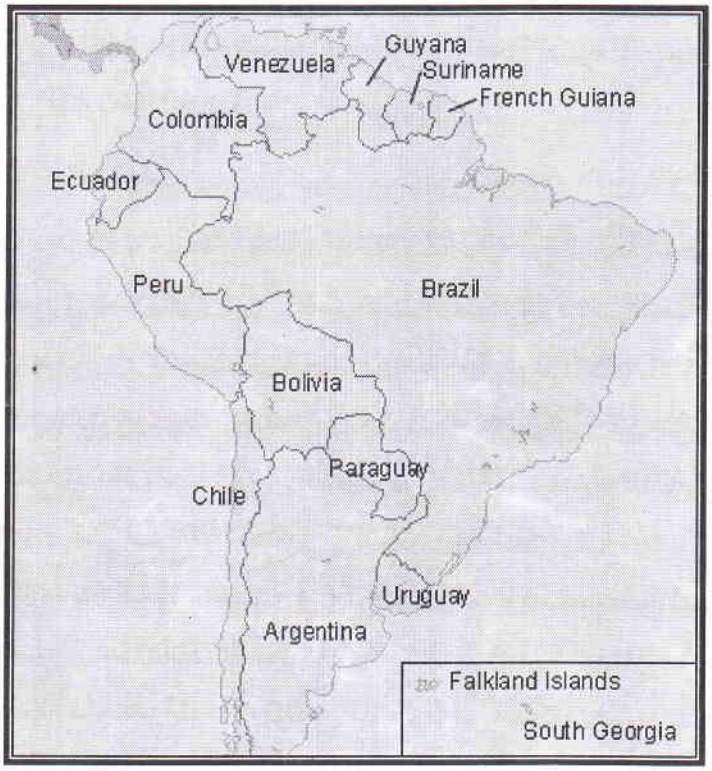


**(شكل ٣٨) دول قارة أمريكا الجنوبية**

وتركز ديانة جواجيرو Guajiro على مبدأين مقدسين في التعارض المكمل الذي يظهر في رب المطر (جويا) والكيانات الأنثوية القوية (يولوي) المصاحبة

للأماكن الخطيرة والمرض. ومن خلال رحلة أرواح الموتى يشارك البشر في الجوهر المقدس حيث يعود الميت إلى الأرض في صورة مطر أو كيانات فوق طبيعية تخلد الحياة والموت. ومعظم الشامانيين الجواجيرو من النساء.

وبالنسبة للكامبا في شرق بيرو، يعد الخلق هو تاريخ التحولات التي جعلت الأرض وسكانها البدائيين في وضعهم الحالي. ويسعى الكامبا في مهرجاناتهم إلى تفاعل شخصي مع هذه الآلهة التحولية باستخدام مادة أياهوسكا المهلوسة، وهي جعة متخمرة وموسيقى. ولما كان العالم قد جاء إلى الوجود من خلال تحول، فسوف يدمر في المستقبل بإرادة إله الشمس بافا sun-god Pava.

### ٥ـ ديانة جي-بورورو:

في التنظيمات المزدوجة المعقدة لمجتمعات جي برورو Ge-Bororo في وسط البرازيل (شكل٣٨) تبرز تصنيفات الحقيقة ثنائية التفرع في الحياة الطقوسية، حيث تنصف كل قرية بنظام النصفين أو بسلسلة من هذه النظم يقابلها تصنيف زوجي وتتم بينهما على النهاية علاقات التتام الطقوسية، التي تحدث بشكل رسمي خلال الاحتفال بطرق متقنة. ويظهر المجتمع باختصار داخل مخطط كوني معين من الأشياء في مخططات القرية الدائرية وشبه الدائرية. وفي الأساس تؤكد فلسفات جي-برورو الاجتماعية والكونية على فكرة المكان والتكرار. وتسعى على غلق الزمن (العالم الماضي والحاضر والمستقبل) من خلال الفضاءات المحيطة بقراهم. وكل شيء هناك له مكانه، وهذا المكان الثابت يطهر الزمن. وهكذا تصبح القرية كونا مصغراً يوتوبيا[1]، يحتوي العالم الخارجي بأسره.

---

(١) اليوطوبيا Utopia: مفهوم فلسفي يطلق على المكان الذي يبدو كل شيء فيه مثاليًا ولا توجد فيه أي نوع من أنواع شرور المجتمع كالفقر والظلم والمرض، وهو عكس الديستوبيا. وتطلق صفة يوطوبيا أيضا على الأفكار المثالية التي لا يمكن تطبيقها في المجتمع، نظرًا لبعدها عن الواقع الحقيقي. وتسمى بالعربية المدينة الفاضلة.

### ٦ـ الديانة الجورانية:

يعيش الجورانيون Guarani مشتتين في جماعات صغيرة في جنوب البرازيل وباراجواي وشمال شرق الأرجنتين (شكل٣٨). ويمكن تعريف ديانتهم – التي تخلد في تركيبها ووظيفتها ديانة جوراني القديمة – بأنها إحدى الإلهامات التي يباح بها سراً في الأغاني والرقص التي يقودها الأنبياء بحثاً عن «أرض بلا شيطان»، والجنة السماوية للخالق. ويتلقى كل الجورانيين من الآلهة كلمة الإله. ووظيفة الروح إضفاء موهبة اللغة على الإنسان، وهي الحكمة الإلهية التي تمثل في الترنيمات المقدسة. وكلمة الإله والحب والترنيمة التي تولد الكلمة الحنونة تصنع الجوراني الذي يكون كما هو كائن؛ والشخص الذي يخسر كلمة الإله يخسر نفسه ولا يعد جورانياً.

### ٧ـ ديانة كيوشوا:

يقسم الكيوشوا Quechua في جنوبي بيرو (شكل٣٨) الكون إلى ثلاث ممالك كبرى: هانكباشا Hanaqpacha، العالم الأعلى الذي توجد به الآلهة المسيحية والقديسون وأرواح الموتى؛ كياباشا kaypacha، هذا العالم الذي تقع فيه سلسلة كاملة من الأرواح والكائنات فوق الطبيعية؛ ويوخاباشا Ukhupa-cha، العالم الغامض الذي يسكنه أناس قليلون. وتتميز ثلاثة عصور أسطورية: عصر أسود للأرواح لا يضاء إلا بضوء القمر؛ وعصر تمرد النوبا nawpa، الذين يصابون بالعمى ويجفون بسبب الشمس المشرقة الجديدة؛ وعصر الإنسان الذي يعطي سلسلة من أضواء متذبذبة.

وتتجه عبادة الكيوشوا إلى الأرواح التي تسكن الجبال والأرض، التي يستقل وجودها عن مواطنها المادية. وبصفة عامة ينشأ النظام حول إلهين عظيمين هما: روءال Roal، روح الخالق الذي يشغل قمة التسلسل الهرمي، والباشاما Pa-chamama، الذي يتخلل النظام من أعلاه إلى أسفله لارتباطه بأنوثة الأرض

وخصوبتها. ويرتبط آلهة الكيوشوا ارتباطاً وثيقاً بالأنشطة اليومية ويتدخلون بشكل مباشر في تحدي نجاح أو فشل الشخص تبعاً لسلوكه ونوعية علاقته بالآلهة.

### ٨ـ ديانة شبيبو:

في مجموعة أساطير الشبيبو Shipibo (شرقي بيرو) (شكل٣٨) أسست الحيوانات حركة التاريخ الكوني عن طريق سرقة النار. وفي فترة من الزمان سابقة على الزمن الحاضر، لم يكن لدى الناس نار؛ وكانت الشمس ساكنة في موضعها. ويفسر هذا العهد الأولى بأنه أناني وفريد، عندما احتفظ يوشيكو «إنكا الشر» (القمر) بكل شيء لنفسه وسلبت الطيور الفحم من نيرانه وأحدثت عهداً جديداً من التواتر الدوري. والمهرجانات الرئيسية للشبيبو، طقوس تتضمن استهلاك كميات كبيرة من الجعة المختمرة، والبتر الطقوسي للبظر «الختان»، وتقديم قرابين من دماء الحيوانات.

### ٩ـ الديانة الطوبية:

تؤكد مجموعة الأساطير التقليدية لدى طوبا Toba في الأرجنتين وبوليفيا (شكل٣٨) على أن الجوائح الكونية تأتي عن طريق الماء أو النار أو الظلام أو سقوط الجليد. والكائنات فوق الطبيعية التي تصنف إلى كائنات برية وسماوية وأرضية ومائية كانت لديها إمكانية إيقاع الضرر وإمكانية النفع للبشر. وحيث إنها أثرت بدرجة كبيرة على الوجود البشري، فقد كان من المهم الاحتفاظ بعلاقة سليمة معها من خلال الاحتفال بثمار شجر الخروب الكبير ومن خلال القوى العلاجية للشامانيين SHAMANS، وكانت الأحلام والرؤيا وسائل مهمة للوصول إلى روح العالم. ومنذ بداية هذا القرن، اشتركت الطوبا في حركات العهد الألفي والحركات النبوئية وحركات التمرد ضد السلطة. وحركة عيد الخمسين التي يتشيع لها العديد من أهالي الطوبا أنها قد دعمت الاهتمامات الأسطورية بالكارثة العالمية وشيكة الحدوث والقوى الشفائية للاختصاصيين الدينيين.

وبالنسبة لأرويت Arawete في الشمال الشرقي من البرازيل (الذين قد جرى وصفهم بشكل أفضل من غيرهم من الشعوب الطوبانية المعاصرة) كان الآلهة يهجرون البشر عند بداية الزمن، عندما فصلت الجائحة (طوفان، زلزال، إلخ) المستويات المختلفة للكون. ويعرف الآلهة بصفة خاصة من خلال أغانيهم التي يغنيها الشامانيون الذين أتوا بالآلهة إلى الأرض في الطقوس الليلية. ويعتقد أرويت أن أرواح الموتى حديثا تلتهمها الآلهة وتتحول في النهاية إليهم؛ إنه مصير البشر أن يستهلكوا ويتحولوا بعد ذلك إلى آلهة.

### ١٠ـ ديانة يانومامي:

تشكل يانومامي Yanomami أربعة مجموعات لغوية فرعية، تسكن الغابات الجبلية الممطرة شمالي البرازيل وجنوب فنزويلا (شكل٣٨). وفي حين تتباين الروايات الأسطورية بدرجة كبيرة بين هذه الجماعات، فإن موضوعا مشتركا يوحي بأنه بعد دمار العالم الأصلي بسبب طوفان كوني نشأ البشر من دم القمر. وأرواح موتى يانومامي التي استهلكت عشيرتهم رماد عظامها تندمج ببحيرات الدم للقمر، حيث تهُب فيها حياة وروح جديدة، وتتجسد بعد ذلك من خلال سقوط الأمطار إلى وجود جديد على الأرض. وعلى ذلك يظهر المسخ البشري في التركيبات الكونية المعروف تاريخها الأسطوري. وتشكل عناصر روح متعددة نظام علاقات معقد يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمليات الكونية.

### ١١ـ ديانة كاندومبل:

كاندومبل Candomble: أقدم العبادات الأفروبرازيلية، ومن بين أعضائها عدد كبير من الإناث ومركزها باهيا. ونشأ الاسم من اسم أحد الطبول الثلاثة المستخدمة في الطقوس. وتصاحب الطبول الغناء والرقص والطقوس التي تؤدي إلى استحواذ الأسلاف للأتباع المقربين. وتوجد ماكيومبا وهي عبادة أفروبرازيلية أخرى في ريو دي جانيرو وتم تسميتها باسم المشاركين الأساسيين

الذين ربما أصبحوا مستحوذين. ويعد الاستحواذ عن طريق الأسلاف الهدف الأساسي للعبادة.

### ١٢ـ ديانة بوبيلو:

بوبيلو : Pueblo مجموعة كبيرة من الهنود الأمريكيين، وهم في الأساس مزارعون من عدة أسر لسانية ويعيشون في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية، ويقيمون في مساكن جماعية متميزة من الطوب اللبن. وتشمل السمات الدينية الرئيسية على أسطورة كونية من نوع النشوء، التي تقود فيها جدة عنكبوتية القوم البدائيين إلى سطح الأرض، وخلال عجائب عديدة إلى وطنهم الجديد. ويتطلب المحافظة على اقتصاد زراعي ضعيف تعاون متواصل بين القوى الخارقة للطبيعة (أب سماوي وأم أرضية وذرة أصلية) والبشر. ويصف التقويم الزراعي الديني أداء رقصات معينة، خصوصاً رقصات الذرة والثعبان، لضمان الخصوبة والخير الجماعي، ويصف جمعيات خفية تأخذ عادة أدواراً مهمة. وعادة ما يكون مفهوم «الآخرة» مفهوماً غامضاً؛ ويعتقد أن الروح تمكث فترة قصيرة في هذا العالم بعد الموت وتعود بعد ذلك من خلال مكان نشوئها إلى العالم السفلي.

## ثالثا ـ الحركات الدينية:

### ١ـ أمة الإسلام:

ظهرت أمة الإسلام Nation of Islam في الولايات المتحدة الأمريكية كتجمع للمسلمين السود. فتبرؤا من مسميات مثل «الزنجي» أو «الملون» أو «الأسود». وكان معبد العلوم البربري أكثر هذه الجماعات بروزاً، فقد أسسه في ولاية نيوجرسي النبيل درو علي Noble Drew Ali حوالي سنة ١٩١٣. وكان يمارس الامتناع عن الطعام والزهد بصفة عامة، والأهم من كل هذا رفضهم للمسيحية ذاتها، والعديد من الأفراد تحولوا إلى أمة الإسلام.

في ديترويت في سنة ١٩٣٣-١٩٣٤، أعلن رجل يدعى ولاس فرد Wal-lace Fard (١٨٧٧-١٩٣٤) أنه كان تجسيداً لله، و«الحاكم الأعلى للكون»، وقد مجد كل الأفريقيين والآسيويين ورفع شأنهم. وكان أول من جاء بعده كزعيم للدين هو إلياه بول Elijah Poole (١٨٩٧-١٩٧٥) الذي أصبح يعرف باسم إلياه محمد Elijah Muhammed. وفقد ولد في منطقة ريفية بجورجيا، وأصبح «نبي» الأمة في سنة ١٩٣٤. وطور إلياه محمد عقيدة الأمة، وأصدر صحيفة نصف شهرية، وكتب في المقالة الصادرة في ٢مايو ١٩٥٩: «المهدي، أو المخلص هو أسود، وقد سكن السود في الأصل في القمر. وكان أول قوم يسكنون الأرض من السود من أفراد قبيلة شاباز. والسود في الولايات المتحدة هم الشعب المختار، والبيض هم الغرباء عليهم من الناحية الجسدية والعقلية. ولا يعني النشور إلا أن الزمن قد جاء للرجل الأسود ليحصل على العدالة. وبعد الحساب الأخير سوف يرث السود الأرض ويسيطرون عليها. والأمة التي كانت انفصالية بقوة في البداية كانت تحتاج إلى أرض من أجل شعبها. وكان للأمة ولا يزال تاريخ عظيم». وعادة ما كان المتحولون للإسلام من طبقات المجتمع الدنيا وكانت النسبة الكبيرة في البداية من الكهنة. وكانت أهمية الديانة في أن الذين تحولوا إلى الإسلام وأنصارهم كانوا ينظرون إليها بأنها ستحقق انبعاثا. والسود الذي شعروا بالرفض من غالبية المجتمع وضعوا مسافة كبيرة بينهم وبين البيض. وقدمت الأمة اكتفاء ذاتيًا متكاملاً لأعضائها، مع إحساس بالأهمية التي نشأت من سرية الأمة، واحتفظ بالعدد الأقل من السجلات المكتوبة، وعندما أجريت المحاولات لإدخال الشيوعيين الأمة في سنة ١٩٣٢ من أجل تشويه سمعتها باءت هذه المحاولات بالفشل.

ولما كانت الكفاية الذاتية الاقتصادية تقع في صميم عمل الأمة من أجل خدمة ودعم أعضائها فبدأت تنتشر المعابد في كافة أنحاء الولايات المتحدة،

وأقيمت الفنادق والجمعيات التعاونية وكان إخفاقهم الوحيد في الزراعة. وتعلم الأولاد والبنات في مدارس منفصلة وكانوا يتعلمون منهجاً دراسيا محدوداً تماماً من تعاليم المسلمين السود. وفي كل مقالة من مقالات «محمد يتحدث Mu-hammad Speaks» كانت تتكرر معتقدات الأمة، وكان السود يطالبون بالحرية والعدل وتكافوء الفرص، وكانوا يرغبون في إقامة دولة مستقلة يستطيع المسلمون السود العيش فيها بسلام، وكانت الحقوق المتساوية مطلوبة على الفور. وإلى أن تصبح المساواة سارية في ظل القانون فلن تدفع ضرائب. وكان يجب أن يقدم تعليماً منفصلاً لكنه متساوي. وكانت الزيجات بين الأعراق المختلفة ممنوعة. وكان هناك دائماً قانون متشدد بتحريم أنواع من الطعام، وكان التبغ والكحول ممنوعاً. وكانت تؤدى الصلوات خمس مرات في اليوم، وكانت اجتماعات الهيكل إجبارية. وكان الشغل الشاغل للمتحول إلى الدين هداية المجرمين، وكان على العضو أن يعمل من أجل مصلحة المجتمع ويعتمد على نفسه.

واستمرت الأمة تزداد قوة على الرغم من أن عدد أعضائها ظل غير معروف. وطبّعت الأمة علاقتها مع الجماعات الدينية الأخرى، وتعاونت مع المسلمين التقليديين. وفي أواخر الستينيات توسعت الأمة كثيراً في مناطق الشتات واستمر أن يكون لها تأثيرا قويا في الأعضاء الراغبين في الدخول في السياسة بصورة شخصية. ولما كان الكثير من تاريخ الأمة وتنظيمها ظل في صورة تعاليم شفهية، فقد استطاعت الاحتفاظ بمستوى عال من السرية. وكان هناك انقسام وهرطقة، وكانت جماعة المسلمين في ترينداد هي المسئولة عن محاولة الانقلاب سنة ١٩٩٠، بينما نأت جماعات إسلامية أخرى من المسلمين السود بنفسها من هذا الإجراء العنيف.

### ٢ـ حركة الهنود الأمريكيين والإسكيمو:

أبقى هنود أمريكا الشمالية على الحركات الأقدم المتفاعلة على نحو مستمر

وأقيمت الفنادق والجمعيات التعاونية وكان إخفاقهم الوحيد في الزراعة. وتعلم الأولاد والبنات في مدارس منفصلة وكانوا يتعلمون منهجاً دراسيا محدوداً تماماً من تعاليم المسلمين السود. وفي كل مقالة من مقالات «محمد يتحدث Mu-hammad Speaks» كانت تتكرر معتقدات الأمة، وكان السود يطالبون بالحرية والعدل وتكافوء الفرص، وكانوا يرغبون في إقامة دولة مستقلة يستطيع المسلمون السود العيش فيها بسلام، وكانت الحقوق المتساوية مطلوبة على الفور. وإلى أن تصبح المساواة سارية في ظل القانون فلن تدفع ضرائب. وكان يجب أن يقدم تعليماً منفصلاً لكنه متساوي. وكانت الزيجات بين الأعراق المختلفة ممنوعة. وكان هناك دائماً قانون متشدد بتحريم أنواع من الطعام، وكان التبغ والكحول ممنوعاً. وكانت تؤدى الصلوات خمس مرات في اليوم، وكانت اجتماعات الهيكل إجبارية. وكان الشغل الشاغل للمتحول إلى الدين هداية المجرمين، وكان على العضو أن يعمل من أجل مصلحة المجتمع ويعتمد على نفسه.

واستمرت الأمة تزداد قوة على الرغم من أن عدد أعضائها ظل غير معروف. وطبّعت الأمة علاقتها مع الجماعات الدينية الأخرى، وتعاونت مع المسلمين التقليديين. وفي أواخر الستينيات توسعت الأمة كثيراً في مناطق الشتات واستمر أن يكون لها تأثيرا قويا في الأعضاء الراغبين في الدخول في السياسة بصورة شخصية. ولما كان الكثير من تاريخ الأمة وتنظيمها ظل في صورة تعاليم شفهية، فقد استطاعت الاحتفاظ بمستوى عال من السرية. وكان هناك انقسام وهرطقة، وكانت جماعة المسلمين في ترينداد هي المسئولة عن محاولة الانقلاب سنة ١٩٩٠، بينما نأت جماعات إسلامية أخرى من المسلمين السود بنفسها من هذا الإجراء العنيف.

### ٢ـ حركة الهنود الأمريكيين والإسكيمو:

أبقى هنود أمريكا الشمالية على الحركات الأقدم المتفاعلة على نحو مستمر

بين أي أقوام قبلية. وفي شمالي المكسيك احتفظت قبائل الياكوي Yaqui والمايو Mayo بكنائس مستقلة منذ اضطهاد الجيزويت[1] Jesuits في ستينيات القرن الثامن عشر، وقد تم نقلها إلى مستوطنات جديدة في أريزونا، كما أنجبت عددا من النبوئيين والحركات التي لم يكتب لها البقاء طويلا.

وبين قبائل الباش بمكسيكو الجديدة تأسس دين الأرض المقدسة Holy Ground Religion في سنة ١٩٢١، وأكد على الالتزام بالأخلاق وبوجود إله واحد يصبح جزءاً من يسوع المسيح في الميثولوجيا التقليدية وله مجموعة رموز وطقوس توفيقية.

وهناك الكثير من الكنائس الأرثوذكسية الهندية المستقلة، التي تتفرع عادة من إرساليات التبشير المسيحية؛ والبعض منها بين الهنود الحضريين غير أن معظمها يوجد في محميات كما هو الحال بين قبائل السيمينول Seminoles في فلوريدا، وقبائل Creek والقبائل الهندية الأخرى في أوكلاهوما، وفي أريزونا وخصوصاً بين جماعات قبائل النافاجو NAVAJOS والهوبي HOPIS. وخلال القرن الأخير، مرت الحركات الدينية بالولايات المتحدة من مرحلة المقاومة إلى مرحلة التعايش السلمي، على أشكال أكثر مسيحية، على الرغم من المنافسات الجارية مع الأديان القبلية في أوضاعها الأصلية.

وكانت الحركات الكندية والألاسكية أكثر محلية وسريعة الزوال، أو أنها تفرعت من الحركات الأكبر في الولايات المتحدة. وكان شكل الكنيسة المستقلة أقل شيوعاً، على الرغم من أن كنيسة ألبرت تريت Albert Tritt كتب لها البقاء

(١) الجزويت: فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وأسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وتعرف بالرهبنة اليسوعية أو رفقة يسوع، و هي رهبنة مسيحية كاثوليكية. أنشأها قسيس فرنسي يدعى أغناطيوس دي لايولا في عام ١٥٤٠. وهي تنتشر في ١١٢ دولة حول العالم وتعمل في مختلف حقول الرسالة، مثل: التربية والتعليم، العمل الفكري، النشاطات الثقافية، وعظ الرياضات الروحية، تعزيز العدالة الاجتماعية ورسالات أخرى متعددة.

بين قبائل الكوتشين Kutchin في ولاية ألاسكا منذ حوالي ١٩١٠ حتى ثلاثينيات القرن العشرين. ومنذ سنة ١٩٧٠، اجتمع المؤتمر المسكوني لكل الهنود في ولاية مونتانا، وفي محمية ستوني Stoney Reserve في منطقة ألبرتا بغرب كندا، وقام بتوحيد الزعماء التقليديين سعياً نحو تجديد ديني وثقافي لكل الهنود.

### ٣ـ حركة الكنائس السوداء في أمريكا:

تنتمي الغالبية العظمى من الأمريكيين الأفارقة الذي يعدون أعضاء في الكنائس إلى طوائف المعمدانيين السود. ويحصي الكتاب السنوي للكنائس الكندية والأمريكية الجماعات المعمدانية الأكبر على التوالي: مؤتمر المعمدان القومي المتضمن الولايات المتحدة، والمؤتمر المعمداني القومي بأمريكا، والمؤتمر المعمداني التبشيري القومي بأمريكا الشمالية وعدد أعضاؤها كالتالي: ٨ مليون و٣,٥ مليون و ٢,٥ مليون عضوا على التوالي. ويصل أعضاء الكنيسة الأسقفية المنهجية الأفريقية ٣,٥ مليون عضواً، وكنيسة القدس الأسقفية الميثودية الأفريقية ١,٢ مليون عضواً؛ ويبلغ عدد أعضاء كنسية الرب (الحصادية) ٥,٥ مليون عضو.

وكانت النظريات المتعلقة بسبب جعل العديد من الأفارقة معمدانيين ويثوديين مثار خلاف كبير. واقترح بعض علماء الدين أن استخدام الأساليب الإحيائية وطقوس الغطاس التي يمارسها المعمدانيون وشرعية أشكال التعصب الديني للعبادة، وعدم التكليف بالرسميات وفرص المشاركة العلمانية في كليهما قد أعطت قدرا من التوافق الحسن مع تذكر الممارسات التي أتى بها العبيد معهم من جذورهم الدينية الأفريقية.

وسواء فرضوا الدين على العبيد وجعلوا التعليم والممارسة المسيحية اختيارية أو تركوا العبيد على حالهم لإيجاد طريقهم لكي يبحثوا عن نماذج من البيئة، فقد كان من الطبيعي أنهم يتحولون إلى الأشكال المعمدانية والميثودية. وكان الرق

معوقاً وحافزاً لتطور حياة الكنيسة، ليس فقط لأنه كان وسيلة للتحكم، ولكن لأن العبيد وجدوا المعنى والكرامة والأمل من خلال رسالة الكنيسة وممارستها.

وتشكلت الكنائس السوداء في أواخر القرن الثامن عشر، وأعطت الحركة المنهجية وطناً ملائماً للسود الأحرار، وكانت الكنائس السوداء أكثر الأشياء تميزاً لكل من العبيد والثقافات الأمريكية الأفريقية المنفصلة. وقد طالبوا وأحدثوا الكثير من زعامات المجتمع، وأعطت تنظيماتهم بنية لحياة السود بينما استبعدهم المجتمع الرسمي الأبيض. وعندما أجبرتهم الجماعات المعمدانية والميثودية البيضاء على الانفصال بعد الحرب الأهلية (١٨٦٢-١٨٦٥)، بعد ذلك اختاروها وحموا كنائسهم على أنها مناطق إبداع. وشارك معظمهم في حركة الحقوق المدنية عندما بدأت في الظهور بعد عام ١٩٥٤. وشاركت بعض الطوائف في الحركة المسكونية وتعاونوا مع البروتستانتيين الآخرين.

وقد عانت الكنائس الأفريقية الأمريكية بسبب الرق والانفصال والفقر الريفي والحضري ورغبة أمريكا رؤية «طبقة تحتانية دائمة» عادة ما تأخذ شكل السود بصورة غالبة. وفي وسط إفساد أحياء اليهود والأخلاق العالة لحياة الطبقة الوسطى، اجتذبت الكنيسة ملايين الأعضاء من خلال رؤيتها عن الحرية والكرامة والأمل وأنتجت العديد من الزعماء الدينيين في أمريكا، وأكثرهم شهرة مارتن لوثر كنج[1] (شكل٣٩) في حركة الحقوق المدنية.

---

(١) مارتن لوثر كنج King، Martin Luther، (١٩٢٩-١٩٦٨م): قس بروتستاني أمريكي أسود. كان خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين الزعيم الرئيسي لحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٦٤م حصل على جائزة نوبل للسلام لقيادته مظاهرات سلمية مطالبة بالحقوق المدنية. حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت من جامعة بوسطن عام ١٩٥٥م. أحرزت حركته نصرًا كبيرًا عندما أجاز المجلس التشريعي في الولايات المتحدة مشروع قانون الحقوق المدنية الذي سبق أن أوصى به كنيدي وخلفه الرئيس جونسون. قام رجل أبيض منحرف يدعى جيمس إيرل ريي بإطلاق النار عليه فأرداه قتيلاً في مدينة ممفيس بولاية تنيسي.

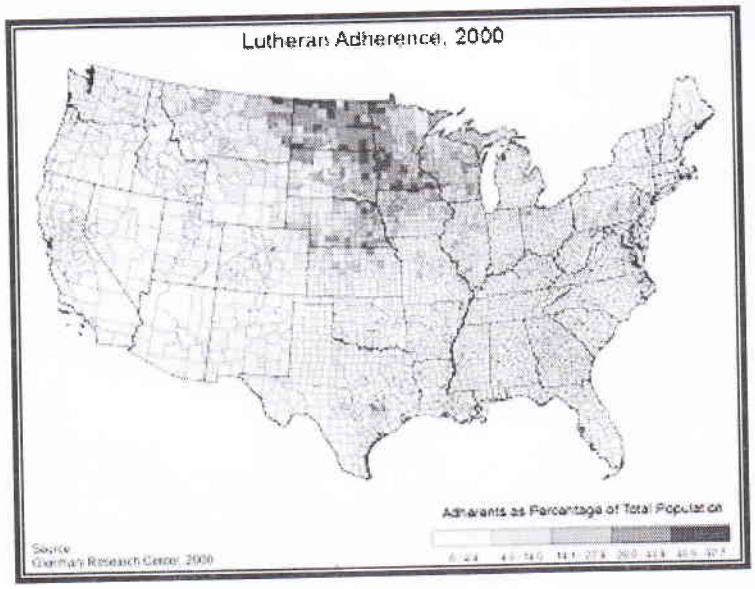


(شكل ٣٩) كثافة التجمعات اللوثرية في الولايات المتحدة سنة ٢٠٠٠

# الفصل الثامن

# الأديان في أوربا وأستراليا

# الفصل الثامن

# الأديان في أوربا وأستراليا

تتميز الأديان في كل من أوربا وأستراليا بقلة عددها وعدم التنوع، ومشابهتها للديانات الكبرى في القارات الأخرى، وأبرز تلك الديانات ما يلي:

## أولا - الأديان في أوربا:

### ١ـ الإسلام

انتشر الإسلام في أجزاء معينة من أوروبا، على طول ساحل البحر المتوسط، بيد أن الغالبية العظمى من المسلمين الذين يقيمون حالياً في أوربا قد ظهروا خلال ثلاث مراحل تاريخية.

خلال القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، إذ أصبح المنغوليون الأتراك من أتباع جنكيز خان الذين تمركزوا في حوض الفولجا من المسلمين. وعندما تراجع الحكم المغولي أمام التوسع الروسي خلال القرن الخامس عشر ظل العديد من التتر المنحدرين من الأتراك المنغول المسلمين في مواقع الاستطيان، وخصوصاً في حوض الفولجا ومنطقة القرم. وكان تاريخهم المتعاقب مزيجاً من التسامح والاضطهاد. ومع بلوغ الإمبراطورية الروسية الذروة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هاجر العديد من التتار كتجار وأصحاب حرف، وظهرت مستوطنات تترية كبرى في المنطقة التي تشملها حالياً غربي أوكرانيا وشرقي بولندا. واستقرت مجتمعات أخرى في المدن الرئيسية التي اشتملت على سان بطرسبرج - حيث أقيم مسجد على طراز مساجد آسيا الوسطى مع نهاية القرن التاسع عشر - وموسكو وهلسنكي. وفي ظل الحكم السوفيتي تم قمع جميع

أشكال الإسلام المعروفة، وكان التتار ضحايا خاصة لسياسات ستالين القائمة على القمع العرقي وترحيل الأجانب غير المرغوب فيهم. ولم يتأسس تنظيم إسلامي رسمي إلا بصورة تدريجية في الاتحاد السوفيتي الذي سعى من خلال الدولة إلى التحكم في مقاليد الأمور. وكان من المجالس الدينية الرسمية الأربعة مجلس متمركز في أوفا في جمهورية بشكير المتمتعة بالحكم الذاتي يعمل بين التتار من أجل إنشاء مجتمع سني حنفي في الأساس.

وخلال القرون (من الرابع عشر إلى السادس عشر) انتشرت الإمبراطورية العثمانية من قواعدها شرق الأناضول إلى شرق القوقاز وغرباً إلى جنوب شرقي أوربا، واحتفظت بحكمها ونفوذها في تلك المناطق لقرون عديدة. ونتيجة لذلك وطد السكان المسلمون أنفسهم في العديد من المناطق المقهورة، إما من خلال الاستيطان أو عن طريق الدخول في الإسلام. ويقدر أن تعداد المسلمين في الجزء الأوربي من الاتحاد السوفيتي السابق في نهاية الثمانينيات بحوالي ١٥ مليون مسلم. وفي عام ٢٠١٠ بلغ عددهم حوالي ٢٥ مليون مسلم. (شكل٤٠)

وفي جنوب شرق أوربا نتج عن تأثير الحكم العثماني توطيد عدد كبير من السكان المسلمين. وأدت الهجرة الداخلية إلى إيجاد مجتمعات تركية مسلمة في أجزاء من تراقيا ومناطق أخرى. وكان اعتناق الإسلام والاستيطان يعني إيجاد مجتمعات إسلامية كبرى، وفي الدرجة الأولى منها المسلمون الألبان والسلاف من البوسنة والهرسك وأجزاء من تراقيا والمناطق السفلى من الدانوب. وتتركز المجتمعات المسلمة حالياً في الأجزاء الجنوبية من يوغوسلافيا السابقة، وفي مقدونيا وأجزاء من الإقليم اليوناني لغربي تراقيا ومجموعة كبيرة يصل تعدادها نصف مليون نسمة في جبال رودوب الشرقية لبلغاريا. ويشكل الألبان أجزاء كبيرة من سكان مقدونيا وإقليم كوسوفو، الذي كان فيما مضى جنوبي يوغوسلافيا وكذلك ألبانيا الأصلية. وتتركز مجتمعات السلاف المسلمة في

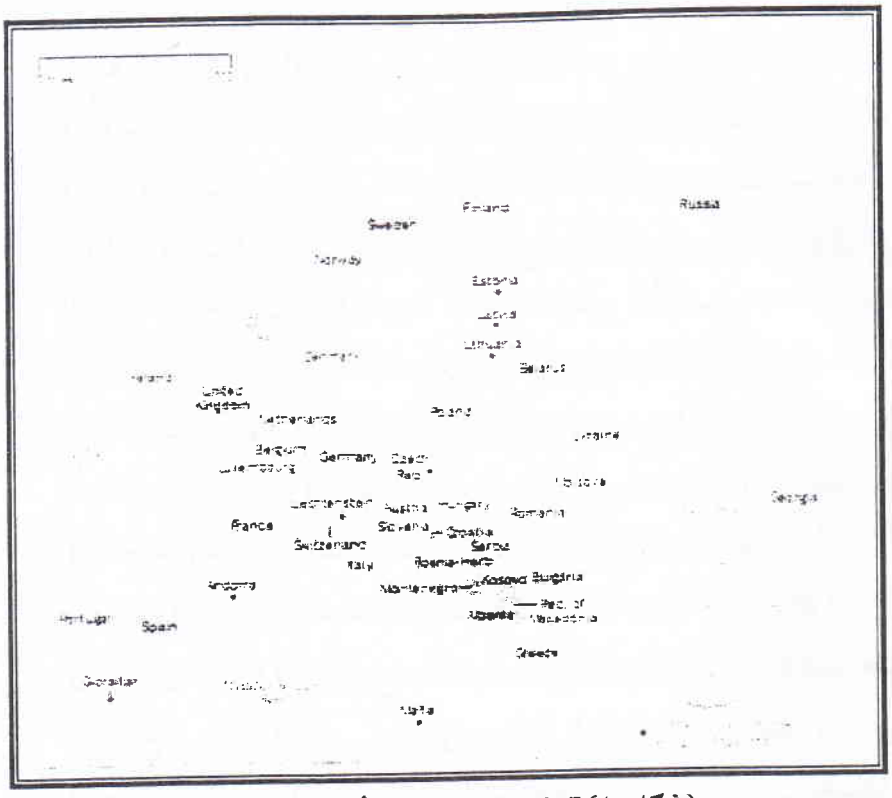


(شكل٤٠) توزيع المسلمين في أوربا عام ٢٠٠٩

البوسنة والهرسك، حيث حصلوا على وضع شرعي كقومية مسلمة متميزة في سنة ١٩٦٨، وفي جبال رودوب وحوض الدانوب الشرقي في بلغاريا. وفي أواخر الثمانينيات كان يصل عدد المسلمين في كل يوغوسلافيا السابقة حوالي أربعة ملايين نسمة، وفي بلغاريا مليون نسمة وفي ألبانيا حوالي مليونين ونصف، وفي اليونان حوالي مائة وخمسين ألفاً. وقد أدى انهيار النظم الشيوعية في كافة أرجاء أوربا الشرقية إلى إعادة إثارة أسئلة حول العلاقة بين الدين والعرقية والقومية بوسائل أسهمت في قلقلة الاستقرار لأنماط الدولة التي توطدت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية. وبشكل واضح في يوغوسلافيا السابقة والقوقاز وأجزاء من الاتحاد الفيدرالي الروسي، أصبح وضع المسلمين في الدول القومية كأغلبية أو أقلية سبباً لبعض التوتر.

وظهر الوجود الإسلامي في غربي أوربا من جذور تاريخية مختلفة تماماً، في الأساس من الهجرة إلى مراكز المدن الكبرى في النظم الاستعمارية الأوربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وقد حدثت هجرات كبيرة مبكراً إلى بريطانيا وفرنسا منذ منتصف القرن التاسع عشر. استقر المسلمون في الولايات الألمانية من جنوب شرق أوربا. وحدث التغير الأساسي عند جلب العمالة الصناعية في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. ومع نهاية الثمانينيات من القرن العشرين بلغ تعداد المسلمين في فرنسا أكثر من ٣ ملايين نسمة، وفي ألمانيا ١,٧ مليون نسمة، وفي بريطانيا ما يزيد عل المليون نسمة. وكان عدد المسلمين في بلجيكا وهولندا وإيطاليا يصل في كل منها من ثلاثمائة ألف إلى أربعمائة ألف نسمة، وفي كل من النمسا وسويسرا والسويد وأسبانيا ما بين مائة ألف إلى مائة وخمسين ألفاً، وفي النرويج والدنمرك والبرتغال عشرات الآلاف، حيث بلغ مجموع المسلمين في غربي أوربا من سبعة إلى ثمانية ملايين نسمة. وكان لظروف الهجرة أن تركز المسلمون في المراكز الصناعية. وقد كانت البيئات المختلفة في دول غرب أوربا متنوعة، مما يعني أن المسلمين يعيشون في ظروف متفاوتة، ليس على أساس وضعهم المدني والسياسي فقط ولكن أيضاً على أساس وضعهم الديني. وقد كان الإسلام في النمسا في ظل قانون لسنة ١٩١٢ وفي بلجيكا في ظل قانون سنة ١٩٧٤ له منزلة رسمية على قدم المساواة مع الكنائس الرسمية، بينما كانت الفوائد الحاصلة نتيجة لذلك مختلفة في الدولتين. ومعظم المميزات الممنوحة للمنظمات في ألمانيا متاحة أيضاً للمسلمين على الرغم من أن الغالبية العظمى لا تزال من المواطنين الأتراك، غير أن مطالب المسلمين لوضع مساو للوضع الممنوح للكنائس المعترف بها قد قوبل بالرفض. وفي معظم الدول كان إنشاء المساجد وأماكن إقامة الصلوات بسيطاً نسبياً، وقد وصل عددها في الدول الرئيسية الثلاثة ألف مسجد أو يزيد. وما يزال يسوى بين المنظمات الإسلامية وبين منظمات

دول المنشأ، التي كان أغلبها من المنظمات السنية وغالبا ما كانت ذات طابع ديني سياسي. بيد أنه يوجد أيضاً نشاط متنام بين المسلمين الشبان الذين ولدوا وتربوا في أوربا. وهذا يعبر عنه نفسه في أعداد متزايدة من الاتحادات الشبابية وكذلك في ارتباط الشباب بالمنظمات القائمة. وبحدوث هذا، فإن الأولويات وبرامج المنظمات الإسلامية تبدأ في التركيز أكثر على الموضوعات المتعلقة ببلد المستقر وموضوعات إسلامية أشمل، فضلاً عن المسائل المتعلقة ببلد المنشأ.

٢ـ المسيحية:

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وأثناء العصور الوسطى أصبحت المسيحية هي الديانة الأوربية بصورة غالبة. وأدى انشقاق حركة الإصلاح في الكنيسة الغربية إلى سيطرة البروتستانتية على شمالي أوربا وسيطرة الكاثوليكية الرومانية على جنوب أوربا، في حين كانت تهيمن على الشرق الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. وقد نشأت علاقات قوية مع الدولة. وأبرزت الصراعات الأوربية والإمبراطوريات (الأسبانية والفرنسية والبريطانية) ظهور أنواع المسيحية إلى بقية العالم. ولا يزال اللاهوت المسيحي والعبادة وتنظيم الكنيسة يميزان بصورة قوية المرحلة الأوربية من تاريخ العالم. وقد امتدت المسيحية المتأثرة بالتوجهات الأوربية وتكيفت في الولايات المتحدة ومن ثم في بقية أنحاء العالم. وفي أوربا منذ القرن التاسع عشر مالت الكنائس بصورة متزايدة على فقد التأثير العام إلى الدولة، وعانت كذلك من خسائر كبيرة في عضويتها النشطة. ومع ذلك ففي شرق أوربا تحت النظام الشيوعي كانت الكنائس في بعض الحالات (وخصوصاً بولندة) بؤراً للشعور الوطني ومقاومة ضغوط الدولة. ولكن تغير الموقف مرة أخرى مع انهيار النظام الشيوعي في أواخر تسعينيات القرن العشرين.

وخلال حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ظهرت كنائس رسمية مستقلة مثل كنيسة إنجلترا وكنيسة اسكتلندا. وقد نُزع الاعتراف من

الكنيسة الإنجيليكانية في أيرلندا بسبب هيمنة الكاثوليك التابعين لكنيسة روما (١٨٦٩) وويلز المنشقة بقوة (١٩٢٠). ومع ذلك، فقد أفسح التسامح الديني المجال لمجموعات كبيرة من المنشقين وكثير من رجال الكنيسة الأحرار بأن يطوروا. وقد لعبت هذه الكنائس دوراً مهماً في الحياة الإنجليزية. وتزايدت الكاثوليكية الرومانية كثيراً مع القرن التاسع عشر وعلى وجه الخصوص خلال الهجرات الأيرلندية. ومنذ سنة ١٩٤٥ تطورت الساحة الدينية الإنجليزية في صورة تعدد الإيمان وتعدد الثقافة وخصوصاً من خلال الهجرة من شبه القارة الهندية. وقد تزايدت أيضاً الأنماط العرقية للمسيحية من خلال الهجرة من جزر الهند الغربية وقارة أوروبا (شكل ٤١).

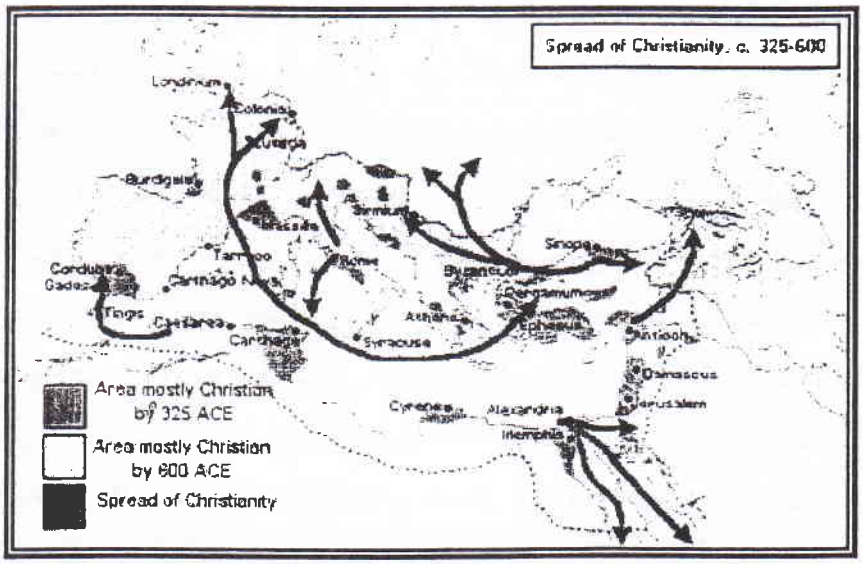


(شكل ٤١) المراحل التاريخية لانتشار المسيحية في أوربا

## ثانيا ـ الأديان في أستراليا:

### ١ـ المسيحية:

تعود المسيحية في أستراليا إلى وجود الكنائس البريطانية، التي تكيفت مع التجربة الاستعمارية. ويبدو أن بعض الإنجليكان كانوا يحملون معهم أفكار

تأسيس الكنائس لكنهم أخفقوا أمام منافسة الكنائس الأخرى، وقد تراجع المال العام الذي كان متوافراً بكثرة لبناء الكنائس والمدارس في سبعينيات القرن التاسع عشر أمام الاكتفاء الذاتي. وحصلت الكنائس على استقلالها عن أوروبا في أزمنة مختلفة عن الإنجليكانية في زمن متأخر في أواخر ١٩٦٢، وقد كانت الكاثوليكية الرومانية في الأصل أيرلندية بصورة قوية، حيث تأثرت الطبقة العاملة بالشعور المضاد للإنجليز وانخرطت في تأسيس حزب العمل الأسترالي. وكان للعلاقة الأيرلندية أيضاً نفوذ على التفاني الشديد لمنصب البابا كرجل مريض في أيدي غير الكاثوليك، ويلاحظ حالياً أن الفروق الاجتماعية بين الكنائس قد انخفضت بدرجة كبيرة، وكان التطور الحديث الملحوظ هو إدخال عدد كبيرة من الأنماط العرقية المسيحية الذي ارتبط مع الأعداد المتزايدة من السكان المهاجرين. ويظهر العمل التبشيري بشكل واضح في بابوا وغينيا الجديدة، وقد أصبح البولينيزيون الأصليون في النهاية مسيحيين بشكل رسمي غير أن البعض منهم انضم إلى نحل تؤمن بالقوى الساحرة للجماهير.

وتعد كنيسة الأخوة المسيحية Christian Fellowship Church أكبر الكنائس المستقلة في ميلانيزيا، التي أسسها سنة ١٩٥٩، في نيو جورجيا بجزر سلمون (سليمان) سيلاس إيتو Silas Eto (المولود سنة ١٩٠٥)، الذي مر بسلسلة تجارب رؤية، وأصبح رائد التبشير، وطور كنيسة جيدة التنظيم مع عبادة مرتبطة بالعلاج وأنشطة اقتصادية ناجحة، وأنشأ قرية مقدسة، وفي سبعينيات القرن العشرين أعيد تأسيس العلاقات مع الميثودية[1] والكنائس الأخرى.

ويمثل الكنيسة الميثودية اليوم عدد من الطوائف والمنظمات الدولية. وتجتمع الكنائس الميثودية اليوم (والتي يقدر عددها بالأربعين) بما يعرف بالرابطة

(١) الميثودية: طائفة مسيحية بروتستانتية ظهرت في القرن الثامن عشر في المملكة المتحدة على يد جون ويسلي. كانت موجهة بشكل أساسي للعمال والفلاحين والعبيد، واعتمدت فيما يتعلق بمسألة الخلاص على اللاهوت الأرميني القائل بإمكانية خلاص كل إنسان.

الميثودية العالمية، ويبلغ عدد أفرادها ما يقارب ٧٠ مليونا في مختلف أنحاء العالم (جدول٤).

(جدول٤) توزيع أتباع الكنائس الميثودية على مستوى القارات عام ٢٠١٠

| القارة | الميثودية البروتستانتية | الميثودية الأخرى |
|---|---|---|
| أفريقيا | ١,٧٠٠,٠٠٠ | ١٤,٦٠٠,٠٠٠ |
| آسيا | ٧٨,٠٠٠ | ١٨،٢٣٢،٠٠٠ |
| أوروبا | ١١٦,٠٠٠ | ١,٦٠٠,٠٠٠ |
| أمريكا الشمالية | ٨,٣٠٠,٠٠٠ | ٢٩,١٠٠,٠٠٠ |
| أمريكا الوسطى | - | ١,١٠٠,٠٠٠ |
| أمريكا الجنوبية | - | ٢,٧٠٠,٠٠٠ |
| جزر المحيط الهادي | - | ٢,٩٠٠,٠٠٠ |
| المجموع | ١٠,٢٠٠,٠٠٠ | ٧٠,٢٠٠,٠٠٠ |

**٢- الطوطم:**

توجد لدى سكان أستراليا الأصليين واحدة من أقدم الديانات الباقية في العالم، على الرغم من أن الإغارات المسيحية والغربية في الأزمنة الحديثة كانت مخربة بدرجة كبيرة. وتجعل الاختلافات القبلية عبر القارة المترامية الأطراف أمراً صعباً، غير أن أراندا، الذين يعيشون في وسط أستراليا لهم نظام نموذجي يقوم على طوطمية الأسلاف والمخلوقات الخارقة للطبيعة المولودة من الأبدية، الذين جعلوا الأرض البكر الجرداء مكاناً صالحاً للسكن تملؤه حيواناتهم المقدسة والنباتات والظواهر الطبيعية المختلفة. ويعد كل كائن بشري تجسيداً لأحد الأسلاف. ويتلقى الشخص طوطمه من سلفه الخاص (سواء كان هذا الطوطم حيوانيا أو نباتياً او جرما سماوياً كالشمس).

وللنساء طقوسهن وتقاليدهن السرية، ولكن الأقارب من الذكور يقومون بالطقوس الطوطمية نيابة عنهم. وتجرى طقوس للأولاد فوق سن البلوغ عند

ابتلائهم بمحن بدنية كالختان وخلع الأسنان. وكل شخص يعد قسيس نفسه، بينما يكون للعراف قدسية وخصوصاً في الشفاء والشعوذة، وتأتي قوته من تجارب رؤى الأسلاف الطوطميين وغرسهم لبلورات الكوارتز في جسده، ولكل شخص روحان: الأولى بشرية تنتقل مع الآباء الطبيعيين، والثانية خالدة وأبدية وتعود إلى الطوطم السلفي عند الموت. وعلى الرغم من أن وجود الكائنات السماوية والأب السماوي معروف على نطاق واسع فإنهم لا يسيطرون على الجنس البشري، ويعد الأسلاف الطوطميون الأرضيون والمجموعة الاجتماعية هم القوة الفعالة المؤثرة في الكائن البشري.

### ٣- الميلانيزية:

تضم جزر ميلانيزيا: إريان جايا وبابوا وغينيا الجديدة وجزر سولمون (سليمان) وفانوتو (نيو هيبريد سابقا) ونيو كالدونيا (شكل٤٢). وعلى الرغم من التنوع الإقليمي الكبير فإنه توجد تشابهات دينية عامة. وبصفة عامة فالأكثر أهمية في العبادة: أسلاف القبائل (تومبونا TUMBUNA) وأرواح الأرض (ماسالي MASALAI) التي تسكن جداول الأنهار أو الأشجار أو الحيوانات التي تنظم القوة الروحية (مانا MANA) داخل منطقة القبائل. ومن خلال الأحلام يعيش الأحياء على اتصال بآلهتهم وأسلافهم الذين يشكلون معهم مجتمعاً متواصلا. وقد توطدت العلاقات الصحيحة، والإبقاء على الحياة والرخاء من خلال الطقوس. ويعد ختان الذكور من الطقوس المهمة. وتضمن طقوس الميلاد والزواج والجنازة أيضاً السلام والأمن. وتُعرف الطيور والسحالي والثعابين والحيتان وبعض النباتات بأنها طواطم، وتعمل على توحيد جماعات العشائر بموطنها الطبيعي. وهناك الأساليب السرية للشفاء والسحر والشعوذة التي تستخدم استخداماً نافعاً أو ضاراً. ويعتقد أن القوى الروحية تظهر نفسها في المناسبات الطقوسية وفي الأقنعة المقدسة والطبول والفنون الأخرى. وبعد

النفوذ الكبير للإرسالية التبشيرية خلال القرن العشرين تضاءلت المعتقدات والممارسات التقليدية بدرجة كبيرة. ومع ذلك فإنها لا تزال تكمن في الكثير من المسيحية الميلانيزية وتظهر من وقت لآخر في الحركات النبوئية.

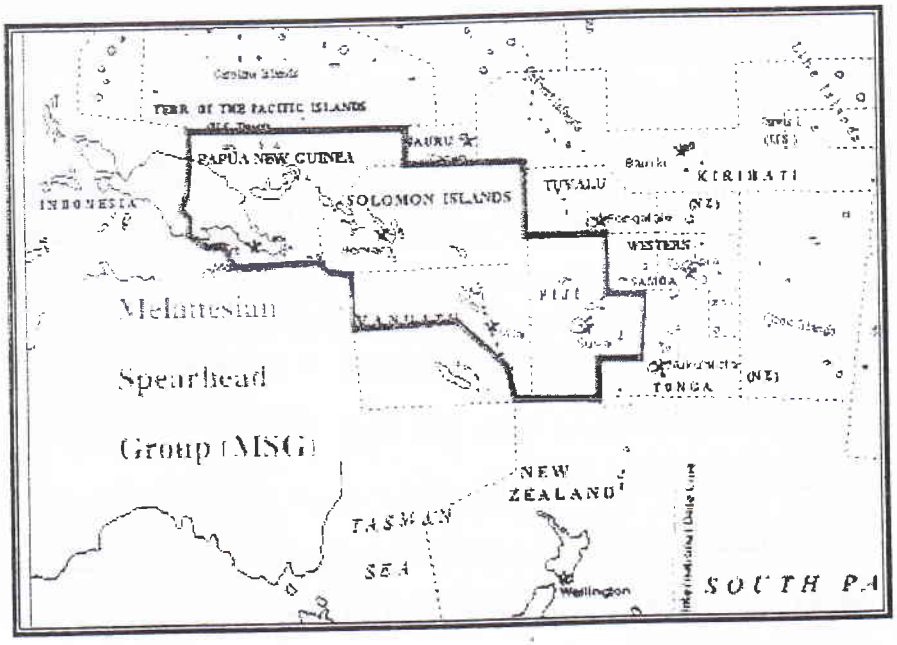


(شكل٤٢) جزر ميلانيزيا في جنوب المحيط الهادي

## ٤- أديان الباسيفيكي:

تعد أديان الباسيفيكي: أديان قديمة لأستراليا والجزر الواقعة إلى الشرق والشمال الشرقي منها (أوقيانوسيا) وجزر جنوب شرق آسيا (شكل٤٣). فعلى مدى ما يزيد على ٣٠٠٠٠ سنة مضت جاء أسلاف الملانيزيين الحاليين (الأستراليون الأصليون) عن طريق الهجرة التدريجية من جنوب آسيا عبر شبه جزيرة الملايو وإندونيسيا إلى جيانا الجديدة وأستراليا. وانتقلت الشعوب المنغولية من جنوبي الصين بعد ذلك جهة الجنوب، وحلوا بدرجة كبيرة محل الأستراليين في أراضي جنوب شرق آسيا وإندونيسيا. وبعد ذلك حدثت هجرات

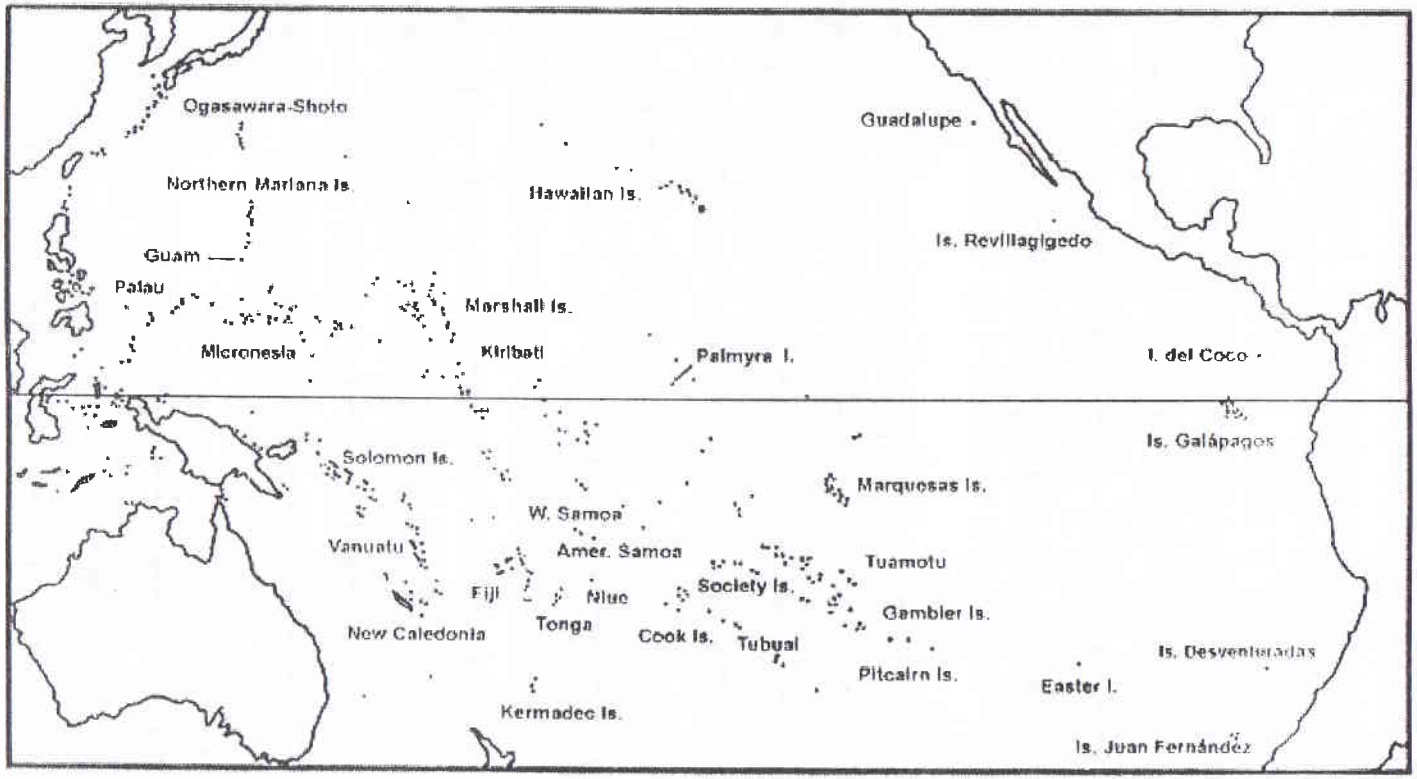


(شكل٤٣) جزر الباسيفيكي فيجي في جنوب المحيط الهادي

عن طريق البحر للشعوب المنغولية من سواحل جنوب الصين. وبانتقالهم عبر الفلبين والالتفاف حول ملانيزيا استقروا في جزر التونجان والساموان حوالي سنة ١٥٠٠ق.م. ومن هناك انطلقت رحلات أخرى للخارج نحو جزر سوسيتي وماركيز وهاواي ونيوزيلندة، وانتشرت في كل مكان لغة مشتركة وثقافة ودين مشتركين في جميع أنحاء بولينيزيا.

في زمن مبكر من تاريخهم المشترك تأثر الحكام الإندونيسيون بالتجارة والحضارة الهندية والصينية، وتبنوا الهندوسية والبوذية. وباستيعاب الكثير من الدين المحلي، ازدهرت هذه الأديان في الإمبراطوريات العظيمة في القرون الوسطى لجاوا وسومطرة. ومنذ القرن الثالث عشر انتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، مرة أخرى بدون أن يقضي على الأديان المحلية القديمة. وبدأ دخول المسيحية في الباسيفيكي مع قدوم الأوربيين الذين وصلوا في القرن السادس عشر بالبحر الجنوبي (الذي أسماه ماجلان الباسيفيكي في سنة ١٥٢٠)؛ وصاحب إنشاء المستعمرات في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نشاط تبشيري مكثف. فقد انتشرت البروتستانتية والمذهب الكاثوليكي الروماني والكنائس الطائفية المسيحية. ومثل الأديان الهندية والإسلام في إندونيسيا، فقد عدلت المسيحية نفسها في الباسيفيكي حيث سعى المتنصرون المحليون إلى عقيدة خاصة بهم.

وتعد هاوايكيHawaiki الموطن الأسطوري لشعوب الجزير الباسيفيكية. وعلى الرغم من هاواي الحديثة، سميت باسمها فإنها ليست هاوايكي القديمة. ومن المحتمل أن نقطة التشتت للمهاجرين القديمة هي سافاي (أي هاوايكي) في ساموا. غير أنه في معظم سلسلة أنساب الجزيرة تمثل هاوايكي ببساطة مكان ميلاد الإله البعيد (أتوا).

### ٥ـ الدين الفيجي:

لجزر فيجي (شكل٤٤) سكان مختلطون من المهاجرين الهنود، وهم أساسا من الهندوس والمسلمين والمسيحيين. والفيجيون الأصليون أساساً مسيحيون. ويقال إن الفيجيين ودينهم يظهران مزيجاً من السمات الميلانيزية والبلولينيزية، حيث تقع فيجي على خط تقسيم بين المنطقتين ولها علاقات تجارية مع تونجا. والإله الأعظم عندهم هو ندينجي، الذي عاش في كهف عند الطرف الشمال الشرقي من جزيرة فيتيلفيو. وبعض الكهنة تستحوذهم آلهة آخرون. وكان يمارس أحيانا أكل لحوم البشر الطقوسي ضد الأعداء.

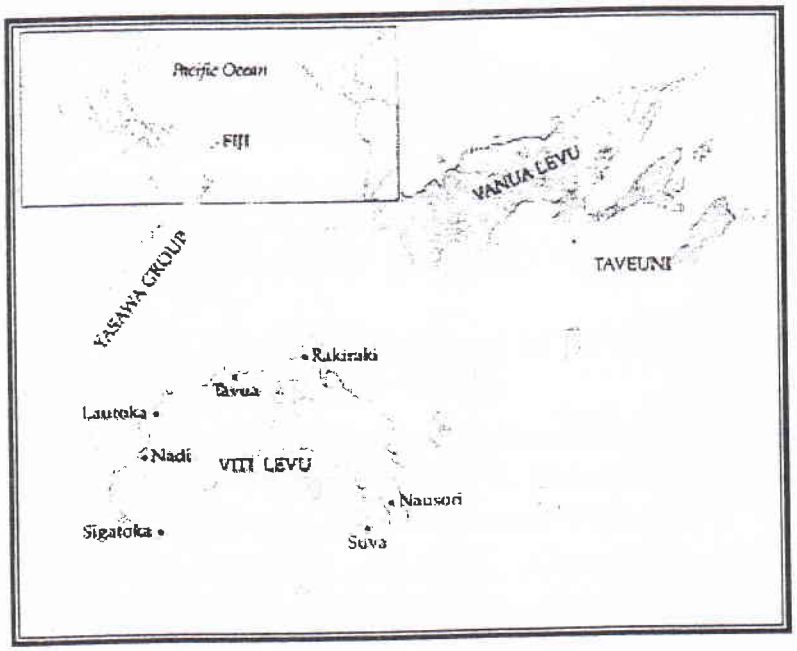


(شكل٤٤) جزر فيجي في جنوب المحيط الهادي

## المراجع


- أبكار السقاف: الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
- أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
- أديب صعب: الأديان الحية.. نشوؤها وتطورها، ط٣، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٥.
- أسعد السحمراني: من قاموس الأديان (الهندوسية-البوذية-السيخية)، ط١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨
- الحوراني (عثمان بن أحمد، ت ١٠٠٠ هـ): الإشارات إلى أماكن الزيارات، مخطوط، مكتبة جامعة الملك سعود، برقم ٥٩٩٠ ف ١٧٣٧/٧، التصنيف: تاريخ سوريا
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٢، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- جمال حمدان: العالم الإسلامي المعاصر، كتاب الهلال، العدد ٥١٢، القاهرة، أغسطس، ١٩٩٣.
- حسين عبد القادر: فرنسا والأديان السماوية، ط١، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨.
- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ.

- دافيد سوفير: جغرافية الأديان، ترجمة: أحمد غسان سابو، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط١، دمشق-بيروت، ١٩٩٠ .

- سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٨٣م.

- عبد العزيز كامل: الجغرافيا والدين، سلسلة رسائل جغرافية، رقم ١٤٠، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، يناير ١٩٩٢.

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الأخطار الاقتصادية لظاهرة التكفير «السياحة وجماعات التكفير في مصر نموذجا»، مؤتمر «ظاهرة التكفير.. الأسباب، الآثار، العلاج»، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، شوال ١٤٣٢هـ/ سبتمبر ٢٠١١.

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم: مراقد آل البيت في مدينة القاهرة .. دراسة جغرافية، مؤتمر «السياحة العربية في عالم متغير»، قسم الجغرافيا، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، يوليو ٢٠١٠.

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الهجرة من مكة إلى الحبشة فى صدر الإسلام .. دراسة تحليلية فى الجغرافيا الحضارية، المؤتمر السادس لمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط، [العرب وأفريقيا: فضاء استراتيجي مشترك]، أسيوط، إبريل ٢٠٠٧.

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم، الشيعة.. كفرٌ أم إيمانٌ؟، مكتبة الإسراء، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم. ضوابط العمل السياسي في الإسلام. دار الكنوز. الإسكندرية. ٢٠١٢

- عبد الكريم زيدان: موجز الأديان في القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة.

بيروت، ١٩٩٨.

- عيسى على إبراهيم ومحمد الفتحي بكير: الكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٤

- فاروق الدملوجي: تاريخ الأديان. الإلوهية وتاريخ الآلهة، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢

- فايز العيسوي: الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨

- فتحي محمد أبو عيانة ومحمد الفتحي بكير: جغرافية الأمريكتين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢

- فتحي محمد أبو عيانة: الجغرافيا السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥

- محسن المظفر: جغرافية المعتقدات والديانات، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٩م.

- محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

- محمد الفتحي بكير: الجغرافيا التاريخية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١

- محمد حسن نصار الزويني: واقع وآفاق السياحة الدينية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة كربلاء، ٢٠٠٥

- محمد صادق محمد الكرباسي: دائرة المعارف الحسينية، الطبعة الأولى المركز الحسيني للدراسات، لندن، المملكة المتحدة، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م

- محمد عبد الله دراز: الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٢.

- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق / عبد الصبور شاهين، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العالمية، الكويت، ١٤٠٢ هـ.

- محمد علي بهجت الفاضلي: اتجاهات الجغرافيا البشرية الحديثة في إسرائيل « ( مقال معرب ) منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٢ .

- محمد علي بهجت الفاضلي: أثر العوامل الجغرافية في انتشار العروبة والإسلام عند حزين ودوبلانول- ندوة المرحوم الأستاذ الدكتور سليمان حزين- كلية الآداب جامعة الإسكندرية، يوليو ٢٠٠٢ .

- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٥

- موقع الوفان الإلكتروني:

/www.allofan.com/openblog/archive/topic/

Aay, H., and S. Griffioen, eds. 1998. Geography and Worldview: A Christian Reconnaissance. Lanham, MD: University Press of America.

Al-Faruqi, I. l. R., and D. E. Sopher. 1974. Historical Atlas of the Religions of the World. New York: Macmillan.

Andrews, A., and T. Paul. 1996. Geographical patterns of religion in Virginia. Virginia Geographer 28: 1-9.

Bacchetta, P. 2000. Sacred space and conflict in India: The Babri Masjid affair. Growth and Change 31 (2): 255-84.

Bascom, J. 1998. The religious geography of evangelical Christians in North America. Pennsylvania Geographer 36 (1): 148-68.

Bauer, J. T. 2006. Stability and Change in United States Religious Regions, 1980-2000. PhD Dissertation, Department of Geography, University of Kansas.

Baviskar, A. 1999. Vanishing forests, sacred trees: A Hindu perspective on eco-consciousness. Asian Geographer 18 (1-2): 21-32.

Bechtel, R. B. 1994. Varieties of religious places: An analysis of the William James Classic. National Geographical Journal of India 40:111-13.

Bedell, K., and A. M. Jones, eds. 1992. Yearbook of American and Canadian Churches, 1992. 60th ed. Nashville, TN: Abingdon Press.

Berdichevsky, N. 1980. New Orleans churches: An index of changing urban social geography. Ecumene 12: 44-54.

Berg, E. 1998. The Sherpa pilgrimage to Uomi Tsho in the context of the worship of the protector deities: Ritual practices, local meanings, and this-wordly request. Himalayan Research Bulletin 18: 19-34.

Bhardwaj, S. M. 1987. Single religious shrines, multireligious pilgrimages. National Geographical Journal of India 33 (4): 457-68.

Bhardwaj, S. M., and M. N. Rao. 1998. The temple as a symbol of Hindu identity in America? Journal of Cultural Geography 17: 125-43.

Bhardwaj, S., et al., eds. 1990. Pilgrimage in the Old and New World. Berlin: Dietrich Reimer Verlag.

———. 1990. Hindu deities and pilgrimages in the United States. In Pilgrimage in the United States, ed. G. Rinschede and S. M. Bhardwaj, 211-28. Berlin: Dietrich Reimer Verlag.

———. 1997. Geography and pilgrimage: A review. In Sacred Places, Sacred Spaces: The Geography of Pilgrimages, ed. R.H. Stoddard and A. Morinis, 1-23. Baton Rouge: Geoscience Publications. 1-23.

Bhatt, B. L. 1977. The religious geography of south India: Some reflections. National Geographical Journal of India 23 (1-2): 26-39.

Bibby, R. W. 1997. Going, going, gone: The impact of geographical mobility on religious involvement. Review of Religious Research 38: 289-307.

Bigelow, B. 1986. The Disciples of Christ in antebellum Indiana: Geographical indicator of the border South. Journal of Cultural Geography 7: 49-58.

Biswas, L. 1985. Religious landscapes and Hindu temples of Calcutta. Geographical Review of India 47 (1): 64-73.

Brace, C., A. R. Bailey, and D. C. Harvey. 2006. Religion, place, and space: A framework for investigating historical geographies of religious identities and communities. Progress in Human Geography 30 (1): 28-43.

Bradshaw, T. H. 2000. Evangelistic Churches: Geographic, Demographic, and Marketing Variables that Facilitate their Growth. PhD Dissertation, University of Florida.

Brauer, J. C. 1985. Regionalism and religion in America. Church History 54 (3): 366-78.

Brenneman, W. L. 1994. Croagh Patrick and Lough Derg: Sacred and loris space in two Irish pilgrimage sites. National Geographical Journal of India 40: 115-121.

Brenneman, W. L., Jr., and M. G. Brenneman. 1995. Crossing the Circle at the Holy Wells of Ireland. Charlottesville: University Press of Virginia.

Brockman, N. C. 1997. Encyclopedia of Sacred Places. Santa Barbara: ABC-CLIO.

Brunn, S. and E. Long. 2000. The worldviews of southern seminaries: Images, mission statements, and curricula. Southeastern Geographer 40 (1): 1-24.

Brunn, S. D., and H. R. Barcus. 2004. New perspectives on the changing religious diversity in the Great Plains. Great Plains Research 14 (1): 49-76.

Brunn, S. D., and J. O. Wheeler. 1966. Notes on the geography

of religious town names in the United States. Names 14 (4): 197-202.

Budge, S. 1974. Perception of the boundaries of the Mormon culture region. Great Plains-Rocky Mountain Geographical Journal 3: 1-9.

Buffetrelle, K. 1998. Reflections on pilgrimages to sacred mountains, lakes and caves. In Sacred Space: Shrine, City, Land, ed. B. Z. Kedar and R. J. Z. Werblowsky, 18-34. New York: New York University Press.

Buttner, M. 1980. On the history and philosophy of the geography of religion in Germany. Religion 10: 86-119.

Carroll, B. E. 2000. The Routledge Historical Atlas of Religion in America. New York: Routledge.

———. 2002. Reflections on regionalism and United States religious history. Church History 71 (1): 120-131.

Chidester, D., and E. T. Linenthal, eds. 1995. American Sacred Space. Bloomington: Indiana University Press.

Clarke, C. J. 1985. Religion and regional culture: The changing pattern of religious affiliation in the Cajun region of southwest Louisiana. Journal for the Scientific Study of Religion 24 (4): 384-95.

Cooper, A., (2002): New directions in the geography of religion, Cambridge University Press., Cambridge

Crumrine, N. R., and E. A. Morinis, eds. 1991. Pilgrimage in Latin America. New York: Greenwood Press.

Dowley, T., ed. 1997. Atlas of the Bible and Christianity. Grand Rapids, MI: Baker Books.

Dutt, A. K., and A. G. Noble. 1977. Diffusion of Hinduism in southeast Asia with special reference to Indo-China. National Geographical Journal of India 28 (1-2): 86-94.

Fickeler, P., (1962): Fundamental questions in the geography of

religions. In: Wagner, P.L. and Mikesell, M.W. editors, Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press.

Finke, R. 1989. Demographies of religious participation: An ecological approach, 1850-1980. Journal for the Scientific Study of Religion 28 (1): 45-58.

Form, W., and J. Dubrow. 2005. Downtown metropolitan churches: Ecological situation and response. Journal for the Scientific Study of Religion 44 (3): 271-90.

Gaustad, E. S., P. L. Barlow, and R. W. Dishno. 2001. New Historical Atlas of Religion in America. New York: Oxford University Press.

Griffiths, G. 2001. Postcolonality, religion, geography: Keeping our feet on the ground and our heads up. In Mapping the Sacred: Religion, Geography and Postcolonial Literatures, eds. J. Scott and P. Simposon-Housley. Atlanta; Rodopi.

Harpur, J. 1994. Atlas of Sacred Places: Meeting Points of Heaven and Earth. New York: Henry Holt.

Isaac, E., (2008): Religious geography and the geography of religion. Man and the Earth, University of Colorado Studies, Series in Earth Sciences No. 3, Boulder: University of Colorado Press.

Johnson, N. B. 1993. Muso Kokushi and the cave in Zuisen Temple, Kamakura, Japan: Buddisht ethnics, environment, and behavior. National Geographical Journal of India 39: 161-78.

Julian Holloway & Oliver Valins., (2009): Placing religion and spirituality in geography, Social & Cultural Geography, Vol. 3, No. 1, UK.

Kaneko, N. 1997. The spatial structure of mountain religion: The case of Mt. Iwaki. The Human Geography/Jimbun Chiri 49 (4): 1-20.

Kong, L., (1993): sacred space: a case study of religious buildings

in Singapore, Transactions of the Institute of British Geographers 18.

Kosmin, B. A., E. Mayer, and A. Keysar. 2001. American Religious Identification Survey 2001. New York: The Graduate Center of the City University of New York.

Macourt, M. A. 1995. Using census data: Religion as a key variable in studies of Northern Ireland. Environment & Planning A 27 (4): 593-

Osterrieth, A. 1997. Pilgrimage, travel and existential quest. In Sacred Places, Sacred Spaces: The Geography of Pilgrimages, ed. R. H.Stoddard and A. Morinis, 35-39. Baton Rouge: Geoscience Publications.

Pacione, M., (1999): The relevance of religion for a relevant human geography, Scottish Geographical Journal 115.

Price, N. 1994. Tourism and the Bighorn Medicine Wheel: How multiple use does not work for sacred land sites. In Sacred Places, Sacred Sites, ed. D. L. Carmichael, et al., 259-64. New York: Routledge.

Ray, A. 1996. Allahabadkumble celebrations: A study in pilgrim geography. Geographical Review of India 58 (1): 68-76.

Rowley, G. 1997. The pilgrimage to Mecca and the centrality of Islam. In R. H. Stoddard and A. Morinis (eds.), Sacred Places, Sacred Spaces: The Geography of Pilgrimages. Baton Rouge: Geoscience Publications, 141-59.

Sievers, A. 1987. The significance of pilgrimage tourism in Sri Lanka. National Geographical Journal of India 33 (4): 430-47.

Singh, R.P.B. 1987. Emergence of the geography of belief systems (GBS) and a search for identity in India. National Geographical Journal of India 33 (2): 184-204.

Smart, N., ed. 1999. Atlas of the World's Religions. New York: Oxford University Press.

Stoddard, R. H. 1966. Hindu Holy Sites in India. Ph.D. Dissertation, Department of Geography, University of Iowa.

Stump, R.W., (2001): The geography of religion – Introduction, Journal of Cultural Geography, 7.

Tanaka, H., (1981): The evolution of pilgrimage as a spatial-symbolic system. The Canadian Geographer 25.

Valins, O., (2000): Institutionalized religion: sacred texts and Jewish spatial practice, Annals of the Association of American Geographers, 66.

Wagner, P. L. 1997. Pilgrimage: culture and geography. In Sacred Places, Sacred Spaces: The Geography of Pilgrimages, ed. R.H. Stoddard and A. Morinis, 299-323. Baton Rouge: Geoscience Publications.

## فهرس الجداول

(جدول١) الدول ذات الغالبية المسلمة في أفريقيا (سنة ٢٠١٠) ..... ١٠٧
(جدول ٢) الدول ذات الغالبية المسلمة في قارة آسيا (سنة ٢٠١٠) ..... ١٣٣
(جدول ٣) توزيع الشيعة في العالم سنة (سنة ٢٠١٠) ..... ١٣٤
(جدول ٤) توزيع أتباع الكنائس الميثودية على مستوى القارات عام ٢٠١٠ ٢٣٤

## فهرس الأشكال

(شكل١) توزيع المسيحيين في العالم ..... ٤٣
(شكل٢) توزيع البوذيين في العالم ..... ٧١
(شكل٣) الجبال المقدسة في الصين ..... ٧٣
(شكل٤) موقع المدينتين المقدستين فاطمة في البرتغال ولورديه في فرنسا. .. ٧٥
(شكل٥) مدينة الله أباد وفراناسي ..... ٨١
(شكل٦) نهر الجانج والمدن المقدسة حوله ..... ٨٢
(شكل٧) مدينة القدس القديمة ..... ٨٦
(صورة٧) الرحلات الجماعية لمدينة لورديه الفرنسية للاستشفاء..... ٩٤
(شكل٨) موقع مدينة لورديه الفرنسية ..... ٩٤
(شكل٩) موقع مدينة فاراناسي الهندوسية بالهند ..... ٩٥
(شكل١٠) موقع مدينة أمرتسار الهندية السيخية ..... ٩٧
(شكل١١) الدول ذات الغالبية المسلمة في العالم ..... ١٠٥
(شكل ١٢) الدول الإسلامية وغير الإسلامية في قارة أفريقيا ..... ١٠٧

(شكل١٣) توزيع البعثات التبشيرية الأوربية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر.. ..... ١١٢
(شكل١٤) أماكن إقامة قبائل الدنكا والنوير والشيلوك في السودان ..... ١١٦
(شكل١٥) أماكن ديانة جاندا في أوغندا بشرق أفريقيا ..... ١١٩
(شكل١٦) أماكن إقامة الدوجون في مالي وفولتا العليا بغرب أفريقيا ..... ١٢٠
(شكل١٧) أماكن ديانة إيجبو في نيجيريا بغرب أفريقيا ..... ١٢١
(شكل١٨) أماكن ديانة مندي في سيراليون وليبيريا بغرب أفريقيا ..... ١٢٣
(شكل١٩) أماكن إقامة قبائل البانتو في جنوب قارة أفريقيا..... ١٢٤
(شكل٢٠) أماكن ديانة موبونا في مالاوي بجنوب شرق أفريقيا ..... ١٢٥
(شكل٢١) أماكن ديانة شونا في زيمبابوي بجنوب أفريقيا ..... ١٢٦
(شكل٢٢) أماكن ديانة مملكة الزولو في جنوب أفريقيا ..... ١٢٧
(شكل٢٣) توزيع نسبة المسلمين في دول العالم الإسلامي..... ١٣٣
(شكل٢٤) توزيع المسلمين الشيعة في قارة آسيا..... ١٣٤
(شكل ٢٥) توزيع المسلمين في الدول العربية ..... ١٣٥
(شكل٢٦) الأماكن التي دخلها المسيح في فلسطين ..... ١٤٣
(شكل٢٧) رحلة القديس زافير إلى دول آسيا في القرن السادس عشر..... ١٤٥
(صورة ٧) أحد مزارات الشنتو في اليابان ..... ١٤٦
(شكل٢٨) مملكة البارثيين (القرن الثاني ق.م إلى سنة ٢٢٤ ميلادية)..... ١٥١
(شكل ٢٩) جزيرة بالي في أندونيسيا بجنوب شرقي آسيا ..... ١٥٥
(شكل٣٠) جبل الدروز في لبنان..... ١٦١
(شكل٣١) توزيع الديانات في قارة آسيا..... ١٦٦
(شكل ٣٢) موقع معبدي شيفا وكافا الهندوسيين في الهند ..... ١٦٩
(شكل ٣٣) توزيع الهندوس في العالم..... ١٧١

(شكل ٣٤) توزيع تجمع الكنائس في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ ..... ١٩٤
(شكل٣٥) توزيع الكاثوليك في الولايات المتحدة سنة ١٩٧١ ..... ١٩٤
(شكل٣٦) توزيع المسلمين في الأمريكتين ..... ١٩٧
(شكل٣٧) جزر الهند الغربية في أمريكا الوسطى ..... ٢٠٨
(شكل ٣٨) دول قارة أمريكا الجنوبية ..... ٢١٢
(شكل ٣٩) كثافة التجمعات اللوثرية في الولايات المتحدة سنة ٢٠٠٠ .... ٢٢٣
(شكل ٤٠) توزيع المسلمين في أوربا عام ٢٠٠٩ ..... ٢٢٩
(شكل٤١) المراحل التاريخية لانتشار المسيحية في أوربا ..... ٢٣٢
(جدول٤) توزيع أتباع الكنائس الميثودية على مستوى القارات عام ٢٠١٠ . ٢٣٤
(شكل٤٢) جزر ميلانيزيا في جنوب المحيط الهادي ..... ٢٣٦
(شكل٤٣) جزر الباسيفيكي فيجي في جنوب المحيط الهادي ..... ٢٣٧
(شكل٤٤) جزر فيجي في جنوب المحيط الهادي ..... ٢٣٩

## فهرس الصور

(صورة١) موكب المحمل في رحلته من القاهرة إلى مكة المكرمة ..... ٢١
(صورة٢) رحلة حج إلى كنيسة مريم العذراء في نورفولك بإنجلترا عام ١٨٢٠م٧٧
(صورة٣) جبل فوجي ياما المقدس في جزيرة كيوتو باليابان ..... ٧٩
(صورة ٤) أحد التماثيل الضخمة لشيفا ..... ٨٣
(صورة ٥) المعبد الذهبي في أمرتسار ..... ٨٥
(صورة ٦) قمة آدم في سريلانكا ..... ٨٥
(صورة٧) الرحلات الجماعية لمدينة لورديه الفرنسية للاستشفاء ..... ٩٤

## الفهرس

بين يدى الكتاب ..... ٥

### الفصل الأول
### تطور الأديان عبر التاريخ ١١

أولا – مفهوم الدِّيْن ..... ١١

ثانيا – ظهور الأديان الوثنية ..... ١٤

ثالثا – الدين والجغرافيا الحضارية ..... ١٩

رابعا– الدين والجغرافيا السياسية ..... ٢٤

خامسا – الدين والجغرافيا الاقتصادية ..... ٢٩

سادسا – الدين وجغرافية السياحة الدينية ..... ٢٩

### الفصل الثاني
### الأديان في العصر الحديث ٣٣

أولا– دراسة الأديان وجغرافيتها ..... ٣٤

ثانيا – الاصطلاحات الدينية الحديثة ..... ٤٢

ثالثا – الحركات الدينية الحديثة ..... ٦٠

## الفصل الثالث


جغرافية الأماكن المقدسة ٧١

أولا – الدين وتقديس الأماكن: ..... ٧١

ثانيا – الدين ورحلات الحج ..... ٧٤

ثالثا – المدن المقدسة في الديانات الكبرى ..... ٨٦


## الفصل الرابع


الديانات في قارة أفريقيا ١٠٣

أولا – ديانة الإسلام ..... ١٠٥

ثانيا – الديانة المسيحية ..... ١١١

ثالثا – الديانات الوثنية ..... ١١٥


## الفصل الخامس


الديانات في قارة آسيا ١٣١

أولا – الديانات السماوية ..... ١٣١

ثانيا – الديانات الوثنية ..... ١٤٦

ثالثا – الحركات والجماعات الدينية ..... ١٥٧

## الفصل السادس


**الهندوسية والبوذية والسيخ** ١٦٥

أولا – الهندوسية ..... ١٦٥

ثانيا – البوذية ..... ١٧٧

ثالثا – السيخ ..... ١٨٣


## الفصل السابع


**الأديان في الأمريكتين** ١٩١

أولا – الديانات السماوية ..... ١٩٥

ثانيا – الديانات الوثنية ..... ٢٠٢

ثالثا – الحركات الدينية ..... ٢١٧


## الفصل الثامن


**الأديان في أوربا وأستراليا** ٢٢٧

أولا – الأديان في أوربا ..... ٢٢٧

ثانيا ـ الأديان في أستراليا ..... ٢٣٢

المراجع ..... ٢٤١

الفهارس ..... ٢٥١